الهدي النبوي للمرأة المسلمة

تأليف

الدكتور محمد عبدالله عويضة

عميد كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية

دار الفرقان

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

الهدي النبوي
للمرأة المسلمة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٩/١٢/٢٢٩٤)

رقم التصنيف : ٢٣٠

المؤلف ومن هو في حكمه : محمد عويضة

عنوان الكتاب : الهدى النبوي للمرأة المسلمة

الموضوع الرئيسي : ١- الحديث النبوي الشريف - شرح
٢- المراة المسلمة

بيانات النشر : عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية.

دار الفرقان للنشر والتوزيع

الإدارة والمكتبة :

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

هاتف: ٤٦٤٠٩٣٧ - ٤٦٤٥٩٣٧ - فاكس ٤٦٢٨٣٦٢

ص.ب ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

إربد - مقابل جامعة اليرموك - تلفاكس ٢٧٦٥٠٦

سلسلة في ظلال السنة (١)

دراسات منهجية

الهدي النبوي للمرأة المسلمة

تأليف

الدكتور محمد عبدالله عويضة

عميد كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

دار الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين. إن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اعتنى اسلامنا العظيم بتنظيم كل شؤون الحياة، لما فيه سعادة الإنسان في الدارين، ولم يغفل جانباً من الجوانب وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

والسنة النبوية المطهرة هي ترجمان القرآن وبيانه وتفصيل أحكامه، والتطبيق العملي لمبادئه وتوجيهاته. والرسول ﷺ القدوة الحسنة للمسلمين، اختاره الله واصطفاه، وعلمه وأدبه فأحسن تأديبه ليكون للمؤمنين إماماً وقدوة.

ولما كانت المرأة المسلمة قد حظيت بعناية الإسلام وتوجيهاته في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وذلك لأنها قاعدة الأسرة ومحضن التربية ومُخرّجة الأجيال فقد اخترت في هٰذا الكتاب من معادن السنة وجوهرها وأحكامها وتوجيهاتها ما أظن أن المرأة المسلمة اليوم بأمسّ الحاجة إليها.

هٰذه التوجيهات النبوية الكريمة للمرأة المسلمة المعاصرة، هي معالم إيمان ومنطلقات دعوة، وقواعد هداية، وقيم تهذب السلوك، لتكون المرأة المسلمة اليوم على خطى سلفها من أخواتها المؤمنات: مشعل هداية وحادية على طريق استئناف الحياة الإسلامية الكريمة، بنتاً عفيفة، وزوجة صالحة، وأماً حانية.

وأصل هٰذا الكتاب عدد من الأحاديث النبوية الشريفة اختارتها لجنة من العلماء الدعاة لتكون منهاجاً دراسياً للأخوات المؤمنات الداعيات، وقد كلفت بشرحها، وحرصت أن

يكون الشرح عصرياً مناسباً للمرأة اليوم بعيداً عن الطرق التقليدية للشروح، وجعلته في ظلال السنة النبوية اشرح من خلاله مشاكل العصر التي تتعرض لها المرأة المسلمة اليوم في البيت والمجتمع، بنتاً وزوجاً وأماً.

والأحاديث المختارة ليست هي كل ما ورد في الموضوع، بل هي نماذج تتضمن المعاني التي أردنا في اللجنة أن نوصلها إلى المرأة المسلمة، وأن نعالج من خلالها الحاجات والمشكلات التي تتعرض لها اليوم.

وعدد هٰذه الأحاديث روعي فيه الوقت المخصص لهٰذا المنهاج الدعوي فاقتصرنا على هٰذا العدد من الأحاديث.

وأنني لأتطلع إلى اليوم الذي تكون فيه المرأة المسلمة هي القائدة الموجهة للنساء وهي الممثلة التي تتحدث باسمهن في مجتمع غالب نسائه من المسلمات لكن اللواتي يتبوأن مركز القيادة فيه ما يزلن من المستغربات غير الملتزمات.

وارجو من الأخوات القارئات لهٰذا الكتاب والدارسات له أن يزودنني بما يتعرضن له من مشاكل لم يعالجها الكتاب وبأية مقترحات حول هٰذا الكتاب لأضمنها في طبعات قادمة إن شاء الله.

هٰذا جهدي فإن أحسنت فمن فضل الله ومنّـه وتيسيره، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأسأل الله المغفرة والعفو.

وأسأل الله عز وجل أن يثيبني على عملي وأن يتقبله مني وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وكتبه

د. محمد عبد الله عويضة

٢٧ رجب ١٤٢٠هـ

١٩٩٩/١١/٥م

أولا: في الإيمان

١- ثلاثة من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان.

٢- معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام.

٣- الإستشفاء بالرقية.

الحديث الأول:

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في عدة مواضع، ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد، من طريق أبي قلابة عن أنس بن مالك ومن طريق قتادة عن أنس[1].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

الإيمان حقيقة يتذوقها القلب وتظهر لها آثار تدل عليه، ولها علامات تعرف بها، فليست مجرد إدّعاء باللسان أو ببعض المظاهر التي يتزيا بها الأدعياء، وفي هذا الحديث الشريف ثلاث علامات يجدهن المسلم كالمعالم على الإيمان أولها أن يكون ولاؤه وحبه لله ورسوله فوق كل شيء وقبل كل شيء، وثانيها أن يكون القياس الذي يقاس به الناس حبا أو كرها هو مرضاة الله، وثالثها أن يتذوق قيمة الإيمان ونِعَمَ الإيمان وفضل الله فيه فيستمسك به ويكره الكفر الذي أنقذه الله منه بهذا الإيمان، كما يكره ولوج النار!.

---

(١) صحيح البخاري ١/٦٦ -كتاب الإيمان- باب ٩ رقم ١٦، جـ١٠/٤٦٣، كتاب الأدب -باب ٤٢ رقم ٦٠٤١، ٣١٥/١٢، كتاب الإكراه -باب ١ رقم ٦٩٤١. وصحيح مسلم ١/٦٦ -الإيمان- باب ١٥ رقم ٤٣ وسنن النسائي ٩٦/٨ -الإيمان ٢-٤.

جامع الترمذي ١٦/٥ -كتاب الإيمان- باب ١٠ رقم ٢٦٢٤. وسنن ابن ماجه ١٣٣٨/٢ -كتاب الفتن- باب ٢٣ رقم ٤٠٣٣. ومسند أحمد ١١١/٤.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١ - حلاوة الإيمان:

في هذا الحديث بيان لحقيقة الإيمان وصفته، فهذا الإيمان له حقيقته وله أدلته وله آثاره ومعانيه، إنه ليس تهويمة أو خيالات تتوهمها النفوس في حال الضعف والحاجة كما هي عند بعض الناس.

إن الإيمان حالة من صدق التوجه الى الله، وصدق الحب لله ولرسوله، وولاء لأحباب الله، وانضباط بميزان الله، وتعلق بالله وفضله يشد صاحبه الى مولاه ويجعله يفر من الكفر كالفارّ من النار، والكاره لأن يُقذف فيها.

وهذا الإيمان له طعم يُتَذَوق وحلاوة تذاق يجد المؤمن بالله طيبها وحلاوتها في فمه.

وإذا كان الإيمان توجد حلاوته وتستشعر آثاره إذا وُجِدَ في المؤمن أمور معينة، فإن هذا الإيمان متفاوت ينمو في النفس ويتصاعد ويزداد حتى يجد المؤمن حلاوته وآثاره، وقد لا توجد هذه الأمور المذكورة في الحديث عند المؤمن فلا يتذوق حلاوة الإيمان ولا يستشعر آثاره وقيمته؛ ومن هنا فإن المسلم إذا عرف هذه الصفة في الإيمان، فإن عليه أن يحرص على إيمانه وعلى تحقيق هذا الأيمان في نفسه وحياته وعلى أن يُوجِدَ في حياته آثاره وحلاوته. وعلى المسلم كذلك أن يبحث عن إيمانه ويتفقده، إذا ما خبت آثاره وزالت حلاوته.

لكن إذا كانت هذه حقيقة الإيمان وهذه صفته فما هي الأعمال التي توجده وتعمقه وتحدث آثاره وتجعل صاحبه يتلمس هذه المعاني ويتذوقها؟ هذا ما جاء هذا الحديث النبوي لبيانه.

٢- حب الله ورسوله:

«أن يكون الله ورسوله احبَّ إليه مما سواهما»:

ورد هذا المعنى في العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وأساس الإيمان هو حب الله ورسوله، الحب الذي يجعل القلب متعلقا بالله عز وجل ورسوله، ويجعل المؤمن حريصا على ما يرضي الله، ويجعله قائماً علىأمرالله، يجتهد له، ويبذل كل شيء في سبيله، فيكون الإيمان قضيته وحاجته ومصلحته ومصيره. . . لا يلوي في الحياة على شيء سواه. يبذل ماله ووقته ونفسه في سبيله.

وإذا ظن المسلم أن حب الله ورسوله، كلمات تقال في مناسبة أو قطرات دمع تذرف لانفعال عارض فإنه واهم، وإنه جاهل بحقيقة هذا الإيمان ولا يجد لذته وحلاوته.

إن الإنسان إذا أحب إنساناً في عالم البشر، ولداً أو أباً أو أماً أو قريبا أو صديقا أو زوجة، فإنه يكون مشدوداً إليه، يلهف قلبه عند ذكره، يحرص على معرفة ما يرضيه، دائم التفكير فيه، إذا غاب عنه شغل قلبه عليه، وإذا سمع حركة لا يخطر بباله إلا قدومه. . .

هذا شيء من حب البشر للبشر، وماذا يفعل البشر للبشر بالنسبة لما يفعله الله لنا، ومَنْ البشرُ المخلوقون مع الله الخالق رب العرش العظيم.

أُختاه في الله.

الله خلقك فهل من خالق غير الله، فمن سواه نحب. .

الله المنعم المتفضل الواهب الزراق ذو الفضل العظيم فمن نحب سواه. .

الله الحافظ قيوم السموات والأرض الصمد المقصود، أنحب أحداً غيره. .

الله الجبار المنتقم عذابه أليم وأعد للعاصين المكذبين الجحيم. . .فمن نحب من دونه. . .

الله الرحمٰن الرحيم وسعت رحمته كل شيء جنته عرضها كعرض السماء والأرض اعدت للمتقين أفلا نتقيه ونحبه دون سواه؟

ورسوله ﷺ. اصطفاه من خلقه وأرسله إلينا بدينه وشرعه فبلّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة وجاهد في الله وتحمل الكثيرالكثير حتى يبلغنا دعوة الله أفنحب أحداً بعد الله سواه.

أختاه:

لا بد من دوام التفكير والتأمل في عظمة الله وفضله وآياته وعقابه ورحمته، ودوام التدبر في حال رسوله وجهاده وعبادته وكم كان فضل الله ثم فضل رسوله علينا عظيما، لا بد من ذلك دائما حتى يوجد عندنا حب الله ورسوله أكثر مما سواهما. فعندئذ نجد حلاوة الإيمان، وإذا وجدنا حلاوة الإيمان سنزداد حباً لله وحباً لرسوله، وتزداد حلاوة الايمان وهكذا في لذة الإيمان ولذة حب الله سبحانه وحب رسوله عليه أزكى الصلاة وأطيب السلام. ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

ومع أن الحب عمل قلبي إلا أن له مظاهر وعلامات تدل على وجوده وعلى صدق صاحبه، فالذي يحب الله ورسوله، يحب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا يقدم عليهما فكر أحد من البشر أو شرع أحد من البشر وإن أقدم على فعل شيء من ذلك فليس محبا لله ولرسوله أو ليس صادقاً فيما يدَّعيه من ذلك.

والذي يحب الله ورسوله يرضى بقضاء الله ولا يسخط، ويرضى بحكم الله ورسوله ويسلِّم لامر الله وأمر رسوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والذي يحب الله ورسولَه يغضب لما يُغضب الله ورسوله، يَغضب لحرمات الله تنتهك ولدينه يُسخرُ منه، ولشرع الله يقصى عن الحياة، ولعباد الله المؤمنين يُتَخطَفون من الأرض، ويلاحقون وتثار حولهم الشبهات والأكاذيب. . . والمؤمن المحب لله ورسوله يَغضب لمثل هذا ويتخذ تجاهه موقفا يدل على صدق حبه لله ولرسوله.

هذه بعض علامات حب الله ورسوله، تمثل مقياساً يقيس به المؤمن صدق إيمانه وصدق ادّعائه لحب الله ورسوله، فإن وجدتِ أختي أنك تحققين هذه العلامات وأمثالها فامض في طريقكِ فأنت على الطريق في الصادقين إن شاء الله؛ وإن أنتِ وجدتِ غير ذلك فابحثي عن إيمانك وابعثيه من جديد واسألي عن قلبك فانه غافل فايقظيه. قال ابن عباس رضي الله عنه «اسأل عن قلبك في ثلاث مواضع فإن وجدته فاحمد الله وإلا فاسأل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك: عند قراءة القرآن وعند الذكر وعند الموت».

٣- الحب في الله:

«وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»:

إذا وُجدَ الإيمان الصادق في قلب مَنْ يحبُ الله ورسوله أكثر مما سواهما، فلا بد أن ينشأ عن ذلك مقياس وميزان، ينظر المسلم إلى الناس وإلى الأشياء والأوضاع على أساس هذا المقياس وهذا الميزان، هذا الميزان يقوم على أساس حب الله سبحانه، وبالتالي فينبغي أن يحب كل شيء لله، وأن يكره كل شيء لله، فما يُرضي الله من أوضاع الناس وأحوالهم، ومن يوافق أمر الله وشرعه من الناس في فكره وسلوكه وحياته، يحبه المسلم لأنه عندئذ يحبه لطاعته لله، ولموافقته لأمر الله، أي يحب الخير والأيمان فيه.

ويقابل هذه أن يكره في الله، فيكره أعداء الله، ويكره كل وضع أو حاله تخالف شرع الله. قال ﷺ «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[١].

(١) سنن أبي داود ٥/ ٦٠ كتاب السنة/ باب١٦ رقم ٤٦٨١، وجامع الترمذي ٤/ ٦٧٠ كتاب القيامة باب ٦٠ رقم ٢٥٢١ وزاد: «وأنكح لله» ومسند أحمد ٣/ ٤٢٨، ٤٤٠.

وهذا المعنى في هذا الحديث يحدد ولاء المؤمن ورابطته وعلاقاته، إنها كلها لله ومن يحبهم الله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

والولاءات الأخرى والروابط الاخرى والعلاقات الأخرى تتحدد قيمتها في ميزان المسلم بمقدار قربها أو بعدها من رابطة الإيمان وحب الله والحب لله والكره لله، وبمقدار موافقتها لهذا المقياس أو مخالفتها. فرابطة الدم والقوم والقرابة ورابطة الأرض والموطن ورابطة التجانس والصداقة بين الأصدقاء، ورابطة المادة والمصالح القريبة، وغير ذلك من الروابط، كلها تعرض على هذا المقياس (الحب لله والكره لله) لتقوم على أساسه.

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وبهذا المقياس الرباني الثابت لا يتأرجح المسلم في أحكامه على الأشخاص والأشياء والأوضاع ولا يضطّرب ولا يتناقض، فيتحرر بذلك من الهوى والنفاق والمجاملات هذه الأمراض التي تحرج النفوس فتخرجها عن طبيعتها، وتحرج المجتمعات فتهلكها وتدمرها، عندما تصبح الأمة بأفرادها أو بمجموعها مزاجية المقياس لا تثبت على شيء..

٤- كراهية الكفر:

«وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»:

هذا المعنى يدل على عمق المعنيين السابقين في قلب المؤمن، إن الحب العميق الصادق لله ولرسوله والإلتزام الدقيق بمقياس الإيمان في الحب والكره، والولاء والبراء

الولاء لأولياء الله والبراء من أعداء الله، هذا الحب وهذا الولاء صادق وحازم في نفس المؤمن بحيث يكون حريصا عليه شاعرا بفضله وقيمته فلا يفرط فيه ولا يتنازل عنه ويضحي في سبيله بكل رخيص وغال.

فالمؤمن الذي آمن بالله وأحبه وصدّق رسوله وأحبه ووالى على أساس الإيمان، هذا المؤمن يكره العود إلى الكفر لِمَا رأى في الإيمان من حق وخير وصدق، كراهية أن يقذف في النار.

وكم هي كراهية الإنسان لأن يقذف في النار، إنها كراهية شديدة معروفة، بهذا التصوير يبين النبي ﷺ حرص المؤمن على إيمانه، وكراهية المؤمن للكفر ولأهله وأحواله.

ولا بد للمسلم أن يتأمل في أوضاع الكفر وأحوال أهله وأفكاره وأضراره وأوضاره، حتى يستشعر قيمة هذا الإيمان وفضل الله عليه وبضدها تتميز الأشياء، وقال عمر بن الخطاب: «ما عرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

وردد القرآن في أكثر من موضع قول المؤمنين ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والكفر كله عورة وإن حاول ببعض مظاهره البراقة أن يُخفي سوأته، والباطل زبد وإن رغى وانتفش، لكن السُذَّج من الناس لا يرون فيه إلا بريقه وانتفاشه فينخدعون به.

إنك إذا ما أنعمت النظر في أي جانب من جوانب حياة أهل الباطل في القديم أو الحديث، في الشرق أو الغرب تقف على سوأة هذا النظام أو ذاك.

ففي الجانب السياسي قد يعجب المرء بما عند الغرب من حرية وديمقراطية، لكنك بشيء من التأمل تجد أن وراء ذلك إرادة أصحاب الأموال وأنه لا يصل إلى مستوى القرار إلا أصحاب الملايين.

وفي الجانب الإجتماعي قد يعجب الإنسان ببعض الحقوق التي نالتها بعض الفئات أو كلها، لكنك تجد الطبقية في أبشع صورها بين البيض والسود في أمريكيا مثلاً، أو في جنوب أفريقيا التي تعيش فيها الحكومة العنصرية على دعم الغرب وشركات الغرب وتأييد الغرب. وما الذي يمارسه اليهود في فلسطين من عنصرية وهمجية، وهم ربائب الغرب ودسائسه بخافية علىأحد. كما أن التمزق في الاسرة وتخريب النسل وتحطيم العلاقات الإجتماعية، وانتشار الأوبئة نتيجة للعلاقات الفاسدة، وما مرض «الأيدز» إلا أحد نذر الفطرة التي يكاد الغرب أن يدمرها.

وفي الجانب الإقتصادي قد يعجب المرء بما حقق الغرب من إنتاج وصناعة متطوره، إلا أن أمراض النظام الإقتصادي الغربي من البطالة والتضخم تكاد أن تعصف بكل ما أنتجه هذا النظام.

وهكذا... وهكذا... يتصرف الناس في غيبة منهج الله الذي يمنحهم التصور الشامل والمتكامل فلا يتعثرون ولا يضطربون، والذي يُصْلِحُ الإنسان الذي هو الأساس الذي يقوم عليه كل شيء في الحياة الدنيا، ويحدد علاقات الأشياء بتوازن لا يجعل جانبا يطغى على حساب جانب...

هذا نموذج للتأمل المطلوب.... حتى نردد مع المؤمنين ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- الإيمان درجات، يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالغفلة والمعاصي. ولذا فقد أخرجه الامام مسلم في احاديث في هذا المعنى.

٢- للايمان آثار طيبة تستشعرها النفس المؤمنة ويتذوقها القلب المؤمن.

٣- يجوز التعبير عن المعاني المعنوية بالمعاني المحسوسة لتقريبها الى العقل.

٤- التعبير بالحلاوة إشارة إلى أن الطعم الحلو، هو أطيب الطعوم عند غالب الناس.

٥- أهمية حب الله وحب رسول الله ﷺ في ميزان الإسلام.

٦- أهميةَ عمل القلب بالنسبة لعمل الجوارح، فالحب عمل قلبي وذُكِرَ كعلامة أولى من العلامات التي يتذوق بها الإنسان حلاوة الإيمان.

٧- جواز أن يجمع الرسول مع الله عز وجل في بعض الامور وهذا يقيّد ما ورد مطلقا في حديث «بئس الخطيب أنت» للذي قال: ومن يعصهما[١].

٨- ولاء المسلم لله، وعلى أساس هذا الولاء يُحدِّد موقفه من الأخرين.

٩- الإسلام يحدد ضوابط ومقاييس لتقويم الأشخاص والأشياء والأوضاع.

١٠- ضرورةمعرفة قيمة الإيمان بالله وفضله على المؤمن وأنه أنقذه به من الشر والفساد والنار.

١١- كراهية المسلم للكفر وضرورة تعميق هذه الكراهية وتوظيفها للحث على الإيمان.

١٢- الأسلوب النبوي وما فيه من أساليب تربوية كضرب الأمثال، والتشبيهات والوسائل الإيضاحية لتقريب المعنى المراد إلى ذهن المتعلم.

(١) فتح الباري ١/ ٦١ الإيمان باب ٩.

الحديث الثاني

معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام

عن جابر قال: كنا في حفر الخندق فرأيت برسول الله خَمَصَاً شديداً، فانكفأتُ إلى امرأتي فقلت: هل عندكِ شيء؟ فإني رأيت بالنبي خَمَصَاً شديداً، فأخرجتْ جِرَاباً فيه صاع شعير ولنا بُهَيِّمة داجن، فذبحتها وطحَنْت، فَفَرَغَتْ إلى فراغي وقَطَّعتُها في بُرمة، ثم وليت الى رسول الله فقالت امرأتي: لا تفضحني برسول الله ومن معه، فجئتُهُ فساررته فقلت: ذبحنا لنا بهيمة وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك، فصاح بأعلى صوته، يا أهل الخندق: إن جابراً قد صنع سُوراً فحيّ هلا بكم، ثم قال: لا تُنْزِلُنّ بُرمَتكم ولا تَخْبِزُنَّ عجينكم حتى أجيء، فجئت امرأتي وجاء رسول الله يَقْدُمُ الناس، فأخرجَتْ العجين فبصق فيه وبارك، ثم عمد الى البُرمة فبصق فيها وبارك، ثم قال: ادْعِي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من بُرمتك ولا تنزليها، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوا وان برمتنا تَغِطُّ كما هي وإن عجيننا يُخبز كما هو».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في كتاب الجهاد مختصرا وفي كتاب المغازي كاملا، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأشربة والإمام أحمد كلهم من حديث حنظلة بن أبي سفيان عن سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ.[(١)]

وفي الباب حديث آخر عن جابر أيضا بمعنى قريب من هذا المعنى، عند البخاري والدارمي وأحمد وغيرهم من حديث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر.[(٢)]

---

(١) صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ المغازي ـ جـ٧ ص٣٩٥ ـ ٣٩٦ حديث رقم ٤١٠٢، وصحيح مسلم ـ الأشربة ـ باب ٢٠ جـ٣/ ص١٦١٠ رقم ٢٠٣٩ ومسند أحمد ٣/ ٣٧٧.

(٢) صحيح البخاري ـ جـ٧/ ٣٩٥ المغازي ـ باب ٢٩ رقم ٤١٠١، وسنن الدارمي ١/ ١٩ ومسند أحمد ٣/ ٣٠٠.

ثانياً: مفردات الحديث:

خَمَصًا: ضامر البطن من الجوع.

انكفأتُ إلى امرأتي: رجعت الى زوجتي وانقلبت إلى بيتي.

جرابا: وعاء من جلد.

بُهَيِّمة: بالتصغير، وهي الصغيرة من أولاد الضأن والماعز، ذكراً كانت أم انثى.

داجن: الحيوانات التي ألفت الحياة في البيوت، والمراد أنها سمينة لما يتوفر لها عادة من السمنة.

صنع لكم سُورا: الطعام الذي يُدعى إليه، وهي كلمة فارسية.

فحي هلا: عليك بكذا أو أُدع بكذا وقيل معناه: هات وعجل به.

البُرمة: القدر وهو الوعاء الذي يطبخ فيه على النار.

اقدحي من برمتك: أغرفي منها.

يَغِطُّ: أي تفور وتغلي، وهي بكسر الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة.

ثالثاً: المعنى العام للحديث:

رأى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ وقد ظهر عليه الجوع الشديد في غزوة الخندق، فاستأذن وذهب الى بيته وأخبر زوجه بما رأى وسألها هل عندك شيء، فأخبرته بأن عندهم عِنَاق صغير وصاع من شعير، فذبح العناق وقطعها ووضعها في القدر وفي نفس الوقت طحنت امرأته الشعير وعجنته وفرغا من العملية معا، ثم ذهب ليدعو النبي ﷺ ونفرا يسيرا من أصحابه وقد أوصته زوجه أن يخبره بمقدار ما عنده من الطعام. فدعى النبي ﷺ كل أهل الخندق وكانوا ألفا أو يزيدون، فأُخْرِجَ جابر فقالت له امراته هل أخبرت النبي بالطعام فقال نعم فطمأنته عندئذ حيث أدركت أن في الأمر معجزة،

فجاء النبي ﷺ يَقْدُمُ أصحابه فبصق في القدر وفي العجين ودعا فيهما بالبركة، وأمر أن يبقى كل شيء مكانه حفاظا على البركة وأن يبقى مغطى غير مكشوف ثم آمر بأن تغرف المرأة من القدر لحما ومرقا وأن تخرج من التنور ـ الفرن ـ خبزا ويصنع من ذلك ثريدا، فأكل الصحابة في مجموعات حتى فرغوا جميعا وبقي الطعام على حاله وأمر النبي ﷺ المراة بأن توزع على جيرانها لما في الناس من حاجة.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١-القائد يعايش أصحابه:

في هذا الحديث صورة للنبي القائد عليه الصلاة والسلام يعايش أصحابه، ويعاني ما يعانون، ويكون بينهم في سلمهم وحربهم وحلهم وترحالهم، ليس محجوبا عنهم، وفي ظل هذا المعنى تنشأ الثقة بين الراعي والرعية، وتنجح التربية إذا كان المربي على اطلاع على من يشرف على تربيتهم، بل مخالطا لهم.

وتبينُ بعض الروايات أنه كان يضع على بطنه حجرين يقيم بذلك ظهره، فقد كان يعاني أكثر مما يعانون، وكان على هذا الحال يُستدعى لتكسير الصخور التي تستعصي على أصحابه فيضربها بمعوله بسم الله فتنهال وتتفتت بضربته.

٢- الإحساس بالأخرين:

والحديث أيضا يُصورُ لنا مشاعر الصحابة تجاه نبيهم وتجاه بعضهم وما كانوا عليه من مشاعر شفافة تحس بحاجات الآخرين على قلة ذات اليد، وهذه فضيلة من فضائلهم، فجابر رضي الله عنه لا يعلم إن كان عنده في بيته طعام أم لا، ومع ذلك تتحرك فيه المشاعر المؤمنه لمّا رأى ما بالنبي ﷺ وكثير من أصحابه من الجوع الشديد.

٣-الجهاد بالرغم من قلة ذات اليد:

ويرسم لنا الحديث ظلالا أخرى للأمة المسلمة والقيادة المسلمة، تتمثل بما كانت عليه من حرص على العقيدة والوطن والعزة، فهم على ماهم عليه من فاقة وشدة وجوع، يواجهون عدوهم الذي تحزب ضدهم بمال اليهود وكيد اليهود ورجالات القبائل العربية، ما حدثتهم أنفسهم بالاستسلام أو الهروب أمام عدوهم. نقول هذا ونحن ننظر لأمتنا اليوم فهي من أكثر الأمم رجالا ومالا وإمكانيات ومع ذلك لا تقف في وجه عدوها ولا تجمع صفها وإمكاناتها، وعدوها يتغطرس ويصول ويجول بصلف وغرور، وهي مستخذية ضعيفة كل ما تفعله التشكي وإصدار البيانات والبحث عن حلول على موائد الصليبيين المتآمرين الذين أقاموا دولة اليهود ولا يزالون يمدونها بأسباب البقاء والقوة.

وفي هذا دليل على أن القضية قضية إرادة وإيمان قبل أن تكون قضية إمكانيات، ولعل ما يجري من جهاد أهلنا اليوم على أرض فلسطين دليل على ذلك، فعلى قلة ما يملكون ورغم الضعف والجوع والجراحات والآلام أراد أهلنا الجهاد والتحدي ففعلوا الأعاجيب ووقفت أمامهم آلة الحرب اليهودية حيرى عاجزة، كل هذا يوم أن استيقظت إرادتهم على نداء الإيمان.

٤-المرأة المسلمة:

وتتكامل صورة المجتمع الإسلامي التي يرسمها هذا الحديث بدور المرأة وفاعليتها فيه، فهذه الصحابية واسمها سهيلة بنت مسعود الأنصارية[١]، القانعة بهذا القليل الذي تملك، الكريمة الفاضلة التي تجود بهذا القليل، ولا تضيق ذرعا بمشاعر زوجها ولا بضيوفه، بل تساهم في هذا الخير بحماسة ورضى بما تفعل، ولا تشعر بقلق على المستقبل بعد أن تجود بكل ما تملك، هذا الإيمان السامق، وهذه المشاعر المجنحة الرفيقة كانت شعار هذا المجتمع الإسلامي، وسرّ قوته ونمائه وانتصاره.

---

(١) فتح الباري ـ ابن حجر العسقلاني ٧/ ٣٩٧.

٥- الإيمان يبارك الحياة:

وفي هذا الحديث تتجلى بركة الحياة التي كان يعيشها الناس في ظل المجتمع الإسلامي، فالناس يقنعون بالقليل، ويبارك الله لهم بهذا القليل ويسود الرضا والقناعة، كل ذلك بفعل الإيمان. أما الناس اليوم فإنهم يملكون الكثير الكثير وينفقون في كماليات ترهق كاهلهم ويعيشون جشعا وصراعا على الدنيا لا يملىء أفواههم إلا التراب.

٦- من علامات النبوة:

وهذا الحديث فيه علامتان من علامات النبوة، أولاهما علمه ﷺ بأن الطعام القليل سيبارك الله فيه ليكفي هذا العدد الكبير، والثانية ما وقع فعلاً من هذه البركة حيث أكل الجيش الذي تختلف الروايات في تحديد من حضر منه الى هذه الوليمة بين الثلاثمائة الى ما يزيد على الألف، أكل هذا العدد الكبير وبقي الطعام على حاله، ذكر هاتين العلامتين العلاقة النووي رحمه الله(١).

ويتجلى حب الصحابة للنبي ﷺ في هذا الحديث، فجابر وامرأته رضي الله عنهما يبذلان ما يملكان بنشاط وهمة حبا للنبي ﷺ وحرصا على ألا يجوع وهو فيهم، فمن أجل هذا الحب للنبي ﷺ ينفق هذا البيت من بيوت الإسلام كل ما يملك!.

وبركة أثر النبي ﷺ وهو هنا بُصاقة في القدر وفي العجين تظهر جلية في هذا الحديث، ولذلك كان الصحابة يتسابقون على أي أثر من آثاره كفضل وضوئه أو عرقه أو شعره أو بصاقه أو ثيابه وملابسه أو اي طعام أو مال يهبهم إياه، بل كانوا يدعونه الى بيوتهم ليصلي فيها، ويأتون بابنائهم ليحنكهم ويدعو لهم عليه الصلاة والسلام.

وهٰذه البركة خاصية بالنبي ﷺ ليست لأحد من بعده، ولم يقم أي دليل على بركة آثار أي أحد من الناس، وكثير ممن يدّعون ذلك إما كاذبون أو ممن يستدرجهم الشيطان،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم جـ١٣/ ٢١٩.

هذا بالنسبة لهذا النوع من البركة بركة جسده وآثاره عليه الصلاة والسلام وقد ورد من معجزات النبي ﷺ من هذا القبيل أخبار كثيرة مستفيضة، كما ورد جريان الماء بين أصابعه، وحنين الجذع إليه، وتكليم الحيوانات له أو سلام الحجارة عليه، وشهادة النبات والحيوان برسالته وكثرة الطعام بين يديه وغير ذلك كثير.(١)

أما بركة الدعاء، وفي هذا الحديث أنه ﷺ بصق في البرمة وبارك فيها وبصق في العجين وبارك فيه، فهذه المباركة هي بركة الدعاء، وهذه أيضا من فضائله ومعجزاته عليه الصلاة والسلام، لكن هل هي من خصوصيات النبوة أو يمكن أن تقع لأحد من الخلق لا سيما أهل العلم والتقى والصلاح، لا شك أن هذه من الكرامات التي يمكن أن تقع للصالحين، ويمكن أن يتحقق اليسير منها أحيانا للانسان العادي، ولكنها تكثر على أيدي عباد الله الذين قال الله فيهم ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

والقرآن يحدد ذلك بالإيمان والتقوى، وما يشيع على ألسنة جهلة الناس من أن الكرامات تتوارث عن الجدود وعن العلماء العابدين السابقين فتجد من يستغيث بأحد من العلماء الأموات فهذا من الشرك والعياذ بالله.

وفي هذا الحديث كما في غيره من الأحاديث علامات للحفاظ على البركة، بإبقاء الآنية مغطاة وأن تبقى على النار والخبز في الفرن مغطى عليه يؤخذ منهما ثم يغطيان، والأكل من طرف الطعام لا من وسطه لأن البركة تتنزل على وسطه، والتسمية وعدم العد والإحصاء وغير ذلك مما ورد في الأحاديث.

---

(١) انظر في ذلك مقدمة سنن الدارمي، وكتاب الفضائل في صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها من كتب الحديث، وقد جمع ذلك وغيره البيهقي في كتابه الحافل دلائل النبوة وكذلك ابو نعيم الاصبهاني وغيرهم.

والحديث مَعْلَمٌ من معالم البذل والإنفاق الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وما ينبغي أن يكون عليه المسلمون في كل زمان، لما فيه من تراحم وتواصل وتزكية ونماء.

٧- الإيثار والبذل للجهاد:

كما أن هذا الحديث درس في الإيثار والبذل وتقديم حب النبي ﷺ وأصحابه على النفس، حيث آثر أهل البيت المسلم إخوانهم المسلمين على أنفسهم فقدموا لهم كل ما يملكون، وفي الصحابة من الأنصار نزلت هذه الآية ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩].

وفي الحديث عديد من اللفتات النفسية والإجتماعية والإيمانية الأخرى البارعة، ففيه عرض لنفسية المرأة الحساسة من احراجات قلة ذات اليد، فقد وردت في روايات أخرى أنها أوصت زوجها أن يبلِّغ النبي ﷺ بمقدار الطعام الذي عنده، وأنها لما عاد إليها زوجها يخبرها بمجيء كل المسلمين في الخندق لامت زوجها وقالت له: «بك وبك» أي هذا الإحراج منك وبسببك، وأنه هو كذلك أُحرج. لكن يقابل هذا المعنى النفسي الحساس معنى إيماني عظيم فقد اطمأنت المرأة لمَّا أخبرها زوجها أنه أخبر النبي بمقدار الطعام وأخذت تُطمئن زوجها، لقد أدركت أنّ في الأمر شيئاً، ومقتضى إيمانها بالنبي وبركته وبركة دعائه ومعجزاته هو الذي دفع عنها الحرج وطمأنّها.

وفي الحديث فضيلة لسهيلة زوج جابر رضي الله عنها، بل فضائل، في المشاعر، والإنفاق، والعمل بجدٍ ورغبة، والفطنة في ادراك المعجزة النبوية قبل أن تقع بمجرد دعوة النبي للصحابة مع علمه بقلة الطعام، وأنها تنبهت إلى هذا قبل زوجها، ثم أخذت تطمئنه وتخفف عنه، مع أن العادة أن النساء أكثر انزعاجاً واضطرابا في مثل هذا الموقف.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من زهادة بالحياة الدنيا وتقلل منها وترفع عنها حتى أصابه الجوع وشدة العيش. ليضرِبَ المثل والقدوة لأصحابه والمسلمين من بعده، وهو القادر لو أراد أن تتحول الجبال له ذهبا بأمر الله.

٢- ما كان عليه النبي ﷺ من مخالطة لأصحابه ومعايشة، فكان معهم يعاني مما يعانون، وبهذ تغرس الثقة والمحبة والتفاني في طاعة القيادة.

٣- ما كان عليه الصحابة من حب للنبي ﷺ وإيثار وتضحية من أجله، ومشاعر كريمة تجاهه.

٤- دور المرأة المسلمة في فعل الخير والعون عليه والتضحية من أجله في أصعب الظروف مع قلة الإمكانات.

٥-حرص المرأة المسلمة على سمعة بيتها وزوجها وتحسسها الفطري تجاه ذلك دونما تكلف ولا إسفاف ولا افتعال.

٦-بركة النبي ﷺ وبركة أثاره وبركة دعائه.

٧- حب الصحابة للانفاق والجود مع ما كانوا عليه من ضيق أول الأمر.

٨- حب النبي ﷺ وتقديم كل شيء لأجله وإيثاره على المال والأهل والولد.

٩- في بعض روايات الحديث أن جابر استسر النبي ﷺ بالدعوة، وفي هذا دليل على جواز الإستسرار لواحد مع وجود جماعة أما ما ورد من نهى عن أن يتناجى أثنان دون الثالث، فإن النهي محمول على هذه الحالة لا على الإطلاق.

في الاستشفاء بالرقية

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت ؟ قال: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عينٍ حاسدٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك**».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهْلِه نَفَثَ عليه بالمعوِّذات، فلما مرض مَرَضَهُ الذي مات فيه جعلتُ أَنْفُثُ عليه وأمسحه بيد نفسه. لأنها كانت أعظم بركة من يدي**».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج الحديث الأول مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري[١]، وله شاهد من حديث عائشة وابن عباس وعبادة وغيرهما[٢].

وأخرج الحديث الثاني البخاري ومسلم وأحمد من حديث عائشة[٣].

ثانياً: مفردات الحديث:

الرقية: المعالجة بالدعاء والنفث أو بدونه.

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧١٨ -السلام- باب ١٦ - حديث رقم ٢١٨٦.
وجامع الترمذي ٣/ ٢٩٤ - الجنائز - باب ٤ - حديث رقم ٩٧٢.
وسنن ابن ماجه ٢/ ١١٦٤ -الطب- باب ٣٦ - حديث رقم ٣٥٢٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١١٦٥ - ١١٦٦ -الطب- باب ٣٧ - حديث رقم ٣٥٢٧، ومسند أحمد ٥/ ٢٢٣، ٦/ ١٦٠.

(٣) صحيح البخاري -مع الفتح- ٨/ ١٣١، كتاب المغازي باب ٨٣ح رقم ٤٤٣٩.
١٠/ ١٧٢ كتاب الطب، باب ٣٢، حديث رقم ٥٧٣٥، ٥٧٥٠.
وصحيح مسلم -بشرح النووي -١٤/ ١٨٢، كتاب السلام حديث ٥١ ومسند أحمد ٦/ ١٢٤.

قال ابن الأثير: «العوذة التي يُرْقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذٰلك»[١].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

في هٰذا الحديث أن النبي ﷺ أصابه مرض، فجاءه حبيبه جبريل عليه السلام يسأله هٰذا السؤال التقريري، أتشتكي من مرض ألمّ بك؟ فقال له النبي ﷺ نعم. فرقاه جبريل عليه السلام بهٰذه الرقية التي تضمنت البسملة والدعاء بالشفاء من كل أذى ونفس وعين.

وفي حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يرقي من يمرض من أهله، ولما مرض رقته كما كان يرقي، لٰكنه كان يمسح بيده لأنها كانت أعظم بركة من يدها.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١- صلة جبريل بالنبي عليهما السلام:

اتصال جبريل أمين الوحي عليه السلام بالرسول ﷺ لأمور الوحي أمر ظاهر معلوم؛ وهٰذا الحديث يبين أن صلة جبريل بالرسول ﷺ تزيد عن أمور الوحي الخاصة إلى ما هو أعمّ من ذٰلك من أمور النبي ﷺ، والتي تدخل في معنى الوحي العام، إذ كله وحي.

وهنا يأتي جبريل عليه السلام زائراً للنبي ﷺ في مرضه ومعالجاً له بهٰذه الرقية التي أخبرنا بها النبي ﷺ. فيسأله إن كان يشتكي من مرض أصابه، والتعبير عن المرض بلفظ الشكوى سائغ مشهور، ويجيبه النبي ﷺ بنعم كما ورد التصريح بذٰلك في روايات أخرى أشرنا إليها في التخريج آنفاً.

٢- رُقيا جبريل للنبي عليهما السلام:

وهٰذه الرُقية التي يرْقي بها جبريل نبينا ﷺ تبدأ باسم الله، واسم الله مفتاح كل خير وبها يُبْعَد كلُ شيطان، وذكر اسم الله الأعظم «الله» يذكِّر بعظمة الله وقدرته التي لا يقف

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٥٤.

أمامها شيء دقيق أو جليل. فهو يعيذه مما هو فيه باسم الله، وهٰذا معنى قوله: بسم الله أرقيك.

ويعوِّذه جبريل عليه السلام أو يرقيه بهٰذه الرقية من كل أذى يصيبه، فهو من الرقى العامة التي تصلح لمختلف الأحوال والأمراض.

وبعد ذٰلك التعويذ الجامع؛ باسم الله، يُعَوِّذه من أُمور خاصة، من شر كل نفس: والنفس تطلق على كل كائن حي له روح، وهٰذا أخص من الدعاء السابق، إذ قد يكون الأذى من الكائنات الحية أو من غيرها.

أو قد يكون المراد بالنفس، النفس الانسانية الحاسدة، وهو معنى الجملة التالية «أو عين حاسد».

٣- الرُقيا من العين:

وعلى أي حال فإن العين حق وقد ورد إثباتها في العديد من الأحاديث الصحيحة الثابتة كقوله: «**العين حق ولو كان شيء سابقَ القدَرَ لسبقته العين**»[(١)] وهٰذا الحديث يثبت العين وأثرها ويبين أن هٰذا غير خارج عن القدَر. بل هو من القدَر لا يسبقه ولا يغالبه.

وتأثير العين تأثير معنوي نفسي، والإنسان مادة وروح، والنفس الإنسانية تتأثر بالعوامل المادية كما أنها تتأثر بالعوامل المعنوية، ومع أننا في زمن طغت فيه المادة إلا أن من بدهيات العصر، الطبُ النفسي، والتنويمُ المغناطيسي التلباثي Tell pathy -المخاطبة عن بعد- وما شابه ذٰلك، مما يدل على البعد النفسي غير الحسي عند الإنسان.

ومما لا يخفى على أحد آثار الإنفعالات النفسية من الفرح أو الحزن على كيان الإنسان وحياته.

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧١٩ -السلام- باب ١٦ رقم الحديث ٢١٨٨.
وقد عقد العلامة ابن القيم لذٰلك فصلاً في كتابه زاد المعاد فانظره فإنه نافع ١٣/ ١١٦.

والحاسد يملك شخصية قوية ونفساً شريرة تنظر إلى الناس فتؤثر في بعضهم، تماماً كالمنوِّم المغناطيسي الذي يملك شخصية قوية تَفْرِضُ سلطانها على نفسٍ ضعيفة الشخصية فتخضع وتستجيب.

ولعل من أعجب الأدلة على الوجود المعنوي، الروحي والنفسي وآثار ذٰلك، ما حدثنا به خبير الدراسات النفسية في اليونسكو الدكتور مالك بدري حيث قال: إن هناك عديد من التجارب والدراسات في أمريكيا وروسيا في حقل النشاط الروحي والنفسي للكائنات الحية منها أن عدة تجارب أُجريت على أرانب حيث كانت تؤخذ الأم في طائرة على ارتفاع شاهق في نقطة بعيدة في سيبيريا -أقصى شرق الإتحاد السوفيتي- وتؤخذ أبناء الأرنبة إلى مكان منخفض تحت الأرض في موسكو، ويوضع جهاز تخطيط الدماغ على رأس الأم، وفي لحظة محددة باللاسلكي يقتل أحد الأبناء، فيسجل الجهاز اضطرابات وانفعالات معينة، تتكر كلما تكررت التجربة!!

إن للنفس عالمها وطبيعتها، وللروح عالمها وطبيعتها، وللجسد عالمه وطبيعته.

وقد وردت الرقية بالإستعاذة من شر العين الحاسدة في العديد من الأحاديث، كما وردت الاستعاذة بالله من شر الحاسد في كتاب الله عز وجل، وإن كان الحاسد أعم من العين الحاسدة، إذ قد يكون الحسد بالعين وقد يكون بالصدر والنفس.

كما أوردت الأحاديث النبوية الصحيحة كيفية معالجة من يصاب بالعين، وقد ورد أكثر من أسلوب في المعالجة تجتمع كلها على وضؤ العائن وغسل طرف ثوبه في وعاء، ثم يصب هٰذا الماء على رأس المصاب بالعين من خلف.

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**العين حق، ولو كان شيء سابَقَ القدرَ سبقتهُ العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**»[١]. وانظر ما أورده الإمام النووي في شرح الغسل من العين[٢].

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٧١٩ -السلام- باب ١٦ رقم الحديث ٢١٨٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٧١.

٤- الإستشفاء بالرقية:

والرقية نظام في المعالجة لأنواع من الأمراض بعضها حسي كلسعة العقرب ولدغة الأفعى والحمى، وبعضها معنوي كالسحر والحسد والعين والجن، وقد ورد العديد من الأحاديث النبوية في هٰذا الموضوع تضمنت أنواعاً من الرُقى لأنواع من الأمراض والأعراض، وهٰذه الرقى آيات من القرآن أو نصوص نبوية مأثورة. وهي بمجملها تمثل نظاماً علاجياً متكاملاً لا ينبغي للمسلم أن يغفل عنه، وخاصة الأمهات لوقاية الأطفال وعلاجهم.

وكتب الحديث النبوي تتضمن أبواباً في ذٰلك ينبغي الإطلاع عليها ومعرفتها وحفظها واستخدامها. وقد عقد العلامة ابن القيم فصلاً قيّماً في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» لا يستغني عنه مسلم(١).

قال ابن القيم في تفسير تأثير الرقية:

«وقد جعل الله سبحانه لكل داء دواء ولكل شيء ضدا، ونفس الراقي تفعل في نفس المرقي، فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال كما يقع بين الداء والدواء، فتقوى نفس الراقي وقوته بالرقية على ذٰلك الداء فيدفعه بإذن الله. ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والأفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين يقع بين الداء والدواء الروحانيين، والروحاني والطبيعي.

وفي النَفْثِ والتَفْلِ استعانة بتلك الرطوبة والهواء والنَّفَسْ المباشر للرقية والذكر والدعاء، فإن الرقية تخرج من قلب الراقي وفمه، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنة من الريق والهواء والنَّفَسِ كانت أتم تأثيراً وأقوى فعلاً ونفوذاً، ويحصل بالأزدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية؛ وبالجملة فنفس الراقي تقابل

---

(١) ابن قيم الجوزية - زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/١١٦ وما بعدها.

تلك النفس الخبيثة وتزيد بكيفية نَفَسه وتستعين بالرُقية وبالنفث على إزالة ذٰلك الأثر. وكلما كانت كيفية نَفَس الراقي أقوى كانت الرُقية أتمَ...»[١].

٥- بركة النبي ﷺ:

في حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترقي رسول الله ﷺ بالدعاء والنفث في كفه وتمسح جسده أو مكان المرض بكفه عليه الصلاة والسلام لأن كفه أعظم بركة من كفها رضي الله عنها.

وقد ورد في أحاديث كثيرة ما يدل على بركة النبي ﷺ والتبرك بآثاره من ذٰلك أن أم سليم كانت تتطيب بعرقه ﷺ فكان في مرضه يمسح عرقه بقطعة قماش ويرسلها إليها تعصرها في قارورة لها[٢]، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون فضل وضوئه ونخامته وما يسقط من شعره ويتنافسون على ذٰلك وهٰذا أمر ثابت معروف وهو مما فضّل الله سبحانه به رسوله ﷺ وانعم به عليه وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣].

لٰكن هٰذا وغيره من الفضل أعطي للنبي ﷺ بشخصه في حياته، وهٰذا فضل الله يؤتيه من يشاء، أما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فبقي من هٰذا الفضل في بركة الصلاة والسلام عليه وعلى آله، كما بقي في الشفاعة يوم القيامة، وفي الحوض الشريف وما أوتي من فضل في ذٰلك اليوم، كما بقي من هٰذا الفضل في زيارة مسجده الشريف والسلام عليه، لٰكن ما يفعله الجهلة من التبرك بقبره والتمسح بالحجارة والبناء والحديد المحيط بالقبر فهٰذا مما لا أصل له ولا يجوز شرعاً وقد يقع الفاعل له في الشرك إن اعتقد أن البناء والحجارة والحديد والستائر تملك له نفعاً أو ضراً.

(١) المصدر السابق ٣/ ١٢٢.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٢٥، كتاب الفضائل باب رقم ٢١ح رقم ٢٣٣١.

من أحكام الحديث:

١- طبيعة الصلة بين جبريل عليه السلام وبين رسولنا عليه الصلاة والسلام وأنها ليست مقصورة على تبليغ الوحي فحسب.

٢- أهمية الرُّقية وطبيعتها وأنها أسلوب معنوي للعلاج له فائدته وآثاره النفسية والجسدية، وأنه يعالج به في مختلف الحالات المرضية.

٣- فضل الرقية والإستعاذة من الشرور والأمراض باسم الله الأعظم سبحانه.

٤- النفس حق والرقية علاج لها.

٥- في الكون والحياة عوالم غير مادية قد تلحق ضرراً ببعض الناس والوقاية منها والعلاج بالرقية والإستعاذة والدعاء والذكر وتلاوة القرآن.

٦- ما جعل الله سبحانه لنبيه ﷺ من الفضل والبركة في دعائه وجسده وأثره.

ثانياً: في الصبر على البلاء

١ - فقد الصفي.

٣- أللّهم أجرني في مصيبتي.

٤- تضحية الأم بولدها.

الحديث الأول:

فقد الصفي

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله -ﷺ- قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه، إلا الجنة**»

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث خرجه البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة(١).

ثانياً: معاني المفردات:

الجزاء: الأجر والثواب.

صفيه: قال ابن الاثير: صفي الرجل الذي يصافيه الود ويخلصه له، فعيل بمعنى فاعل(٢) أي القريب المخلص، الصافي في وده وحبه.

احتسبه: الإحتساب هو طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر(٣).

ثالثاً: المعنى الأجمالي:

يخبرنا الرسول الكريم ﷺ عن ربنا سبحانه وتعالى في هذا الحديث القدسي أنه سبحانه بفضله وكرمه إذا ابتلى أحداً من عباده المؤمنين بوفاة حبيب مصاف له مخلص في الحياة الدنيا يثيبه الجنة إذا صبر وجعل ذلك الإبتلاء والصبر في سبيل الله تعالى وابتغى به الأجر منه سبحانه، ومثل ذلك كل مصيبة يصابها العبد المسلم.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، (مع الفتح)، ٢٤١/١١ كتاب الرقاق باب رقم ٦ ح٦٤٢٤ ومسند أحمد جـ٢ ص٤١٧.

(٢) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٨٢.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١- الحديث القدسي:

هذا أسلوب نبوي كريم في إضافة القول إلى اللهتعالى، وهذا ما يعرف بالحديث القدسي. وللعلماء في بيان معنى الحديث القدسي كلام كثير، وفي الفرق بينه وبين الحديث النبوي. والذي نرجحه أن الحديث القدسي هو الحديث الذي يضاف الى الله تعالى، والحديث النبوي هو الذي يضاف الى النبي -ﷺ-.

وتسميته بالقدسي نسبة تعظيم وتنزيه، والمراد بذلك نسبته الى الله تعالى. والقدوس أحد أسماء الله سبحانه ومعناه: الطاهرالمنزه(١).

والأحاديث القدسية في إضافتها إلى الله تعالى تعظيم لشأنها حتى يكون لها الأثر المطلوب في نفس المؤمن، وهو يستشعر خطاب الله له، ولذلك فإننا نجد أن الأحاديث القدسية في مجملها إنما وردت في أبواب ترقيق القلوب وتزكية النفوس وتهذيبها.

٢- العبودية لله:

في إضافة العبد إلى الله في قوله «لعبدي» إضافة تكريم وحنو وعطف وهي أعلى المراتب التي يرتقي إليها الإنسان، ألا ترى أن الله سبحانه خاطب نبيه ﷺ بصفة العبودية ليلة الإسراء وهو سبحانه يريه من آياته الكبرى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وإذا ورد هذا التكريم للعبد باضافته الى الله تعالى في سياق الحديث عن الإبتلاء، فانما يدل ذلك على أن المراد بالمصائب التي يتعرض لها المسلم الإبتلاء والإمتحان

---

(١) انظر في معنى الحديث القدسي والحديث النبوي والفرق بينهما.
القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث ص٦٤-٦٩.

لا العقوبة والإنتقام، كيف ونحن عباده سبحانه وتعالى المُكَرّمون، فالله عز وجل يقول لهذا المصاب إنك عبدي، أنا أنسبك إلى نفسي، واضيفك اليّ أيها المؤمن. كما يتأكد هذا المعنى بقوله تعالى في هذا الحديث القدسي «عندي».

٣- الصفي من أهل الدنيا:

إن الإنسان في هذه الدنيا ضعيف محد، يحتاج إلى القريب والمعين والمؤنس للاستعانة به في مكابدة تكاليف الحياة.

وهذا الإرتباط بالولد والقريب والزوج في هذه الدنيا فطرة في النفس الإنسانية، بذلك يتم عمران هذا الكون بالتعاون، وحتى يُحفظ الجنس البشري بالزواج ورعاية الأولاد، وهذه إحدى سنن الحياة التي أَرادها الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

٤- سنة الإبتلاء:

وإذا قبض الله سبحانه روح هذا الصفي، الحبيب الخالص، من ولد أو أخ أو زوج أو قريب، إنما يصيب هذا الإنسان بمن يعز عليه، وهذه سُنَّة أخرى من سنن الله في هذه الحياة الإبتلاء والإمتحان[١].

والحياة في أصلها وغايتها امتحان لهذا الإنسان، أيحُسن أم يُسيء، أيصبر أم يشكر ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

ونصيب المؤمن في الإبتلاء أكثر من غيره، لأن الكافر أو الفاسق يكون قد أَخفق من أول امتحان، أما المؤمن فما يزال في امتحان ما دام مؤمنا صادقاً صابراً محتسباً،

(١) انظر: محمد ابو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات، ص١٥ وما بعدها.

فكأنهيرتقي من امتحان إلى امتحان، وفي كل مرة تزداد مكانته عند ربه سبحانه، كالطالب الذي يتم دراسته الجامعية والعليا يستمر من امتحان إلى امتحان ويرتقي بعد تجاوز كل امتحان. ولهذا كان الأنبياء أشد الناس بلاءً من غيرهم. وفي هذا يقول الرسول الكريم ﷺ حينما سئل أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان دينه صُلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»**(٢).

وفي هذين الحديثين الأخيرين نقف أمام سُنَّة أُخرى من سنن حياة الإنسان وهي أن الإبتلاء إنما هو كفارة في الدنيا، والإنسان في دنياه لا بد مخطىء «وكل بني آم خطاء وخير الخطّائين التوابون»(٣).

وحتى لا تُحيط الخطيئة بالإنسان فَيُحبط ويَضعف، وحتى يتخفف منها فيعاوده الأمل والرجاء، كانت رحمة الله به أن يتخفف من خطاياه بالإستغفار والتوبة، يُحدثها هو، أو بالابتلاء من الله تعالى ليطهرّه من خطيئته. ثم إن البلاء مهما اشتد فهو أرحم بالعبد وأقل بكثير من عذاب الله في الآخرة.

٥- من أنواع البلاء:

هذا الحديث يحدثنا عن نوع من البلاء وهو ما أصاب الإنسان في خاصته من أهله، لكن البلاء كما قد يكون في الأهل قد يكون أيضاً في النفس أو في المال.

---

(١) الترمذي، جامع الترمذي، جـ٤/ ٦٠١-٦٠٢ كتاب الزهد، باب ج٢٣٩٨ وقال حسن صحيح. والدارمي ٢/ ٣٢٠، وابن ماجه، السنن ٢/ ١٣٣٤ رقم ٤٠٢٣.

(٢) الترمذي، الجامع، جـ٤/ ٦٠٢ كتاب الزهد، باب ٥٦ ح٢٣٩٩.

(٣) الترمذي، الجامع جـ٤/ ٦٥٩ كتاب القيامة باب ٤٩ ح٢٤٩٩.

والآيات والأحاديث في أنواع البلاء كثيرة، وقد وردت مادة الابتلاء في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً[١].

قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال عز وجل: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ... ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وفي الحديث قال ﷺ: «إذا ابتلت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» يريد عينيه[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى النبي على امرأة تبكي على صبي لها فقال: «اتق الله واصبري»، فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين فدخلت وقالت: يا رسول الله: لم أعرفك، فقال: «الصبر عند الصدمة الأولى»[٣].

ففي هذه النصوص من الكتاب والسنة تنوع الإبتلاء في النفس والمال والأهل، وأن التقوى تعين على الصبر، وأن الصبر على البلاء يجعل صاحبه يستحق الأجر والثواب وفي قمة ذلك النجاة من النار والفوز بالجنة.

٦- من صبر على البلاء احتسابا:

والإحتساب أن يقصد المسلم أن يكون عمله لله وفي سبيل الله، وأن يطلب الثواب على صبره على ما فقد من الله عز وجل، وأن يدَّخر ما فقده عند الله. ومفهوم الإحتساب مفهوم شرعي، يُجسد غاية الانسان ورسالته في هذه الحياة، فشعار المؤمن في حياته «قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(١) انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح (مع الفتح)، كتاب المرضى باب ٧ ح٥٦٥٣ جـ١٠/١١٦.

(٣) والترمذي، كتاب الزهد باب ٥٧ ح٢٤٠٠، ٢٤٠١ جـ٤/٦٠٢-٦٠٣ والدارمي، السنن، كتاب الرقاق باب ٧٦ جـ٢ ص٣٢٣. ومسند أحمد ٢/٢٦٥.

وإن المرء ليتمالكه العَجَب من كريم صُنع الله، فهو سبحانه الذي يمنحنا ابتداءً كل ما نرفل به من النِعم، وإذا أخذ منا شيئاً مما أعطانا فاحتسبه العبد عند ربه، كان له الأجر والثواب.

والإنسان عندما يفقد حبيباً غالياً عليه، فإنه لا يَرُد المفقود أحد بعد أن قبضه الله تعالى، فإما أن يحتسبه عند الله، ويبتغي بفقدانه الأجر والثواب من الله، ويصبر رضا بقدر الله وأمره، وإما أن يجزع ويهلع، ولن ينال شيئاً. ومن هنا فإن في الإحتساب عوناً على الصبر والرضى. والسلوان بما عند الله من الأجر والثواب، وفي هذا تخفيف من وقع المصيبة على النفس وعزاء للمصاب(١).

وإن المتأمل في أحكام هذا الدين وتوجيهاته يجده يعتني بالنفس الإنسانية، ويحفظها ويقوّي عزيمتها أمام الصعاب والتحديات، خاصة في هذا الزمن الذي أصبحت فيه النفوس عاجزة عن احتمال المصائب ومواجهتها، يوم أن ضعف صمام أمن النفس وقوتها لأنها حُرمت نفحة الإيمان والحياة في ظل نظام الإسلام العادل الرحيم.

لقد اجتمع على النفس الإنسانية اليوم أنواع من المصائب والأزمات ما عرفتها من قبل، مع حرمانها من أسباب قوتها في مواجهة التحديات وهي عقيدتها ونظام حياتها المنبثق عن هذه العقيدة، فشاع في دنيا الناس اليوم من الأمراض النفسية التي لم تعرفها البشرية من قبل(٢).

٧- الجنة هي الجزاء:

والجنة في التصور الإسلامي تعني دار النعيم للمتقين في الآخرة، ودار الثواب والجزاء للعاملين والصابرين والشاكرين، وهي آخر حلقات الحياة، وفيها الخلود،

(١) انظر فيما يعين على الصبر: ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين ص٤٤ وما بعدها.

(٢) انظر محمد قطب، دراسات في النفس الانسانية ص٢٣٠ وما بعدها.

وفيها من النعيم «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١].

وإذا كان الإنسان في دنياه يكد ويكدح طوال عمره المحدود من أجل أن ينال شيئاً من متاع الدنيا الزائل، فكم يساوي نعيم الدنيا مهما بلغ بالنسبة لنعيم الآخرة، وكم يكلف نعيم الدنيا من الجهد والعناء والبذل أمام تكاليف الشرع اليسيرة لنوال نعيم الأخرة المقيم.

ولقد فصّلت العقيدة الإسلامية في أمر الجنة من خلال القرآن والسنة تفصيلاً يلفت الأنظار، مما يدل على عظيم شأنها في التصور الإسلامي، وفي حياة المسلم بما تمثله من حافز للإنسان على فعل الخير والصبر على المكروه والإنضباط في السلوك بما أراده الله تعالى له، هذا كله يتحقق عندما يتعلق قلب المؤمن بالجنة وما فيها من نعيم خالص ودائم، والنفس الإنسانية مفطورة على حب النعيم أيا كان، فكيف بنعيم الجنة؟[٢].

ولقد ربّى رسول الله ﷺ أصحابه على التجرد من كل شيء، والتضحية بكل شيء، بما كان يَعِدُهم مقابل ذلك شيئاً من متاع الدنيا، لكنه كان يَعِدُهم الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ لمن بايعوه في بيعة العقبة عندما سألوه مالهم إن هم وفوا بما عاهدوا عليه: بأن لهم الجنة[٣].

ولقد رأينا من آثار هذه التربية نماذج من الصبر والتضحية والسمو والعمل لم تعرف لها البشرية مثيلا.

وإذا كانت الجنة في التصور الاسلامي ثوابا على الإيمان والتضحية والصبر والجهاد والعمل والبذل، فإنها ليست بديلاً عن الدنيا، ولا مجرد عزاء عما يفوت من نعيمها، كما تفهمها الكنية المنحرفة عن دين الله، ولكنها ثواب على عمارة الحياة وصيانتها

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة ٢٣.
(٢) انظر صحيح مسلم (شرح النووي)، كتاب الجنة وصفة نعيمها جـ١٧ ص١٦٥-٢١٠.
(٣) مسند أحمد ٤/١١٩-١٢٠.

ومجاهدة أهل الباطل فيها، والقيام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا ترتبط في عقيدة المسلم الدنيا بالآخرة، فتكون الجنة ثمرة العمل في الدنيا، والدنيا مزرعة الآخرة. وهذا الحديث يرتب دخول الجنة على عمل من الأعمال وهو الصبر وطلب الثواب على المصاب من الله تعالى، وقد ورد في نصوص كثيرة ترتيب دخول الجنة أو دخول النار على عمل من الاعمال.

وهذه النصوص وأمثالها لا يفهم منها أن من اقتصر على العمل المنصوص عليه يدخل الجنة بفعله دون غيره، إذ ينبغي أن تفهم هذه النصوص مع مجموع النصوص الأخرى لا بمعزل عنها.

وإذا كان لا بد من أخذ كل النصوص فما معنى إفراد مثل هذه النصوص بهذا الحساب أو الثواب المقرون بها دون سواها؟

إن هذا يعني أن من فعل ذلك العمل الوارد في النص، وتحققت فيه أركان الإيمان وأركان الإسلام دخل الجنة، وأن هذا الفعل له مكانة خاصة حيث أُفرد بترتيب دخول الجنة بسببه، أي أن هذا شيء من الترغيب والترهيب يتضمن بيان أهمية مثل هذه الأعمال أو خطورتها.

أو أن هذه الأعمال هي من الأصول التي يترتب على الإيمان بها مع غيرها دخول الجنة، أو أنها من الفروع التي يعد القيام بها إشعاراً أو دليلاً على حقيقة الإيمان القائمة في نفس الفاعل لهذا العمل.

وكذا الأعمال التي إقترن بفعلها أو بتركها دخول النار ، فإمها أنها من باب الترغيب والترهيب، بمعنى أن فاعل هذه الأعمال يستحق النار، لكن قد يدخلها وقد لا يدخلها، بناء على رحمة الله وفضله، وبناء على سائر أعمال المكلف، أو أنها من الأصول التي يعد التفريط فيها تفريطا بالإيمان، أو أنها أفعال تدل على نفي الإيمان فاستحق فاعلها دخول النار.

خامساً: من أحكام هذا الحديث:

١ – مكانة العبودية لله، وأنها أساس قبول الأعمال.

٢– عظيم المصيبة بقبض الصفي من الدنيا.

٣– فضل إحتساب الأجر وآحتساب المصيبة لوجه الله.

٤– عظيم الجزاء بالجنة فهي التعويض عن كل مصاب وهي الثواب على كل عمل، ويصغر أمامها كل شيء يقدمه الانسان في هذه الدنيا.

الحديث الثاني:

فقد الولد

«عن أنس رضي الله عنه قال كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي فخرج أبو طلحة، فقُبِض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان، فقرّبت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها. فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح ابو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال (أعرّستم الليلة؟ قال: نعم قال «اللهم بارك لهما فولدت غلاماً فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات فقال: أمعه شيء؟ قال: نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها مِنْ فيه فجعلها في فيّ الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله».

وفي رواية للبخاري: **قال** ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود.

أولاً: تخريج الحديث: هذا الحديث أخرجه البخاري من عدة طرق ومسلم والنسائي والترمذي وأحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[(١)].

ثانياً: **مفردات الحديث:**

يشتكي: أي مريض.

فقُبِض: توفي.

أسكن ما كان: كناية عن الموت وهي تورية فَهِمَ منها أبو طلحة أنه نائم بسكينة بعد زوال المرض.

---

(١) صحيح البخاري -مع الفتح- كتاب الجنائز باب ٤١ رقم ١٣٠١ جـ٣/ ١٦٩ وكتاب العقيقة باب ١ رقم ٥٣٧٠ جـ٩/ ٥٨٧، صحيح مسلم الفضائل -باب ٢٠ رقم ٢١٤٤ جـ٤/ ١٩٠٩.

أعرّستم الليلة: أي الجماع.

حنّكـه: أي دلك بالتمر الذي مضغه حنك الطفل وهي بتشديد النون وتخفيفها[١].

ثالثاً: في ظلال الحديث:

في هذا الحديث صورة عملية واقعية للبيت المسلم. بما فيه من مشاعر وروابط بين الزوجين. وكيف يواجهان مصائب الدنيا في أعز ما يملكان، وكيف بلغت التربية عند المرأة المسلمة، وهي تكظم غيظها وتخفي مصيبتها وتؤثر زوجها على نفسها، وكم بلغت من الذكاء والحكمة في ذلك كله.

١- المرأة المثالية:

إنها صورة نادرة للمرأة المؤمنة العاقلة الحكيمة، ومثلها نادر في كل جيل حيث جمعت الإيمان والعقل والحكمة. وإذا وُجِدَتْ واحدة من هذه الصفات في امرأة فهي ممن يشار إليها في الفضل فكيف بمن توفرت فيها كل هذه الصفات، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

إن للإيمان دوراً أيما دور في زيادة القدرة على الإحتمال، ومواجهة المصائب بالرضا والصبر، إنها بعقيدتها واجهت مصيبتها، وقد بلغ إيمانها درجة جعلتها تحاور زوجها وتقنعه، وتعزيه وتُصَبّرُه، والعادة أن المرأة بما عرف من طبعها أحوج إلى هذا لأن عاطفتها أقوى، ومشاعرها أرق وانفعالها أكثر وإحتمالها للمصائب أقل.

إن إيمانها بأن الله مالك الملك، له الأمر كله، يعطي ويمنع، يهب ويأخذ هو الذي هوّن عليها مصيبتها ومكّنها من احتمالها وتجاوزها، بل وتعزية زوجها.

(١) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٥١.

إن مشاعرها تجاه زوجها وحبها له، وصدق هذه المشاعر وهذه المحبة جعلها تتجاوز مجرد الصبر على المصيبة وإنها والله لأشد المصائب أن تصاب المرأة بفلذة كبدها وهي الام الرؤوم الرقيقة الحانية لترتقي في مشاعرها إلى بعد آخر وترتقي درجة أعلى في السمو الانساني وهي تضيف إلى احتمالها لمصيبتها أن تكتمها -وهي المعروفة بالميل الى التشكي والحزن والبكاء عند المصيبة- بل وأن تؤثر زوجها على نفسها فتتمكن من السيطرة على مشاعرها وتجاوزها فتتزين لزوجها كأحسن ما كانت تتزين له!!

يا إلهي، أهذه من البشر أم من الملائكة، إن الإسلام لا يكلفها ذلك، بل ويحترم مشاعرها ويأذن لها في الحزن والحداد ولها حق المواساة والعزاء في مصيبتها، لكنها تتجاوز هذا كله، وتحقق خُلُقاً رفيعاً آخر في إيثار زوجها على نفسها.

وإذا كانت مشاعر الزوجية عند أم سليم في هذا المستوى من الإيثار بعد كظم الغيظ وكتم الأحزان، فكيف تكون هذه المشاعر في وضعها الطبيعي؟

إننا ندرك هنا معنى حسن تبعل المرأة لزوجها الذي دعا إليه الإسلام، واعتبره أساساً للحياة الزوجية والعلاقات الزوجية والمشاعر بين الزوجين.

وفي هذا احاطة للأسرة بجو من المشاعر التي تحفظها، وتبني بذلك أساسا لمجتمع متماسك عفيف طاهر.

٢- الفطنة ورجاحة العقل:

ويبدو في هذه القصة ذكاء أمِّ سُلَيْم وعقلها وهي تطلب من أهل البيت ألاّ يخبروا ابا طلحة حتى تخبره هي، لأنها لو لم تتخذ هذه الخطوة الذكية لما استطاعت أن تحقق ما تريد، إذ لو أخبر أحد أبا طلحة لما بقي بوسعها أن تفعل شيئاً مما فعلت.

ويتأجج هذا الذكاء والحكمة وهي تجيب زوجها عندما سألها عن حال ولده فتقول:

«هو أسكن ما كان» وهذه تورية في الكلام جعلت أبا طلحة يظن أن الولد بخير، وهي في نفس الوقت صادقة في الإخبار عن حال الولد، إذ هو بالموت في أسكن حالة يمكن أن يكون عليها. وهذا يوقفنا على خُلُق إسلامي كريم وهو الصدق وعدم الكذب «وأن في المعاريض مندوحة عن الكذب»[١]، وفي الكناية غنى عن التصريح، وفي التلميح ما يغني عن التصريح. ولقد كان من خُلُق النبي ﷺ: تجنب ذكر الأسماء فيما يُكره فيقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا» وفي هذا حرص على الصدق والحقيقة من جانب وعدم إيذاء الناس من جانب آخر. وهو القائل عليه الصلاة والسلام: **«ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابا»**[٢].

وهو القائل لإمرأة قالت لابنها تعال أُعطك: ماذا كنت ستعطينه فقالت: تمرة. فقال: أما إنك لو لم تعطه لكتبت عليك كذبة»[٣].

٣- فصاحة اللسان:

وقول أم سليم هذا يدل على فصاحتها، وحتى تكون المسلمة اليوم فصيحة ذات أدب وحسن مقال لا بد لها من تعلم العربية والقراءة في كتب الأدب والتراث، وخير معين على تقويم اللسان وفصاحته كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، تحفظ منهما ما تستطيع، وتكثر من التلاوة للقرآن والقراءة للسنة النبوية. وتعلم العربية اليوم إحياء للغة القرآن وهي من شعائر الإسلام.

---

(١) البخاري، الادب المفرد موقوفا على عمران بن الحصين ح رقم ٨٨٥ ص٢٢٥ والطبراني في المعجم الكبير قال ابن حجر في الفتح: رجاله ثقات ١٠/ ٥٩٤ وترجم به البخاري في الصحيح، كتاب الادب باب ١١٦ جـ١٠/ ٥٩٣.

(٢) صحيح البخاري- مع الفتح- الادب باب ٦٩ جـ١/ ٤١٨، وصحيح مسلم كتاب البر باب ٢٨ ح٢٦٠٦ جـ٤/ ٢٠١٢.

(٣) سنن ابي داود، كتاب الأدب باب ٨٨ ح ٤٩٩١ جـ ٥/ ٢٦٥.

وتبدو فصاحة أم سليم وحسن منطقها ورجاحة عقلها، وهي تحاور زوجها بقولها كما عند مسلم: أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم أَلَهُم أن يمنعوهم» فانطلقت من مقدمة بدهية لا يختلف فيها اثنان. حتى إذا أقرَّ معها بهذه المقدمة انتقلت إلى النتيجة فأخبرته أن يحتسب ولده وأن يطلب ثوابه من الله. . .

وفي هذا درس لنا كي نحسن الدخول الى من نناقشهم ونجادلهم، وهذا من الجدل بالتي هي أحسن؛ وللكلام والحوار ميزانه ومنطقه، وكلما كان منطقيا وعلميا ومرتبا ومتدرجا كلما كان أقدر على تحقيق الغاية منه.

٤- حسن التبعل والزينة:

وفي هذه الحادثة نقف أمام خلق كريم تبديه أم سلم لزوجها وهو تَصَنُّعها له والمراد بذلك أن تتخذ زينتها وتحسن هيئتها وتتجمل لزوجها، وهذا السلوك مع أن قدراً منه فطري عند المرأة إلا أن الإسلام يدعو إليه وينميه ويأمر المرأة بأن تتزين لزوجها وأن تريه منها ما يُسَرُّ له، وهذا من حسن التبعل الذي دعا إليه الإسلام، لما فيه من تعميق لمعاني المحبة، وإشباع للحاجات الفطرية المشروعة، وبذلك تتماسك الأسرة ويعان الزوجان على غض البصر وعدم النظر الى ما عند الآخرين، فيصان البناء الإجتماعي بالعفة والطهر: واهتماماً بهذه المعاني التي تتحق بهذا الصنيع جعل الإسلام حسن تبعل المرأة لزوجها من أفضل أعمالها، بل جعل الإسلام قضاء الشهوة بالحلال إحدى العبادات مع أنها بدوافع الفطرة والشهوة.

وإذا كان هذا الأمر مطلوبا من المرأة على وجه التغليب، لانها بالزينة ألصق ولها أحوج ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨]. إلا أن الاسلام يطلب ذلك من الرجل أيضاً نحو زوجته.

وفي التعبير عن استعداد المرأة لزوجها، ومن الواقعة الجنسية بـ: «فوقع بها» نلحظ الأدبْ والعفة والطهر، في العلاقة بين الجنسين وفي الألفاظ التي تصف هذه العلاقة.

وأدب الكلمة لا يقل عن أدب السلوك والمعاملة إن لم يكن أكثر اهمية وخطرا لاتساع مجال انتشار الكلمة وهذه سمة من سمات الأدب الإسلامي والفن الاسلامي، إذ يمكن الحديث عن أكثر الأمور حساسية ودقة لكن بالكلمة العفة والعبارة الطاهرة، ولعلنا نجد في سورة يوسف في القرآن الكريم صورة ونموذجا للأدب الإسلامي، كيف يصف أكثر الأمور حساسية من غير إثارة ومن غير تركيز ولا ترغيب بالمشاعر الأثمة، الثائرة- وإنما بوصفها بما تستحق وباستقذارها، بما يجعل القارىء يحتقر الفاحشة ويستعلي عليها.[(١)]

٥- الاسلام والجنس:

والإسلام ينظر إلى الشهوة والجنس وسائر الحاجات الفطرية نظرة عملية واقعية مثالية، يعترف بها، ويشرّع الوسائل لممارستها وتحقيقها، ويرعاها ويصونها ويرغِّب فيها ويحث عليها، يفعل ذلك كله بمستوى مثالي يليق بالإنسان الذي كرمه الله على العالمين.

وهذه النظرة فرع عن التصور الإسلامي للإنسان،هذا التصور الذي يتعامل مع الإنسان كما هو على فطرته وحقيقة بخصائصه الفطرية وحاجاته واستعداداته كما هو في واقعه وهذه هي واقعية الإسلام فهو لا يتعامل مع نموذج موهوم عن الإنسان ولا مع صورة خيالية للانسان، وإنما يتعامل معه بواقعه الذي هو عليه، بفطرته واستعداداته وحاجاته.

لكن الإسلام وهو يتعامل مع الإنسان بهذه الواقعية لا يتعامل معه ليقره على واقعة، ويبرر له واقعه أيا كان، حتى يكون تابعا لهذا الواقع بالفتوى والتبرير، وإنما يأخذ بيد هذا الانسان من واقعة -أيا كان- ليرتقي به، وفق فطرته وحاجاته واستعداداته إلى أرقى صورة يمكن أن يرتقي إليها هذا الإنسان، وهذه هي مثالية هذا الدين[(٢)].

(١) انظر: قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي.

(٢) سيد قطب، خصائص التصور الاسلامي، مبحث الواقعية ص١٩٢ وما بعدها.

وبناء على هذا التصور الإسلامي للإنسان -بواقعية ومثالية- نجد الإسلام لا يتأفف ولا يتقزز من شهوة الجنس عند الإنسان ولا من غيرها من الشهوات والحاجات كما فعلت الكنيسة في رهبانيتها المزعومة، ولا يجعل حياة الانسان حمأة جنسية ومستنقعاً جنسياً بحيث يصير الجنس وراء كل نشاط للإنسان كما هي أوروبا اليوم بعد أن أفلتت من رابطة العقيدة والدين، وصار حاديها فرويد وأمثاله من اليهود، الناقمين على البشرية السائرين بها نحو الدمار(١).

وفي ظل المجتمع الإسلامي، وبوحي من توجيهات الإسلام، عاشت البشرية قرونا لم تعان فيها من شيء اسمه مشكلة الجنس، وفي ظل النظام الغربي الذي أفلت من رابطة العقيدة عاشت البشرية المشكلة وما تزال، وعلى طريق حلها المزعوم بالإباحية والفساد والإختلاط والتبرج، ازدادت المشكلة تعقيداً، وزادت الشهوة استعارا، وورثت البشرية أمراضاً اجتماعية وإنسانية جسيمة، من تمزق رابطة الأسرة، وضياع الاطفال وشقاء المسنين وتهديد المجتمعات بالإنقراض لقلة النسل، وتهديدها بالانقراض بأمراض الفوضى الجنسية المخالفة لفطرة هذا الانسان، وما وباء الايدز إلا واحد منها. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

ومن هنا ندرك معنى اهتمام الإسلام بهذه القضية حتى إنه ليجعلها عبادة في سبيل الله، فضلاً عن التشريعات العديدة من الزواج والحث عليه والترغيب فيه والإنفاق على المحتاجين إليه، وتيسير المهور، وإعطاء الفتاة حقها باختيار الزوج، وأحكام النفقة والحضانة والتربية، وحقوق الزوجية، والطلاق، وغير ذلك من التشريعات التي يراد بها كلها إقامة بناء المجتمع على أساس متين وصيانته بسياج من العفة والطهر، حفاظاً عليه، ومن أجل تمكينه من تحقيق غايته في الحفاظ على الجنس الإنساني وصيانة

(١) انظر محمد قطب، الانسان بين المادية والاسلام ص١١، ص١٦٥ وما بعدها.

النفس الانسانية بتحقق حاجاتها وصيانة المجتمع من الأوبئة المدمرة التي تنتج عن فوضى العلاقات الجنسية.

٦- في دعاء النبي ﷺ السكينة:

وفي القصة يبدو ابو طلحة، وهو يلوم زوجته ويغضب كيف جعلته يعيش حاجته وشهوته وهو في في هذه المصيبة من فقدان فلذة كبده، فينطلق الى رسول الله ﷺ يشكو اليه مصابه، ويخبره بما كان معه، فتتجلى فيه صورة المجتمع المسلم المشدود الى هدي النبوة، وصورة أصحاب رسول الله ﷺ وهم يعودون إليه في كل شؤونهم، كيف لا وهو الذي أخرجهم باذن الله من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، ويعز عليه ما يلاقون، وبه يقتدون. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فيجد أبو طلحة في رسول الله ﷺ العزاء وهو يدعو له، بأن يبارك الله لهما في هذه الليلة، أي أن يرزقا من الذرية ما يعوّض عليهما ما فقداه، وأبو طلحة يعلم ما تنطوي عليه بركة دعاء النبي ﷺ، ولقد عاش ورأى العديد من بركاته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام، فتسكن نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ويحسن عزاؤه، ويحتسب ولده عند الله ويرجو من رحمة الله ببركة دعاء الرسول ﷺ، فيكون له خيراً مما فقد وأكثر.

٧- النهي عن طروق النساء ليلاً للمسافر:

وفي الحديث خُلُق نبوي كريم وهو أنه عليه الصلاة والسلام: كان إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً، والطروق هو الدخول ليلا، أي أن النبي ﷺ، ما كان يأتيها ليلاً، ولا يفاجىء الناس بقدومه، قال ﷺ «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً**»[(١)]

(١) صحيح البخاري، مع الفتح كتاب النكاح باب ١٢٠ ح٥٢٤٤ حـ٩/ ٣٣٩.

وقد ترجم له البخاري بقوله «باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم».

فهو لا يريد أن يفاجيء الرجل أهله بعودته وفي هذا إشارة الى خُلُقين كريمين.

أولهما أن تستعد الزوجة للقاء زوجها بالتزين والنظافة وحسن المظهر حتى لا يرى فيها ما يكره وفي هذا توثيق لعرى المحبة والرضا والقبول، ودفع لمعاني الجفوة والبعد بينهما.

وهذا معنى قوله عليه السلام: «**إذا نظر اليها سرته**...»[(١)].

وثانيهما: أن تقوم العلاقة بين الزوجين على الثقة والطمأنينة وعدم التجسس بين الزوجين، فيشعرها بقدومه قبل أن يقدم.

٨- اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ وحبهم له:

وفي الحديث بيان لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حب للنبي ﷺ واتباع له واقتداء به في كل أمورهم، حتى الأمور العادية غير التكليفية، فها هو أبو طلحة نموذج لهذا المعنى، يحب أن يخرج مع النبي إذا خرج، وأن يرجع معه إذا رجع، وتحفل كتب الحديث بنماذج عديدة لهذا المعنى، فأنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما كنت أحب القرع حتى رايت رسول الله ﷺ يأكله ويبحث عنه في القصعة فأحببته.

وابن عمر رضي الله عنه يسافر فيتزل حيث كان النبي ﷺ ينزل، ويصلي في المكان الذي صلى فيه النبي عليه الصلاة والسلام. ويقول سفير قريش في مفاوضات صلح الحديبية ما رأيت أحدا أشد حبا لأحد من أتباع محمد لمحمد.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح باب ٥ ح١٨٥٧ جـ٥٩٦/١ وسنن النسائي كتاب النكاح باب ١٥ جـ٦٨/٥.

نذكر هذه الأمثلة، ونحن نرى واقع المسلمين اليوم يفرّطون بالفرائض والسنن، ويزعمون مع ذلك أنهم يحبون رسول الله ﷺ ويتبعونه، يرون دينه يحارب، وأتباعه يطاردون في الأرض وشريعته تقصى عن الحياة، ومسراه اسيراً في أيدي البغاة... كل هذا ولا يتحرك لهم ساكن، ثم هم يحبون رسول الله ﷺ!!

٩- من فضائل أبي طلحة وأم سليم:

وفي القصة فضيلة لأبي طلحة ولأم سليم، بل كرامة لهما، فالله سبحانه يستجيب لرغبة أبي طلحة في أن يدخل المدينة برفقة النبي ﷺ، فيرفع عن أم سليم ما تجد من ألام المخاض بعد أن تأخر معها عندما أخذها المخاض، وأسرع النبي ﷺ في المسير ليدخل المدينة قبل حلول الليل.

وأبو طلحة يناجي ربه، مفصحاً عن رغبة وحاجة، فيستجيب الله له، وهو القائل سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] والنبي ﷺ يخبرنا عن استجابة الله لعباده بقوله: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»(١).

والقرآن يقص علينا كيف استجاب الله عز وجل للمجادلة التي استمع سبحانه لقولها، واستجاب ليوسف وهو يدعوه ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤].

وهكذا ينبغي أن يكون تصور المسلم لقرب استجابة الله فيتوجه اليه، كلما حزبه أمر، وكلما ظهرت له حاجة ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ... ﴾ [النمل: ٦٢].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب ٤٠ ح٢٦٢٢ جـ٤/ ٢٠٢٤.

١٠- من هدي النبي ﷺ تحنيك الأطفال:

وفي الحديث أن أم سليم أمرت ابنها أنس بن مالك أن يرسل وليدها إلى رسول الله ﷺ يحنكه فيكون أول طعام يخالط جسم الطفل بيد رسول الله ﷺ وريقه، والتحنيك سنة من سنن الاسلام وهو أن يمضغ شيء من التمرد يمرر في فم الطفل على دكة أسنانه الىأطراف حنكية ويفضل أن يقوم بذلك إنسان صالح تيمنا بالخير والصلاح والبركة للطفل وفي هذا تنظيف لفم الطفل ووضع شيء من الحلوى الرطبة في فمه لتيسير عملية الابتلاع، ولا زلنا نرى امهاتنا وجداتنا يبدآن إطعام الطفل الوليد بشيء من السكر الفضي، لتحقيق هذا المعنى.

ولقد كان الصحابة حريصين على أن يحنّك أبناءَهم رسول الله ﷺ وكثيراً ما كان يسميهم، ولقد حنّك ابن أَم سليم وسماه عبد الله، وعبد الله هذا تحققت فيه بركة دعاء رسول الله ﷺ لأبويه بأن يبارك الله في ليلتهما، وبركة تحنيكه له عليه الصلاة والسلام، فكان من ثمار ذلك أن يكون لعبد الله هذا تسعة أولاد من قراء القرآن الكريم .

١١- أحب الأسماء:

وفي تسميته هذا الغلام بعبد الله تنبيه الى سنة من السنن في الأسماء فقد قال ﷺ: «**أحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الهمام والحارث** »[(١)]. وقد كان النبي ﷺ يأمر بتغيير بعض الأسماء القبيحة أو التي تحمل معنى شريراً أو تخالف الإعتقاد السليم.

ومن هذه التوجيهات النبوية في التسمية نقف على مفهوم الإسلام للأسماء، فالأسم لمّا كان علَماً وعنواناً على صاحبه فلا بد من أن يكون متضمناً لمعان خيرة لا لمعان شريرة، والإسم الذي يتضمن معنى خيرا يكون لصاحبه كالمذكّر بالخير، وكذا اسم الشر كالمذكر بالشر. ولقد كانت العرب تقول: لكل مسمىّ من اسمه نصيب.

(١) مسند أحمد حـ٤/١٧٨، ٣٤٥.

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن ما يشيع على ألسنة الناس من أن أحب الاسماء الى الله ما حُمِّد وعُبِّد، هذا قول لا يصح، ولا أصل له عن النبي ﷺ.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- من صفات المرأة الصالحة رجاحة العقل وفصاحة اللسان وحسن التصرف.

٢- حسن تبعّل المرأة المسلمة لزوجها وصبرها على مصيبتها وكظمها لحسرتها.

٣- الهدي النبوي في تحنيك الأطفال واستيعاب النبي ﷺ لأصحابه ومعايشته لهم ورجوعهم إليه في سائر أمورهم.

٤- فضل أبي طلحة وأم سليم.

٥- بركة دعاء النبي ﷺ.

٦- حسن التسمية للأولاد.

الحديث الثالث:

اللهم أجرني في مصيبتي

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها»** قالت: فلما توفي أبو سلمة و قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه، رسول الله ﷺ.

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث مسلم ومالك وابن ماجه وأحمد من حديث أُم سلمة وبين بعض طرقه زيادة أو اختلاف يسير[1].

ثانياً: مفردات الحديث:

أجرني: أو آجرني: بالمد والقصر أي أعطني أجري وجزاء صبري وهمي[2].

أخلف له: أي ردّ عليه عوضاً عنه.

ثالثاً: المعنى الإجمالي للحديث:

الحياة الدنيا دار ابتلاء، والإنسان يصاب بنوع أو أكثر من أنواع البلاء، والنبي ﷺ يعلمنا أن نستقبل المصيبة بالإيمان والصبر، فنقول إنا وكل شؤوننا لله، ومصيرنا الرجوع إليه سبحانه، ونسأله عز وجل أن يعطينا أجر المصيبة التي صبرنا عليها. ونسأله أن يرد لنا

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٣٣ -الجنائز- باب ٣ - ح رقم ٩١٩.
وموطأ مالك ١/ ٤٣٦ -الجنائز- باب رقم ١٤ - ح رقم ٤٢.
وسنن ابن ماجه ١/ ٥٠٩ -الجنائز- باب ٥٥ - ح رقم ١٥٩٨ (بأختلاف في اللفظ).
ومسند أحمد ٦/ ٣٠٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٢٢٠.

خيراً منها، هٰكذا ينبغي أن يستقبل المسلم المصائب، ومن إستقبلها بذٰلك فإن الله يأجره على مصيبته ويبدله خيراً منها. ويحكي لنا الحديث قصة أم سلمة عندما توفي زوجها وأنها قالت ما أمرها به النبي ﷺ، فأخلفها الله خيراً من أبي سلمة، فقد تزوجها النبي ﷺ، وهو خير الخلق.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١ - الإبتلاء في الحياة:

الإنسان في هٰذه الحياة عُرضة للمصائب والابتلاء، فهٰذه الحياة الدنيا إنما وجدت ابتلاءً واختباراً للناس ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢] والإسلام يبين للناس هٰذه الحقيقة على أنها سنة من سنن الحياة، ليخفف عليهم وقع المصيبة إن أصابتهم، وليقوي معنوياتهم على إحتمال المصيبة وعدم الإنهيار أمامها. والابتلاءات والمصائب تكشف عن حقيقة نفوس الناس وعن صدق إيمانهم، كما أنها تصقل شخصياتهم ونفوسهم وترتفع بقدراتهم وتحملهم، وهي كذٰلك تزكي نفوسهم وتطهرهم، كما أنها تنفي عن طريق أصحاب الدعوات الخبث والضعف والنفاق، لأن حظ أصحاب الدعوات من الإبتلاءات كثير وتكاليف السير على طريق الله باهظة وصعبة فلا يُقبل عليها إلاّ ذووا العزائم الصادقون[(١)].

٢- الترجيع عند المصيبة:

وفي هٰذا الحديث يرشدنا النبي ﷺ إلى الموقف الذي ينبغي أن يستقبل به المسلم المصيبة إن وقعت فهو أولاً يتوجه إلى الله بٱستسلام وإنابة معلناً أنّ كلّ شيءٍ لله، وأنّ الأمر كله لله وأن لا حول لأحد ولا طول أمام أمر الله ومشيئته، وأن مرد الناس جميعاً إلى الله، وما دام الأمر كذٰلك فإن ما افتقده الإنسان بالمصيبة التي أصابته، إنما هو لله،

---

(١) انظر الحديث الأول ص٣٣ وما بعدها.

وقد استرده الله، فقيم الحزن إذن، ثم إن مرد كل شيء ومرجعه إلى الله، فقد رجع هٰذا الذي فقدناه إلى مالكه سبحانه، ونحن كذٰلك مردّنا إلى الله يوم يحين الأجل.

بهٰذا التصور الإعتقادي للمسألة يخفف الإسلام من وقع المصيبة على النفوس، ويحيلها إلى باب للإنابة إلى الله وطلب ما عنده برجاء.

٣- الدعاء عند المصيبة:

ثم هو يتوجه إلى الله بالدعاء أن يأجره على مصيبة ويثبته على ما صبر وما أصابه من الغم والهم، وثواباً يوم القيامة إذ فيها يكون الأجر. وكلما ازداد تعلق الإنسان بما عند الله يقل خوفه وجزعه ويزداد أمله وصبره.

ثم هو ثالثاً: يسأل الله أن يرد له خيراً مما فقد، والله سبحانه هو الذي وهب ثم إنّ المسلم يحمد الله تعالى على أن كانت مصيبته بهٰذا القدر، وذٰلك الكيف فالله تعالى كان قادراً على أن يجعلها أكبر من ذٰلك وأشد، وليكن لطفه وحكمته اقتضت غير ذٰلك، فيحمد الله تعالى الإنسان على ذٰلك.

العباد أبتداء، فإن أخذ شيئاً مما وهبهم، فهو سبحانه الذي يملك ويقدر على أمر يرد إليه ما سلبهم إياه، بمثله أو بخير منه، إذ الفضل منه وإليه سبحانه. وحتى إذا كان المصاب في عزيز أو شيء عظيم لا يأمل صاحبه بخير منه، فإن المسلم مأمور أن يسأل الله الخير، وهو سبحانه وحده الذي يعلم أين الخير ويملك أن يمنع خيراً مما أخذ.

نموذج من الصحابيات:

فهٰذه أم سلمة رضي الله عنها يتوفى زوجها شهيداً في غزوة أحد، فتتألم عليه وتبكيه، ثم تذكر حديث رسول الله ﷺ هٰذا، فتتردد في نفسها، وهي تتساءل وهل هناك خير من أبي سلمة ؟.

إنها ما تأملت في أفضل من أبي سلمة رضي الله عنه الذي أصيبت بفقدانه، ولا تعلم أن هناك خير من أبي سلمة حتى تتأمله، لٰكنها تغفل عن رسول الله ﷺ، فتدعو بالدعاء الذي علمها إياه رسول الله ﷺ، وتلتزم بأمره بالدعاء مع هٰذا التردد. فيتزوجها رسول الله ﷺ، لتنال بذٰلك خيراً من أبي سلمة وليتحقق ما أخبر به النبي ﷺ، فلما ٱلتزمت بأمر النبي ﷺ، نالت هٰذا الخير العظيم، وصارت إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها.

وأم سلمة التي تذكر في هٰذا الحديث أن الله أخلفها خيراً عندما دعت بما أمر به النبي ﷺ، يُعد هٰذا الموقف من مواقفها العظيمة، فهي على حبها لأبي سلمة، وشدة مصابها بفقده تتردد بأن يكون هناك خير منه يخلفها الله به إلا أنها تفعل ما أمر به النبي ﷺ، فيكون الخير الذي لم تحتسبه.

وهٰذا الموقف يؤكد لنا أن على المسلم أن يلتزم بأمر هٰذا الدين، فإنه لا بد إلى خير. والشقاء في مخالفته والخروج عليه أو الغفلة عنه ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

وفي حياة أم سلمة رضي الله عنها مواقف نهتبلُ هٰذه المناسبة لنذكرٌ بها فهي معالم على طريق المرأة المسلمة المعاصرة.

هاجرت أم سلمة مع زوجها إلى الحبشة وتحملت أعباء السفر والغربة في سبيل دينها ودعوتها.

وهاجرت أم سلمة إلى المدينة بعدما رجعت إلى مكة من الحبشة، وتعرضت في هجرتها إلى صنوف من العذاب، ما صدّتها كلها عن الإصرار على الإلتحاق بالمدينة والإنضمام إلى الجماعة المسلمة.

روى ابن حجر بسنده عن أم سلمة قالت: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل بعيراً له وحملني وحمل معي ابني سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني

المغيرة قاموا إليه فقالوا: هٰذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هٰذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خِطام البعير من يده وأخذوني، فغضب عند ذٰلك بنو عبد الأسد -أهل زوجها- وأهووا إلى سلمة، وقالوا: والله لا نترك إبننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة. وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، فَفُرِّقَ بيني وبين زوجي وابني»[١].

وتبقى أم سلمة تبكي، حتى صار بكاؤها حديث الناس، حتى رق لها رجل فتوسط بين أهلها وأهل زوجها أن يعيدوا إليها ولدها وأن تلحق بزوجها وفعلاً تم ذلك.

والموقف الآخر هجرتها من مكة الى المدينة وحدها، ثم يسر الله لها رجلا شهما رافقها بأدب واحتشام حتى وصلت المدينة[٢].

والموقف الثالث يوم أن أشارت على النبي ﷺ بعد صلح الحديبية أن يحلق ويذبح الهدي ويتحلل من إحرامه فإذا رآه الناس اتبعوه، وأخذ النبي ﷺ برأيها. ومع أم سلمة في موقف آخر، يخطبها ابو بكر فترفض، ثم يخطبها النبي ﷺ فتعتذر له بأنها مُصْبِية -ذات صبية- وأنها غيرى -شديدة الغيرة-.

فيقول النبي ﷺ للرسول اليها: قل لها، أما قولكِ: غَيْرى، فسأدعو الله فتذهب غيرتك. وأما قولكِ إني امرأة مُصْبية: فستُكْفَيْنَ صبيانك، وأما قولك ليس أحد من أوليائي شاهدا: فليس أحد من أوليائك شاهد أو غائب يكره ذلك، فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله ﷺ، فزوجه[٣].

(١) ابن حجر العسقلاني، الاصابة ٨/ ٢٢٢.

(٢) نفسه.

(٣) المصدر السابق ٨/ ٢٢٣.

هذه مواقف عظيمة لهذه المرأة العظيمة، استطردتُ بذكرها، لكثرة ما نسمع هنا وهناك من تساؤلات حول دور المرأة ومكانتها، ففي حياة أم سلمة نموذج للمرأة المؤمنة الصادقة في إيمانها القوية فيه، المجاهدة الصابرة فإين من هذه المواقف هؤلاء اللواتي يكثرن الحديث والكلام ولاحظً لهن من العمل والتطبيق. إنها في سبيل دينها تتحمل وتبذل، والله سبحانه لا يضيع أجر المحسنين فيأجرها ويخلفها خيراً مما بذلت.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- الناس عرضة للمصائب في هذه الحياة الدنيا، وهذه سنة الحياة، وهذه النظرة تخفف من وقع المصائب إذا وقعت.

٢- المصيبة ابتلاء واختبار، لذا كان على المسلم أن يرد الأمر الى الله ويعلن أن كل شيء لله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٣- والمسلم إذا أصيب يتوجه الى الله بالدعاء أن يؤجر على مصيبته جزاء صبره وما تعرض له من ضيق وبأس وهم.

٤- وعليه كذلك أن يسال الله أن يرد إليه خيرا مما أخذ، فإليه الأمر، وهو ذو فضل عظيم سبحانه.

٥-إذا التزم المسلم عند المصيبة بهذا الأمر النبوي بشروطه الثلاثة: أن يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وأن يسأل الله أن يأجرُه في مصيبته، وأن يسال الله أن يخلُفه خيراً منها فإن الله يسجيب له فيعطيه أجر مصابه، ويخلفه خيراً مما فقد.

٦- قصة أم سلمة نموذج عملي على الإلتزام بالأمر النبوي وتحقق الوعد والجزاء لمن التزم به.

٧- وفاء أم سلمة لزوجها المتمثل في حرصها على اتبّاع ما هو عليه من الحق، والهجرة معه الى الله ورسوله، وشدة الحزن عليه عند وفاته، وثنائها عليه حتى إنها لم تتصور أن هناك من هو خير منه. وهكذا ينبغي أن تكون المسلمة.

٨- قوة شخصية أم سلمة وصراحتها ووضوحها وهي تحاور رسول الله ﷺ عندما خطبها بأنها غيرى ومصبية وليس أحد من أهلها حاضر، ثم لما أجابها أمرت ابنها أن يزوج رسول الله ﷺ بها.

٩- حرص رسول الله ﷺ على رعاية وتكريم أصحابه ذوي السابقة، فأم سلمة التي هاجرت مرتين، تصاب الآن بفقد زوجها، وهي في غربتها عن أهلها، فلا تضيع عند المسلمين، بل يتزوجها سيد الخلق رسول الله ﷺ وما كان زواجه بها إلا تكريماً لجهادها وفضلها وسابقتها وإلاّ فهي لم تكن في سن يرُغبُ فيه بالزواج. فقد قالت عندما خطبها النبي ﷺ: «ما مثلي يُنكح. أمّا أنا فلا يولدُ لي وأنا غيور ذات عيال. فقال: أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله»[1].

(١) ابن حجر العسقلاني، الاصابة ٨/ ٢٢٣.

الحديث الرابع

تضحية الأم بولدها

عن أبي سعيد الخدري قال: قالت النساء للنبي: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، **فوعدهن يوما، فوعظهن، وقال فيما قال لهن**: «**ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان ذلك لها حجابا من النار**».

فقالت امرأة: يا رسول الله: واثنين، قال: «**واثنين**».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم وأحمد، **كلهم من حديث أبي سعيد الخدري**، عن النبي ﷺ[1]، **وقد ورد من طرق بألفاظ متقاربة بنفس المعنى**.

ثانياً: مفردات الحديث:

غلبنا عليك الرجال: سبقونا وزاد نصيبهم عنا في الأخذ عنك.

فاجعل لنا يوما من نفسك: أي خصص لنا يوما تحدده باختيارك.

فوعظهن: الموعظة، التذكير بالخير الذي يرقق القلب.

تقدم ثلاثة من ولدها: أي تحتسب عند الله وفاة ثلاثة من ولدها، ذكورا أو إناثا.

حجابا من النار: واقياً لها من النار.

واثنين: قال: واثنين، **أي ومن تحتسب اثنين من ولدها كذلك**.

---

(١) صحيح البخاري ١١٨/٣، -مع الفتح- الجنائز ٦ رقم الحديث ١٢٤٩، جـ٣ ١٩٥/١ - العلم، باب ٣٦ حديث رقم ١٠١.
وصحيح مسلم حـ٤ص ٢٠٢٨ البر الصلة والأدب باب ٤٧ حديث رقم ١٥٢، ومسند أحمد حـ٣/ ص٣٤، ص٧٢.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- المرأة في المجتمع المسلم:

في هذا الحديث صورة للعلاقات الإجتماعية فيما يتعلق بنشاط المرأة في المجتمع ومدى اختلاطها بالرجال، فالنساء يأتين للمسجد ويأتين لبيوت أمهات المؤمنين، ويلتقين برسول الله ﷺ يسألنه في امور دينهن ودنياهن.

ولعل هذا اللقاء الذي كان فيه طلب تخصيص يوم خاص بالنساء سواء كان في المسجد بعد إحدى الصلوات أو في أحد بيوت أمهات المؤمنين، والأغلب أنه في المسجد والله أعلم.

كما أن النساء كنَّ يحضرن صلاة العيد في المصلى الجامع على عهد رسول الله ﷺ، ومضت هذه السنة الى يومنا هذا، وان انقطعت للأسف في بعض البلدان في هذا العصر، لكنها في طريقها الى العودة ثانية والحمد لله، وكان النبي ﷺ يأمرهن، حتى الحيض والنفساء منهن أن يشهدن دعوة الخير مع المسلمين في صلاة العيد(١)، وكان عليه الصلاة والسلام، يأتيهن في صفوفهن المتأخرة عن صفوف الرجال يعظهن ويحثهن على الصدقة.(٢)

لكنها مع ذلك ما كانت تختلط بالرجال اختلاطا مباشرا، كأن تجالسهم أو تحادثهم وانما كانت تجلس مع جماعة النساء، في صفوف بعيدة ومنفصلة عن صفوف الرجال، لذلك فإنها كانت تحتاج لفقه دينها ان تخصص للنساء جلسات خاصة مع النبي ﷺ، ومن هنا كان هذا الحديث، وهذه مناسبته.

---

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) جـ٢/ ٤٦٣ كتاب العيدين، باب ١٥ ح رقم ٩٧٤ .

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) جـ٢/ ٤٦٦ كتاب العيدين، باب ١٩ ح رقم ٩٧٨ .

٢- طلب المرأة للعلم:

حرص المرأة المسلمة على تعلم دينها وعلى طلب العلم، لأنها في هذا الدين مثل الرجال من حيث التكليف والواجبات وفعل الخير، إلا ما ورد من أمور خاصة بالمرأة بناء على طبيعتها أو وظيفتها أو ظروفها.

لكن طلب العلم وهو فريضة على كل مسلم، وكذا على كل مسلمة، ليس على إطلاقه، بحيث يكون في كل العلوم، أو يكون مطلوبا مهما كانت الظروف، فالعلوم منها فروض عين كالعلوم الإسلامية، والقدر المفروض منها ما تصح به العقيدة ويسلم الإيمان وما لابد منه للقيام بأركان الإسلام وسائر أحكامه العملية، أما باقي العلوم الإسلامية فليست فروض عين بل فروض كفاية، ومن العلوم ما هو فرض كفاية وهذا يشمل سائر العلوم النافعة، إلا أن يتعين على مكلف بعينه لظروف وملابسات أن يتعلم علما من العلوم فهنا يكون في حقه فرض عين، أو أن يحتاج المسلمون الى علم، فلا يقوم بتعلمه أحد، فيصير فرض عين، على المؤهلين، حتى إذا تعلموه عاد فرضا كفائيا، وهذا في حق المرأة لا يكون إلا في تخصصات معينة لابد منها للنساء.

وكذلك اذا كان طلب العلم لا يتحقق الا في ظل ظروف من ارتكاب المحرمات، كالإختلاط والتبرج والإبتذال، فهذا يحرم على المراة وعلى الرجل هذا هو الأصل، ثم تقدر كل حالة بقدرها بعد ذلك بناء على مصلحة المسلمين وحاجاتهم، فقد يختار أهون الشّرين.

٣- التنافس على العلم والخير:

ويبدو من خلال هذا الحديث التنافس الشريف على فعل الخير، فالنساء يشعرن بسبق الرجل لهن في العلم والإجتماع الكثير مع الرسول الله ﷺ فيبدين حرصهن على الخير والعلم، ويرغبن في أن لا يسبقهنّ الرجال في هذا الفضل.

وإنّه لفضلٌ عظيم أن يتاح لأحد من الناس أن يجالس النبي ﷺ فيسعد بجو صحبته وأنس محبته، وارتشاف سنته، والتعلم بين يديه، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وأوتي جوامع الكلم فحُقّ لهن أن يحرصن على مجالسته والتلقي عن، وهنيئاً لهن وهنيئاً لمن شرفهم الله بهذا الفضل، نسأل الله أن يعوضنا عنه بشفاعته يوم القيامة والشرب من حوضه الشريف.

٤- التأدب مع النبي ﷺ:

ومع شدة الحاجة لمجالسة النبي ﷺ وشدة الحرص على التعلم بين يديه والتتلمذ عليه، إلاّ أن الأدب مع الرسول المربي، يأبى عليهن إلا أن يطلبن إليه أن يحدد هو بنفسه الموعد لهن، وأن يجعلن إختيار الموعد منه ﷺ، مع تلهفهن على هذا اللقاء، فاجعل لنا يوما من نفسك.

٥- اهتمام النبي بالمرأة:

والنبي ﷺ، يجعل لهن يوما، ولا يجد في ذلك غضاضة، وعلى كثرة أعبائه ومسؤولياته، وهذا إهتمام بالمرأة ومكانتها في فترة مبكرة من تاريخ البشرية، ما عرف في زمانه ولا في الأزمان السابقة، إهتمام بتعليمها أمور دينها وحياتها، وتبدو قيمة هذا الإهتمام في الدور الذي تؤديه المرأة في أسرتها وأولادها ومجتمع النساء إذا هي تعلمت.

٦- الموعظة والتربية:

إن الأسلوب النبوي في التربية والتعليم، أن يسبق كلامه بموعظة حتى تستجيب القلوب وتستثار معاني الإيمان والخير فيها، فتهيأ للتلقي والتعليم والتزام الأمر، وهذا واضح في هذا الحديث، ولعل الصحابي أختصر الحديث ولم يذكر نص الموعظة لأنه من الأمور المعروفة في أسلوب النبي ﷺ.

ومن هذا المعنى كان المنهج الإسلامي متميزاً بين سائر المناهج التي عرفها البشر في جمعه بين التوجيه والتشريع، فأحكام الإسلام ليست أوامر جافة تستند في التنفيذ إلى قوة السلطان وأجهزة التنفيذ والمراقبة فحسب، وإنّما تستند قبل ذلك ومع ذلك الى إحياء القلب أولاً، وإيقاظ الإيمان، فتهيىء للأمر قوة أخرى من داخل النفس، هي أقوى واكثر تأثيرا من قوة السلطان مهما بلغت.

ولعل من أهم أسباب ضعف التزام الناس بقوانين البشر هو فقدانها لسلطان الايمان، الذي لا يساويه سلطان على النفس الإنسانية.

٧- المرأة تقدم ولدها:

في قوله عليه الصلاة والسلام ما منكن امراة تقدم في التعبير بتقدم إشارة إلى دور المرأة في البذل والتضحية، فهي التي أعدت هؤلاء الأولاد وأنشأتهم على حب الجهاد وبذل النفس؛ وحتى إذا مات أولادها في غير الجهاد، فإن الإسلام يَعُد الأم هي التي قدمت، قدمت عملها الصالح بين يدي الله سبحانه تبتغي به الأجر، فلم يقل النبي ﷺ، ما فيكن امرأة فقدت مثلا إشارة إلى هذا المعنى فهي إما أن تقدم أولادها للمعركة والجهاد، وإما أن تقدمهم إذا فقدتهم في غير هذا الميدان، وهي تحتسب ما عندالله.

٨- صبر المرأة المؤمنة:

الحديث يحث على الصبر، وأحتمال البلاء، وأحتساب أي شيء من ذلك عند الله سبحانه وهو يصور المرأة التي تفقد أولادها بأنها تقدمهم لله سبحانه وأبتغاء مرضاته، ورضاً بما يقدّر ويقسم، وله الأمر كله سبحانه، وإن العزاء والأجر الذي بيّنه النبي ﷺ لمن تصبر وتحتسب وهو أن يكون ذلك حجابا لها من النار وما أدراك ما النار ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٦]، لعمر الحق، لو أن الواحد منا قدم كل الدنيا، وقدّم نفسه لينجو من عذاب النار لكان ما قدم يسيرا، وما حازه كبيرا ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٩- نموذج المرأة المسلمة:

لقد اتعظت النساء الحاضرات وبدت إستجابتهن وأدركن الثواب العظيم الذي ينتظر من تقدم ثلاثة من ولدها وتحتسب، فإذا ببعضهن تسأل عن من تقدم أقل من الثلاثة، إنها حريصة على أن تُحجب عن النار، ولو بتقديم أثنين من فلذات كبدها، فهل تنال ذلك، فيبشرها النبي ﷺ بانها تنال ذلك بأثنين أيضا.

وقد وردت روايات أخرى غير هذا الحديث فيها السؤال عمن تقدم واحداً، وأنها أيضا تنال هذا الفضل، ومع أن هذه الروايات غالبها ضعيفة، إلا أن الحكم والله أعلم يجري على من تقدم واحدا، إذا كانت قد ذاقت بفقدانه حسرة القلب، وحق فيها البلاء، وصبرت واحتسبت والله أعلم، وأصل ذلك كله التقوى والرضا بقدر الله وأحتساب الأجر عنده على كل عمل، وعلى كل أبتلاء ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، فالمهم تقوى القلوب لا مظاهر الأعمال.

١٠- ورد في روايات أخرى للحديث زيادة «مالم يبلغ الحِنْث»[(١)] أي أن البلاء إذا وقع بفقد الصغير الذي لم يبلغ حتى يأتي المعاصي، يكون أشد على النفس ولذلك خُص بأنه حجاب من النار، لكن هل ينال هذا الأجر من فقد أولاده كباراً، لا شك أن هذا في كثير من الأحيان يكون أشدا ألماً وأصعب مصاباً، فيدخل من باب أولى، خلافاً لمن زعم غير ذلك.[(٢)]

١١- المعنى الوارد في هذا الحديث ليس خاصا بالنساء بل هو عام في النساء والرجال، وورد الحديث في النساء لأنهن المخاطبات[(٣)]، وكذلك لفظ الولد والحديث عام في البنين والبنات، وكل مولود ولد، ولا اختصاص هنا لجنس على آخر،

---

(١) صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ ٣/ ١١٨ حديث رقم ١٢٥٠ كتاب الجنائز- ٦.

(٢) انظر فتح الباري ٣/ ١٢٠.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٩.

لأنهما في مجال المصيبة والابتلاء متساويان، لا يهون على الوالدين فقدان أي منهما.

رابعاً: من أحكام هذا الحديث:

١- مشروعية التنافس في الخير للنساء والرجال.

٢- مشروعية تخصيص حلقات علمية للنساء، مع الستر والعفة والبعد عن التبذل في القول أو العمل.

٣- أهمية علوم الدين وحرص نساء السلف على تعلمها والشعور بالتنافس فيها مع الرجال.

٤- لطف النبي ﷺ ورحمته برعيته، وحسن رعايته لهم بالوعظ والتربية.

٥- أجر الصبر على البلاء والرضا بالقضاء واحتساب المصيبة عند الله.

٦- الولد من عمل والديه يواجران على فقدانه واحتسابه.

٧- في الحديث فضيلة للصحابيات رضي الله عنهن فقد كن يتنافسن في الخير، وكانت الآخرة أكبر همهن يهون كل ما يبذل لها.

ثالثاً: في الطهارة

١- غسل اليدين بعد النوم.

٢- إخوان رسول الله ﷺ الغر المحجلون.

٣- التطهر من بول الأطفال.

الحديث الأول:

غسل اليدين بعد النوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه الامام مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد من حديث جماعة عن أبي هريرة(١) وفي بعض الروايات ذكر الثلاث وبعضها «حتى يغسلها» دون ذكر الثلاث.

وفي الباب من حديث ابن عمر وجابر وعائشة،ذكرهم الترمذي(٢).

ثانياً: المعنى الإجمالي للحديث:

جاء الإسلام ليحفظ على الإنسان نفسه وحياته،وضمْن رعاية الإنسان الصحية والوقاية من أسباب نقل الأمراض والقاذورات، يعلمنا النبي ﷺفي هذا الحديث حكماً نحتاج إليه يومياً. وهو غسل الأيدي عند الإستيقاظ من النوم قبل أن نستخدمها وتكرار هذا الغسل ثلاثا، لأن الإنسان في نومه يفقد وعيه وسلطانه على جوارحه فلا يدري ماذا لامست يده في نومه. فلعلها تلامس فرجه أو نجاسات أو حشرات تمر بجانبه وهو نائم أو أي ضرر كهذا..

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٣٣ -الطهارة- باب ٢٦ رقم ٢٧٨، وسنن ابي داود ١/ ٧٧ -الطهارة- باب ٤٩، رقم ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥. وجامع الترمذي ١/ ٣٦ - الطهارة، باب ١٩ رقم ٢٤، وسنن النسائي ١/ ٦، الطهارة، باب ١. ومسند أحمد ٢/ ٢٤١، ٢٨٦.

(٢) جامع الترمذي ١/ ٣٧.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- مقاصد الشريعة:

الاسلام دين الله للناس ونظام الله للحياة، جاء لينظم حياة الإنسان وليحافظ على هذا الإنسان وعلى كل حاجاته، ومن هنا فقد أجمع فقهاء الإسلام على أن للشريعة الاسلامية مقاصد تدور أحكامها عليها، وتهدف الى رعايتها وصيانتها، وهذه المقاصد، تعرف عند العلماء بمقاصد الشريعة الخمسة: حفظ النفس، وحفظ الدين، وحظ المال، وحفظ العقل، وحفظ النسل.

وإذا تأمل الباحث وأنعم النظر في أحكام هذه الشريعة الجزئية والكلية يجد أنها جميعاً تهدف إلى تحقيق هذه المقاصد، وصيانتها.

فأحكام الله جاءت لرحمة البشر ولرعاية مصالحهم. لا كما تصور العقائد الزائفة والديانات المحرّفة من أن الله إنما يريد أن يتسلط على هذا الإنسان ويسخرّه لأمره، لمجرد الأمر، فالله غني عن العباد، منزه عن العبث، وهو العليم الحكيم سبحانه.

وحديثنا هذا يتناول جزئية تتعلق بصحة الإنسان التي بها يُحافَظُ على النفس الإنسانية وهي المقصد الأول من مقاصد هذا الدين.

٢- نظافة المسلم:

وتتلخص هذه القضية في الحرص على النظافة والإبتعاد عن أسباب التلوث والقذارة والأمراض وعما يساهم في نقلها الى جسم الإنسان. فيعلمنا النبي ﷺ إذا استيقظ الواحد منا من نومه أن يبدأ بغسل يديه ولا يغمسهما في الماء الذي يتطهر به أو يشربه قبل أن يغسلهما، ويغسلهما ثلاث مرات.

وذِكْرُ غمس اليد في الإناء، لا يجعل الحكم مقصوراً على هذه الحالة، بل يدخل في هذا الحكم كل حاله تشارك هذه الحالة في علة هذا الحكم، إن علة هذا الحكم هي ما

يتعلق باليد من نجاسات أو قذارات أثناء النوم، فالأكل باليد قبل غسلها، أو وضع اليد في الفم أو مسح العين بها أو مصافحة الآخرين أو صناعة الطعام بها أو غسل الفاكهة والخضار بها قبل غسلها، هذه الحالات وغيرها تدخل في هذا الحكم.

ويدخل في هذا المعنى أيضاً أن تغسل المرأة يديها عندما تغسِّل لطفلها قبل ذلك وبعده. وكذلك عندما تلامس يداها أي نجاسة أو أوساخ أثناء عملها المنزلي من كنس البيت وجمع النفايات وجلي الآنية وما الى ذلك.

وجاء هذا التوجيه النبوي، والحكم الشرعي،قبل أن تكتشف البشرية الجراثيم وطرق نقلها وتكاثرها، ليكون الإسلام سبّاقا إلى رعاية صحة الإنسان ووضع أداب الصحة العامة والوقاية الصحية السليمة، وليكون من علامات النبوة ومعجزات الإسلام، فمن أين عرف النبي ﷺ ذلك إلا أن يكون وحياً من الله أوحي إليه.

ويأخذني العجب وأنا أقف أمام هذا النص النبوي وأمثاله، فقد تضمن معلومات دقيقة ندركها اليوم بعد اكتشاف الجراثيم... فيرد النص بصيغة عامة تشمل حاجة الناس المخاطبين في ذلك الزمان، وفي نفس الوقت تصلح الصيغة نفسها لمخاطبة إنسان اليوم، ولتستوعب معارف إنسان اليوم، ولا عجب فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه «أوتي جوامع الكَلِم»[1] أي قدرته على استيعاب المعاني الكثيرة في الكلام القليل الموجز.

وفي الأمر بالغسل ثلاثا توكيد للنظافة وحرص على إزالة أية آثار للنجاسة أو الأوساخ قد تَعْلَقَ بالأيدي، وهذا تأصيل لمعنى الوقاية الصحية، والثقافة الصحية والوعي الصحي الذي تنبّه اليه الناس حديثا.

وهذا الحديث واحد من عدد كبير من الأحاديث التي تضمّن كل واحد منها جانباً من جوانب النظافة والوقاية الصحية، وما أحاديث المياه والطهارة، وأحاديث الإستنجاء

(١) صحيح البخاري -مع الفتح- حـ٦/ ١٢٨ كتاب الجهاد ح رقم ٢٩٧٧.

والوضوء، وأحاديث الغسل من الجنابة والحيض والنفاس، وأحاديث الغسل ليوم الجمعة والعيدين وأحاديث السواك، وتغطية الآنية وعدم الشرب من فم السقاء، وإزالة الشعر الزائد وقص الأظافر.. وما شابها إلا جوانب في عناية الإسلام بالنظافة إلتي هي سوابق حضارية أحدثها الإسلام في حياة الناس.

ومن الطُرّف الحضارية ذات الدلالة في هذا السياق أن الأوروبيين لما احتكوا بالمسلمين عبر الحروب الصليبية عجبوا من الحمامات العامة والحمامات الخاصة في البيوت، إذ لم يكن الأوربيون يعرفون الحمامات، وكانت الكنيسة تَعُد عدم الإغتسال من القربات الى الله، وقد دخلتُ بيوتا في عاصمة هولندا في هذه السنوات وليس فيها حمام للاغتسال!.

٣- تعليل الأحكام:

وفي قوله عليه الصلاة والسلام «فإنه لا يدري أين باتت يده» هذا تعليل لهذا الحكم،حكم غسل يديّ من استيقظ من نومه ثلاثا قبل أن يستعملهما، إذ النائم يفقد وعيه ويغيب سلطان العقل والإرادة عن حركات الجوارح، فلا يدري الإنسان ماذا لامست يداه وهو نائم، فقد تلامس عورته، وقد تحك جلده وتدميه، وقد تلامس أوساخا أو نجاسات أو حيوانات أو هواماً مرت بجانبه وهو نائم... فما دام لا يدري عن حركة يده وأين باتت، فعليه أن يغسلهما قبل استعمالهما من قبيل الإحتياط.

وذِكْرُ غمس اليد في الإناء، لأن آنيتهم كانت واسعة وكانوا يغرفون منها لوضوئهم، ولما كان النائم يبدأ أعماله عندما يستيقظ بالوضوء للصلاة، وذكر النبي ﷺ أنه عليه أن يغسل يده التي يغرف بها ثلاثا قبل أن يدخلها في الإناء ليغرف منها لوضوئه. أما اليوم والبيوت مزودة بالصنابير التي لانحتاج أن نغرف أيدينا فيها، فالحكم باق لتنظيف الأيدي مما قد يكون علق بها في النوم قبل أن نغسل بها سائر الأعضاء، أو قبل أن نستخدمها في اي عمل له علاقة بطعام أو شراب أو آنية أو ملامسة للناس وما شابه ذلك مما قد ينقل النجاسة أو القاذورات -إن وجدت- داخل الجسم أوالى الآخرين.

رابعاً: من أحكام الحديث:

وأخيرا فهذا الحديث من أبواب الفقه التي تتعلق بالطهارة وإزالة النجاسات وقد ذكر العلماء العديد من المسائل الفقهية التي يبينها هذا الحديث[1]:

١- هل ينجس الماء إذا وُضِعَت فيه اليد قبل أن تُغْسل، ذهب الى ذلك بعض العلماء والراجح عدم نجاسته مع كراهة استعمال هذا الماء، إلى هذا ذهب الشافعي وأحمد، وعامة أهل العلم إلا إذا تيقن وجود نجاسة على يده فعندها ينجس الماء.

٢- وفي الحديث دليل لمن ذهب من العلماء إلى أن ورود النجاسة على الماء القليل تنجسه وإن لم تغير أوصافه، وفي المسألة خلاف مشهور فقد رأى جماعة من العلماء أن الماء لا ينجسه شيء يخالطه إذا لم تتغير أوصافه (اللون، الريح، والطعم).

٣- في الحديث ذكر للغسل ثلاثاً وورد في نصوص أخرى غسل النجاسة سبعا، والراجح في المسألة أن الغسل سبعاً مخصوص بنجاسات معينة كلعاب الكلب، وأن الغسل ثلاثا، إنما هو للإحتياط، ويكفي الغسل مرة واحدة إذا زالت آثار النجاسة.

٤- وفي الحديث دليل على التفريق بين ورود النجاسة على الماء، وورود الماء على النجاسة، فلا ينجس الماء القليل مالم تتغير أوصافه على الرأي الراجح، وتطهر النجاسة بالقليل من الماء الذي تغسل به.

٥- والحديث يدل علىأن الرخص تنحصر بمكانها ومقدارها ولا تتعداه فإن اليد التي أُمرنا بغسلها قبل أن نغمسها في الإناء إنما تنجس لأنها قد تلامس العورة ومكان الإستنجاء، ولما كان الإستنجاء يمكن أن يكون بالحجر أو الورق، أي بغير الماء، فإن النجاسة تبقى أثارها في موضع الإستنجاء، وهذه الأثار معفو عنها رخصة،

(١) انظر في هذه المسائل وغيرها: صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٨٠-١٨١ سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي ١/ ٧٦-٧٧ في الحاشية.

لكن هذه الرخصة لا تتعدى موضع الإستنجاء إلى اليد إذا لامسته، أو إلى الماء، ولذلك وجب غسل اليد ولم يجب غسل مكان الإستنجاء.

٦- والحديث أصل في الأخذ بالإحتياط، إذ نجاسة اليد ليست متيقنة وإنما أُوجِبَ غسلها قبل غمسها في الماء من قبيل الإحتياط.

٧- وفي الحديث تنبيه الى أدب من أداب الإسلام وهو الترفع عن التصريح باسماء ما يستقبح واستعمال ألفاظ الكنايات بدلاً من ذلك إذا كان المخاطب يفهم دلالة الكناية، فالنبي ﷺ كنى عن ذكر الدبر والعورة بقوله: «لا يدري أين باتت يده».

٨- رعاية الإسلام لمختلف مصالح العباد.

٩- إهتمام الإسلام بالنظافة والصحة العامة والوعي الصحي والوقاية الصحية.

١٠- إهتمام الإسلام بالأخذ بالأسباب.

١١- التحذير مما يعلق على اليد من نجاسات وأوساخ باعتبارها أكثر الجوارح إتصالا بالأشياء وبالأخرين، وهي وسيلة الإنسان في طعامه وشرابه وأخذ حاجاته؛ وإنها قابلة لنقل الأضرار والأوضار.

١٢- الغسل بالماء مع التكرار أسلوب للنظافة والتطهير مما يعلق باليد من نجاسات وأوساخ.

١٣- تنبيه الناس الى ما قد يحصل معهم في غفلة النوم.

١٤- الماء لسيولته قابل لنقل الأوساخ والأمراض، فلا بد من الحذر من تلويثه وعدم لمسه بالأيدي قبل غسلها وتطهيرها.

١٥- المحافظة على البيئة وعدم تلويثها سواء كانت ماءً أو هواءً أو نباتٍ أو حيوان أو إنساناً أو يابسة... أخذاً من الحرص على عدم غمس اليد في الإناء قبل غسلها.

١٦- كراهية الوضوء من الماء الذي تغمس فيه يد المستيقظ من نومه دون أن يغسلها[١].

١٧- يؤخذ من الحديث أن النجاسة غير المرئية تغسل ثلاثا[٢].

١٨- ذهب الإمام النووي الى أن علة هذا الحكم هو الشك في النجاسة وليس ذلك مخصوصاً بالنوم، بل حيثما شك الإنسان في نجاسة يده بنوم أو غيره، ينبغي غسلها قبل غمسها في الماء أو استعمالها[٣].

(١) جامع الترمذي ١/ ٧٧.
(٢) سنن النسائي حاشية السندي ١/ ٨.
(٣) صحيح مسلم الشرح النووي ١/ ١٨٠-١٨١.

الحديث الثاني:

إخوان رسول الله ﷺ الغر المحجلون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال:

«السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا، قالوا: أوَلسنا إخوانَكَ يا رسولَ الله؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأتِ بعدُ من أُمَّتك يا رسول الله؟ قال أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظَهْرَيْ خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرفُ خيلَه؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غُرّاً محجلين من الوضوء، وأنا فَرَطُكُم على الحوض، ليذادن رجالٌ عن حوضي كما يُذَادُ البعيرُ الضالُ، أناديهم: ألا هَلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول سُحْقاً سُحْقاً».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ومالك وأحمد. من حديث أبي هريرة، وقد ورد بوجهين: تام كهذا الحديث، ومختصر بذكر السلام على أهل القبور دون ذكر باقي الحديث في رواية عند أبي داود وأحمد(١).

ثانياً: معاني المفردات:

دارَ قومٍ مؤمنين: أهلَ الدار على سبيل المجاز، والمراد أهل القبور إذ القبر هو الدار.

---

(١) صحيح مسلم ٢١٨/١ -الطهارة- باب ١٢ رقم٢٤٩. وسنن أبي داود ٥٥٨/٣- الجنائز- باب ٨٣ رقم٣٢٣٧. وسنن النسائي ٩٣/١ -الطهارة- صفة الوضوء باب رقم ١١٠ سنن ابن ماجه ١٤٣٩/٢ -الزهد- ٣٦، رقم ٤٣٠٦.

الموطأ ٢٨/١ -الطهارة- باب ٦ رقم ٢٨.

إنا إن شاء الله بكم لاحقون: الإستثناء بالمشيئة هنا من باب الأدب مع الله سبحانه، إذ الموت حق لا بد منه. والمسلم في كل شأنه يقول: إن شاء الله.

خيل غُر: من الغُرّة وهي بياض الوجه.

مُحجلة: المحجل هو الذي يرتفع البياض في قوائمه الى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين، لأنها موضع الاحجال وهي الخلاخيل والقيود.

دُهم: الدهمة: السواد، ويقال للفرس: أدهم وبعير أدهم وناقة دهماء.

بُهم: وهو الأسود، وهذا تأكيد لقوله: دهم: والفرس البهيم: هو الذي لا يخلط لونه شيء سوى لونه.

فَرَطَكُم: أي أتقدمكم.

ليذادن: الذود هو الطرد.

سُحقا: أي بُعْدا.

ألا هَلُمَّ: أي تعالوا: ويجوز أن نقول هلم: للواحد والجمع من المذكر والمؤنث ويجوز أن نثنيها ونجمعها ونؤنثها. والأول أفصح وبه جاء في القرآن الكريم.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ كثيراً ما يزور المقابر ويسلم على أهلها ويدعو لهم، ويذكّر من حوله بأننا جميعا ننتظر هذا المصير، وفي إحدى زياراته تمنى عليه الصلاة والسلام رؤية إخوانه الذين يأتون آخر الزمان، في لفتة تربط بين الأجيال من المؤمنين عبر الزمان، ويصف أتباعه المتأخرين بأنهم إخوانُه، وأنه يوم القيامة يعرف أتباعه من أصحابه وإخوانه بميزة يتميز بها المؤمنون وهي الوضوء، فيأتون يوم القيامة غراً محجلين، أطراف أيديهم وسيقانهم بيضاء من الطهارة التي تميزهم عن سائر الأمم، وأن أتباعه من

السابقين واللاحقين يَرِدُون على حوض النبي ﷺ،وهو يكون قد سبقهم إلى الحوض، وأن الملائكة ستطردُ وتُبعِدُ بعض الأتباع، فيناديهم النبي ﷺ بأن يقبلوا على الحوض فيقال له إنهم قد غيّروا بعدك وبدّلوا، فيدعوا النبي ﷺ عليهم بالبعد عنه إلى مكانٍ بعيد، فلا يستقبل من خالفوا هديه.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١- زيارة القبور:

في هذا الحديث سنة نبوية كريمة هي زيارة المقابر، وفي هذا عظة للزائر، والموت خير واعظ، وقد كان عمر بن الخطاب يلبس خاتما كتب عليه «كفى بالموت واعظاً يا عمر». وفي زيارة المقابر تكريم للأموت وإشعار الأحياء باتصال الحياة الدنيا مع حياة البرزخ -الحياة في القبر- والحياة الآخرة. لهذا كان النبي ﷺ يكثر من زيارة المقابر في الليل والنهار، ولزيارة المقابر أحكام وأداب ينبغي للزائر أن يراعيها، فيسلم عليهم ويدعو لهم، ولا يطأ على قبر ويتأدب في القول والعمل بما يناسب الحال. والإسلام نهي النساء عن زيارة القبور لرقتهن وعدم احتمالهن، وبعض العلماء يرى أن هذا النهي كان قبل الأذن بزيارة القبور[١]، وعلى اي حال فإذا زارت المرأة المقبرة فينبغي التقييد بالحشمة والستر وعدم التبرج والابتذال، وعدم النياحة. وما عليه الناس اليوم من توزيع الطعام والشراب، وإحضار المقرئين المتكسبين لتلاوة القرآن على القبور، كلها بدع لاأصل لها في ديننا، فقد كان النبي ﷺ يزور المقبرة فيسلم على أهلها ويدعو لهم، كما في هذا الحديث: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون...». وما شابه ذلك من السلام والدعاء.

والإسلام وهو يدعو الى زيارة القبور يُشْعِرُ المسلمَ باستمرار الصلة بمن فقده من أهله، ويقلل من جزعه ويعزيه، زيادة على ما فيها من بر واحترام للميت، وهذا يتعلق

(١) انظر سبل السلام ٢/ ١١٤.

بطبيعة الحياة البرزخية، حيث أخبر النبي ﷺ بأن الميت يفرح بزيارة الحي وبالدعاء له والإستغفار.

٢- اخوان رسول الله ﷺ:

وفي هذا الحديث يصل النبي ﷺ الحاضر -بالنسبة اليه- بالمستقبل فيذكر لأصحابه المعايثين له تمنيه للقاء إخوانه، ويعرّف إخوانه بأنهم الذين يأتون بعده، وأن الذين عاصروه هم أصحابه.

وقد ورد ذكر المسلمين الذين يأتون بعد النبي ﷺ في العديد من الأحاديث، فورد أنهم اخوانه وأنهم يؤمنون عن طريق ما يجدون في الكتب عن هذا الدين، وأنهم لو فعلوا عشر ما يفعل الصحابة لأخذوا مثل أجرهم وأنهم لا يجدون على الخير أعوانا. كما ورد في روايات هذا الحديث.

وذِكْرُهَم في هذا الحديث بأنهم إخوانُ النبي ﷺ وتمني النبي لقاءَهم فيه ثناء عليهم وتعزيز لهم وتخفيف مما يلاقونه، وتكريم أي تكريم أن نكون إخوان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وأنه يتمنى لقاءَنا، فنسأل الله أن نكون على طريقته وسنته لا على طريق من غيّروا وبدّلوا بعده، حتى ننال هذه المكانة وهذا التشريف.

٣- فضل إسباغ الوضوء:

وهذا الحديث يبين فضل الوضوء ومكانته وأن ما يمّيز أتباع النبي ﷺ بين سائر الأمم هو هذا الوضوء وهذا الطهور. فالطهر والطهارة شعارنا وشارتنا المميزة، ومن هنا «فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل» كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

وقد ورد في فضل الوضوء كثير من الأحاديث، فهو شطر الإيمان، وهو سلاح المؤمن، وهو كفارة من الذنوب تتساقط عن صاحبها بتساقط قطرات مائه...[(١)].

(١) في فضل الوضوء: انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٣٥.

الحديث الثالث:

التطهر من بول الأطفال

عن لُبابة بنت الحارث قالت: كان الحسين بن علي في حِجْر رسول الله، فبال في ثوبه فقلت يا رسول الله: إلبس ثوبا وأعطني إزارك أغسله، قال: «إنما يُغسلُ من بول الانثى، ويُنضَح من بول الذكر».

أولاً: تخريج الحديث:

حديث لبابة هذا خرجه أبو داود في سننه وابن ماجة في السنن[١].

وورد في هذا الباب عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة يطول الكتاب بتخريجها، قال الإمام الترمذي بعد أن روى حديث أم قيس ـ وفي الباب عن علي وعائشة وزينب ولُبابة بنت الحارث ـ وهي أم الفضل بن عباس ـ وابي السَّمح وعبد الله بن عمرو وابي ليلى وابن عباس»[٢].

ثانيا: مفردات الحديث:

الصحابية لبُابة المذكورة هنا هي زوج عم النبي ﷺ، العباس بن عبد المطلب، وهي أم الفضل بن عباس.

ومعنى النضح: الرش أو الصب ويأتي بمعنى الغسل، لكنه ليس هو المراد هنا، لأنه ورد مقابلاً للغسل.

---

(١) سنن أبي داود حـ١/ ٣٦٢ كتاب الطهارة باب ١٩٧ ح رقم ٣٧٥ وسنن ابن ماجة، حـ١/ ١٧٤ كتاب الطهارة باب ٧٧ ح رقم ٥٢٢.

(٢) جامع الترمذي حـ١/ ١٠٥، كتاب الطهارة، باب ٥٤ ح رقم ٧١.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

هذا الحديث من أحاديث الأحكام، وقد اخترته لما فيه من بيان حكم شرعي لمسألة تحتاج إليها الأمهات بخاصة، والمجتمع بعامة، ولما فيه من إشكال يحتاج إلى بيان وتحديد الحكم الشرعي في هذه المسألة.

وفي هذا الحديث عدد من المسائل كما يلي:

١- معنى النضح:

الألفاظ التي وردت بها الأحاديث المتعلقة بهذا الحكم الشرعي يفسر بعضها بعضا: فقد وردت كما هنا «ينضح من بول الذكر» وفي حديث عائشة في الصحيحين «فدعا بماء فأتبعه إياه» وعند مسلم بزيادة «ولم يغسله» وفي حديث زينب عند الطبراني وعبد الرزاق «يصب من الغلام ويغسل من الجارية» وفي حديث أبي السمح عند أصحاب السنن إلاالترمذي «يغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام» وفي حديث عبدالله بن عمرو عند الطبراني في الأوسط أُتي بصبي فبال عليه فنضحه وأُتي بجارية فبالت عليه فغسله».

فمعنى النضح في هذه الروايات هو الرش أو الصب أو إتباع الماء للبول، وقد ورد التصريح بأنه مقابل للغسل. وهذا هو معناه في اللغة، وقد ورد أيضاً بمعنى الغسل كما في الحديث «ونضح الدم عن جبينه» وفي الحيض «ثم لتنضحه»[(١)] والذين يحملون النضح في الحديث على الغسل يرد عليهم ما ورد في الروايات الأخرى من التصريح بعدم الغسل.[(٢)]

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٧٠، القاموس المحيط ١/ ٢٥٣.

(٢) انظر جامع الترمذي بتحقيق أحمد شاكر ١/ ١٠٦ الحاشية، والمباركفوري، تحفة الأحوذي ١/ ٧٦ وانظر في معنى النضح: عون المعبود ١/ ٣٤، ولسان العرب، ٣/ ٤٥٧ وما بعدها.

٢- التفريق بين بول الذكر والأنثى:

ورد عن العلماء عدة أقوال في ذلك جمعها ابن القيم بقوله: «وهذا من محاسن الشريعة وتمام حكمتها ومصلحتها، والفرق بين الصبي والصبية من ثلاثة أوجه:

أحدها كثرة حمل الرجال والنساء للذكر فتعم البلوى ببوله فيشق عليه غسله.

والثاني أن بوله لا ينزل في مكان واحد بل ينزل متفرقا ههنا وههنا فيشق غسل ما أصابه كله بخلاف بول الأنثى.

الثالث: أن بول الأنثى أخبث وأنتن من بول الذكر وسببه حرارة الذكر ورطوبة الأنثى فالحرارة تخفف من نتن البول وتذيب منها ما يحصل مع الرطوبة، وهذه معان مؤثره بحسن اعتبارها في الفرق»[(١)].

وكلام ابن القيم هذا تضمن أن العلة في التفريق بين بول الذكر والأنثى شرعية تتمثل في التيسير في بول الطفل لكثره حمله، وفي التيسير في تطهير بوله لانه يتناثر فيصعب غسل مساحة كبيرة من الثوب الذي يصيبة.

وعلة أخرى طبية تمثلت في التفريق بين بولهما من حيث طبيعته، وفسر ذلك بحرارة الذكر ورطوبة الأنثى.

أما هذه العلة الطبية، فانها تستند الى نظرية شاعت عند السابقين من الأطباء وهي أن هنالك أمزجة أربعة، وسلامة الجسم مردها الى التوازن بين هذه الأمزجة وأن أي تغيير في أحد هذه الأمزجة بمثابة تفسير لأيي عارض مرضي يطرأ على الجسم.

ومن مقتضيات هذه النظرية تقسيم الجنسين إلى حار ورطب وكذلك الكائنات الحية والأغذية الى أخر ذلك.

وهذه النظرية تلاشت في العصور الحاضرة، ولا يعترف بها الطب الحديث.

---

(١) ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/ ٧٨-٧٩.

أما التفريق بين بول الذكر وبول الأنثى طبيا فليس لدى الأطَباء حتى الأن أي تفريق بينهما لا باعتبار الحرارة والرطوبة ولا بأي اعتبار آخر، إلا الهرمونات الذكرية في بول الذكر والأنثوية في بول الأنثى، هذا ما يقوله الاطباء بناء على التحليل المخبري لديهم.

وقد راجعت عددا من الأطباء في تخصصات مختلفة من وظائف الأعضاء والمسالك البولية والنسائية والطب الباطني والتحاليل الطبية، وكلهم أجمعوا على أن الطب الحديث لا يعرف أي فرق بين بولي الذكر والأنثى.

وعلمت أثناء بحثي أن رسالة ما جستير مسجلة في كلية طب الأزهر في هذا الموضوع.

فلعل الباحث يقف على حقيقة العلة الطبية إن كان ثمة علة طبية.

كما وعلمت أن هناك فرقا بين البولين لا من حيث طبيعتهما وتكوينهما وإنما من حيث تلوثهما بعد المرور من الأعضاء التناسلية عند الجنسين، حيث تعارف الأطباء على أن التلوث الجرثومي في بول الطفل يعتبر دليلا مرضيا، على حين يعتبر التلوث الجرثومي في بول الأنثى طبيعي لأنه في الغالب يتلوث عند خروجه من عضو التناسل عندها، ولذلك فإن أطباء المسالك البولية يحتارون في طريقه أخذ عنيات بولية للفحص من الإناث ويضطرون أحيانا إلى أخذها من المثانة مباشرة بواسطة الأبر، ليضمنوا عدم التلوث من المخرج، ليفرّقوا بين ما إذا كان التلوث مرضيا في أصل البول أو عارضاً عليه عند مرورة من المخرج.

وعلى أي حال فإن هذا التفريق لا يصلح في اثبات الفرق الوارد في الحديث، ذلك لأن أحاديث أخرى ذكرت أن هذا مالم يطعما[1] فاذا طعما فيغسل بول الذكر وبول الأنثى بلا تفريق، والتعليل المذكور هنا قائم قبل أن يطعما وبعد أن يطعما، فلا يفسر الفرق الموجود في الحديث.

(١) سنن ابي داود، حـ١/ ٢٦٣ كتاب الطهارة باب ١٣٧ ح رقم ٣٧٧، ٣٧٩.

وعلى أي حال فلا نشك في أن هناك فرقا بين بول الذكر وبول الانثى في حكم هذه المسألة، لأنها إخبار عن رسول الله ﷺ المعصوم والمؤيد بالوحي، سواء أكانت العلة علة شرعية للتيسير على العباد، أو كانت علة طبية لم يقف العلم البشرى على حقيقتها بعد. وكم من المسائل التي لم يعرفها العقل البشري إلاحديثا، وكم من المسائل ما يزال أمامها حائرا ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلعله يأتي اليوم الذي يقف فيه العلم البشرى مثبتا لهذه المعجزة النبوية كما جاء في كثير من المسائل حتى اليوم.

٣- أقوال العلماء في حكم هذه المسألة:

قال ابن القيم: «وأما غسل الثوب من بول الصبية ونضحه من بول الصبي إذا لم يطعما فهذا للفقهاء فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنهما يغسلان جميعاً، والثاني ينضحان. والثالث التفرقة وهو الذي جاءت به السنن، وهذا من محاسن الشريعة وتمام حكمتها ومصلحتها»[١].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «واختلف العلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب: أصحها الأكتفاء بالنضح في بول الصبي لا الجارية، وهو قول علي وعطاء والحسن والزهري وأحمد واسحق وابن وهب وغيرهم.

والثاني: يكفي النضح فيهما، وهو مذهب الأوزاعي وحكي عن مالك والشافعي، وخصص ابن العربي النقل في هذا بما اذا كانا لم يدخل أجوافهما شيء أصلا ـ أي حديثي الولادة.

والثالث: هما سواء في وجوب الغسل. وبه قال الحنفية والمالكية. قال ابن دقيق العيد: إتبعوا في ذلك القياس، وقالوا: المراد بقولها: ولم يغلسه: أي غسلا مبالغا فيه.

---

(١) إعلام الموقعين ٢/ ٧٨.

وهو خلاف الظاهر، ويبعده ما ورد في الأحاديث الأخرى من التفرقة بين بول الصبي والصبية فإنهم لم يفرقوا بينهما».(١)

وأورد مثل هذا الخطابي، والنووي في شرحه على صحيح مسلم، وابن حجر ناقل عنهما.(٢)

ومما ورد مفصلا في الأحاديث أن هذا الحكم في التفريق بين بول الصبي وبول الصبية إنما يكون قبل أن يطعما، أي قبل أن يتغذيا بغير اللبن، فاذا طعما فحكم بول الصبي كحكم بول الصبية كلاهما يوجب الغسل.(٣)

وهذا التفريق لا يعني أن بول الصبي طاهر، إذ لو كان طاهرا لما أمر النبي ﷺ بنضحه، وإنما هذا الحكم تيسير في الحكم كما مر في علة ذلك، قال الخطابي: «ليس تجويز من جوز النضح من أجل أن بول الصبي غير نجس ولكنه لتخفيف نجاسته»(٤) وقال الصنعاني «فالأكثر على أنه نجس وإنما خفف الشارع تطهيره»(٥).

وهذا التنبيه من الخطابي يردُّ على ما توهمه البعض، قال الطحاوي: «قال قوم بطهارة بول الصبي قبل الطعام»(٦)، وكذا جزم به ابن عبد البر وابن بطال ومن تبعهما عن الشافعي وأحمد وغيرهما».(٧)

---

(١) ففتح الباري ١/ ٩٢٧ وانظر مثله في شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٩٥ وتحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري ١/ ٧٦.

(٢) عون المعبود ٢/ ٣٨، ومعالم السنن بحاشية مختصر سنن ابي داود ١/ ٢٢٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٩٥.

(٣) انظر مختصر سنن ابي داود، حاشية رقم ٢، جـ١/ ٢٢٤.

(٤) معالم السنن بحاشية سنن أبي داود ١/ ٢٢٤.

(٥) سبل السلام ١/ ٥١.

(٦) شرح معاني الآثار للطحاوي ١/ ٩٢.

(٧) فتح الباري ١/ ٣٢٧.

وقد تعقب هذا النقل ابن حجر بقوله: ولم يعرف ذلك الشافعية ولا الحنابلة.[١] وقال الامام النووي: «هذه حكاية باطلة»[٢].

٤-كيفية النضح والفرق بينه وبين الغسل:

عرفنا أن النضح أو الرش أو الصب بمعنى واحد، وقد وردت هذه الألفاظ في الأحاديث الواردة في هذا الباب.

والمراد بالنضح أن نأخذ شيئا من الماء ونرشه على مكان البول بحث يصيب مكانه ويبله، قال الإمام النووي: «هو أن الشيء الذي أصاب البول يغمر ويكاثر بالماء مكاثرة لا تبلغ جريان الماء وتردده وتقاطره، بخلاف المكاثرة في غيره. فإن يشترط أن تكون بحيث يجري عليها بعض الماء ويتقاطر من المحل، وإن لم يشترط عصره وهذا هو الصحيح المختار، ويدل عليه قولها: «فنضحه ولم يغسله» وقولها: «فرشه أي نضحه»[٣].

وقد فسر الزمخشري النضح والرش بما إذا أصاب الشيء مثل رؤوس الإبر من البول، أن يرش بمثل ذلك من الماء.

وقال في لسان العرب: النضح الرش، نضح عليه الماء ينضحه نضحا إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش. وفي حديث قتادة: «النضح من النضح» يريد من أصابه نضح من البول وهو الشيء اليسير منه فعليه أن ينضحه بالماء وليس عليه غسله»[٤].

ويؤيد هذا ما ورد من نضح الفرج بالماء بعد الوضوء لمن يعاني من الوسواس.

---

(١) المصدر السابق ـ نفسه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٩٥.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٩٥.

(٤) لسان العرب ٣/ ٤٥٧ وما بعدها.

أما الغسل فهو جريان الماء على الشيء المغسول، وتقاطرة عنه، وعصره، على حين أن النضح والرش لو عصرنا مكانه فإنه لا يتعصر لعدم تشبعة بالماء مثل الغسل.

رابعاً: من أحكام هذا الحديث:

وبعد فهذا الحديث والاحاديث الواردة في هذا الباب تفيد جملة من الحكم والأحكام والدروس نجملها فيما يلي:

التزام المسلمة بشرع الله:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من تواضع ورفق وحلم ورعاية لأمته، فمع أنه الرسول القائد إلا أنه يتلقى صبيان المسلمين ويحنو عليهم ويدعو لهم ويحنكهم ويبول احدهم في حجره، ولا يرى في ذلك غضاضة عليه الصلاة والسلام. وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٢- ما كان عليه النبي ﷺ من رأفة بالاطفال ورعاية لهم وعناية بهم، وما كان عليه المسلمون من حرص على إحضار أبنائهم للنبي ﷺ، ولعل هذا الصنيع أول رعاية للطفولة تعرفها البشرية.

٣- بركة دعاء النبي ﷺ وبركة مسحه على رؤوس الأطفال، وبركة تحنيكه لهم، وأحيانا كان يسميهم، وكان المسلمون حريصين على نيل هذه البركة لأطفالهم.

٤- حكم بول الصبي وحكم بول الصبية قبل أن يأكلا الطعام غير اللبن.

٥- شمول الإسلام لكل شؤون الحياة دقيقها وجليلها.

٦- الأصل في العبادات التعبد، فقد لا نقف على عللها وأسرارها، فالتعبد في حد ذاته غاية الغايات.

رابعاً: في الصلاة

١- صلاة النساء في المسجد.

٢- المرأة تشهد صلاة العيد.

٣- الزوجان يقيمان الليل.

الحديث الأول:

صلاة النساء في المسجد

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها».

فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، فأقبل عليه عبد الله فَسَبَّهُ سَباً ما سمعت مثله قط. وقال: أُخبرك عن رسول الله، وتقول: والله لنمنعهن...

أولاً: تخريج الحديث:

ورد هذا الحديث من طرق عن ابن عمر، بينها اختلاف يسير في الألفاظ والمعنى واحد، وفي بعضها زيادة قول ابن عمر لابنه بلال، وبعضها لم يسم ابن عبدالله بن عمر، وبعضها اقتصرت على حديث النبي ﷺ، وأخرجه البخاري من عدة طرق، وكذا مسلم، وأبو داود والنسائي وابن ماجة والدارمي وأحمد وأبو عوانة، كلهم من عدة طرق[(١)].

وورد في هذا الباب أيضا حديث أبي هريرة وعائشة وزيد بن خالد الجهني، عند الإمام أحمد وغيره، وحديث أبي هريرة عند أبي داود وغيره[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ ٢/ ٣٥١ الأذان ـ استئذان المرأة زوجها بالخروج الى المسجد حديث رقم ٨٧٣ جـ٩٢/ ٣٣٧ النكاح ـ استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد رقم ٥٢٣٨ وورد بالارقام: ٨٦٥،٨٧٣،٨٩٩،٩٠٠، وصحيح مسلم ١/ ٣٢٧-٣٢٨ الصلاة ـ خروج النساء الى المساجد حديث رقم ٤٤٢ بعدة طرق، سنن النسائي ٢/ ٤٢ المساجد ـ النهي عن منع النساء من اتيانهن المساجد، سنن أبي داود ١/ ١٥٥ باب ٥٢ الصلاة ـ ما جاء في خروج النساء الى المساجد، رقم ٥٦٦-٥٦٨ سنن الدارمي ١/ ٢٩٣ باب ٥٧ الصلاة ـ النهي عن منع النساء عن المساجد.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٤٣٨، ٥٢٨، ٥/ ١٩٢، ١٩٣، ٦/ ٩١ وسنن أبي داود ١/ ٣٨١ حديث رقم ٥٦٥.

ووردت أحاديث أخرى تمنع النساء من الصلاة في المساجد، وتفضل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد رواها البخاري ومسلم وأبو داود(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

يوجه النبي ﷺ في هذا الحديث الرجال بألاّ يمنعوا نساءهم من الذهاب الى المساجد، وفي ذلك دعوة للنساء إلى حضور الجماعات في المساجد.

وابن عمر راوي هذا الحديث، يحدث بذلك ابنه بلالاً، فيقسم بلال على منعهن فيقبل عليه أبو عبدالله بن عمر، راوي الحديث بالسب والزجر الشديد، لمخالفته لحديث رسول الله ﷺ، اجتهادا منه بناء على دليل آخر، فبين له ابن عمر ضرورة الالتزام بالسنة وأنها مقدمة علي أي اجتهاد أو فهم.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- استئذان المرأة زوجها بالخروج:

الحياة في الأسرة تقوم على التعاون وتوزيع الاختصاصات والوظائف بين الزوجين، ولما كان الزوج مختصا بالسعي والعمل والإنفاق على الأسرة والإشراف عليها، كانت وظيفة خارج البيت، ولما كانت المرأة مختصة بالبيت وإدارته وتربية الأولاد، كانت وظيفتها داخل البيت.

ومن هنا كان الزوج صاحب حق في بيته ومسؤولا عنه، ولما كان وقت الزوجة في بيتها، وخروجها من البيت يؤثر على وظيفتها فيه ويؤثر على أولادها ويمس بحق زوجها، كان لابد لها من الاستئذان منه إذا خرجت من بيتها.

لكن الإسلام وهو يقرر هذا الحق للزوج، لا يجعله حقا مطلقا يضر بحق المرأة وحاجتها، فليس له ان يمنعها من زيارة أهلها، ولا أن يمنعها من حضور الصلاة في المسجد، وإن كان لابد لها من استئذانه في ذلك.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٥١، صحيح مسلم - مع النووي - ٤/ ١٦٤ باب النهي عن منع النساء..، وسنن أبي داود ١/ ٣٨٣.

وإذا كان حق الزوج في الاستئذان، لا يمنع حق الزوجة من ممارسة حاجاتها وحقوقها خارج البيت، فإن التوفيق بين حقه في الاستئذان وحقها في الخروج يقوم على أساس من التعاون والتفاهم بينهما، دونما تعسف من أحدهما ضد الآخر، وبهذا التفاهم والتعاون يمارس كل حقه، ويقضي مصلحته وحاجاته، مع مراعاته لحق الآخر في نفس الوقت، وبذلك يسود الأسرة جو من المحبة والتعاون على الخير وحرص كل واحد منهما على الآخر.

وبعض الأزواج، وأخص منهم الشباب حديثي الزواج، يخطئون كثيرا عندما يتعاملون مع هذه الحقوق بشكل حرفي مادي، فيتعفف كل منهما في استخدامه لحقه ويتعسف، فلا يحفظ حقا ولا يبقي على مودة.

وهذا الحديث وهو يقرر حق المرأة في حضور الصلاة في المساجد، يقرر أيضا أن خروجها على حساب حق الرجل فيها. وبالتالي لابد من استئذانه، وبهذا المعنى ليس لها أن تخرج إن منعها، وليس له أن يمنعها، وهي إذا مُنِعَت فالتزمت مأجورة، وهو إن منعها اثم، إلا إذا كان لمنعه لها سبب مشروع.

وجعل الأمر بيد الرجل وإذنه دليل على أن خروجها إلى المساجد ليس واجبا، إذ لو كان واجبا لما توقف تحقيقه على إذن، أرأيت الى إقامة الصلاة وإلى صوم رمضان وما شابه ذلك فإنه لا يتوقف على إذن الرجل وموافقته ولو منعها فليس لها أن تطيعه، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة بالمعروف، أما صيام التطوع فليس لها أن تصوم وزوجها شاهد في البيت إلا بإذنه، وهذا الحكم مثل حكم الذهاب إلى حضور الصلاة في المساجد، فإنه يتوقف على إذنه.

وقد أجمع فقهاء الاسلام على أن المرأة تخرج من غير إذن زوجها للجهاد عندما يغتصب الأعداء شيئا من ديار الاسلام، وعند النفير العام[1].

---

(١) مرجع من كتب الفقه؟.

٢- صلاة النساء في المساجد:

وفي الحديث اهتمام بصلاة الجماعة في المساجد، ودعوة للنساء لشهودها لما فيها من الفضل والأجر، ولما لها من أثر في نفوس المصلين، ولما في المساجد من علم وفقه في الدين تحتاج إليه المراة، ولا تطَّلع عليه، إذا بقيت معزولة عن دروس العلم، وتصلي في بيتها.

والمسجد في الإسلام، مدرسة الإسلام ومعهده التربوي، فيه العلم والفقه، وفيه الذكر والدعاء والخشوع والعبادة، وفيه ممارسة العلم عبادة عملية، وفيه علاقات اجتماعية كبيرة من خلال جماعة المصلين، فيجد كل مصل فيه رفاقه من أبناء جنسه وسنه، رجالا ونساء، كبارا وشباباً وصغاراً، ثم هو مجتمع رفاق متميز، من نخبة مستقيمة من الرفاق، لا كغيرهم من الرفاق، غير ما فيه من نشاطات إسلامية وإعلامية عامة في كل مجالات الحياة السياسية و الاجتماعيه والاقتصادية وغيرها، هكذا كان المسجد في الإسلام، وهكذا ينبغي أن يكون، وهذه هي رسالته.

وبهذا يتكامل البناء التربوي للشخصية الإسلامية، نفسيا واجتماعيا، من خلال المسجد.

والحديث يبين مدى عناية الإسلام بالمرأة بتعليمها، وتربيتها، وممارستها لعبادتها وحاجاتها الاجتماعية، فعلى الرغم من صعوبة خروج كثير من النساء من بيوتهن لارتباطهن بواجباتهن الاجتماعية في البيت وحاجة أولادهن، إلا أن الإسلام يأذن أن تخرج المرأة، لتصلي في المسجد.

والإسلام في مجال تربية المرأة وتثقيفها، حث الآباء على تعليم البنات، وحث الوالدين على حسن تربيتهن، وكلف الأزواج بواجب تعليم زوجاتهم، ومع كل هذا يأذن للمرأة أن تخرج للمسجد للصلاة فيه، لما ستجده في المسجد من أمور غير الصلاة، مما ذكرناه.

والإسلام قرر هذا وقرر هذا، فلعل زوجا حظه من العلم قليل، ولعل امرأة لها طموح علمي لا يشبعه ما ينقله لها الزوج، ولعل رجلا مشغول عن تعليم امرأته، فيتكامل في تربية المرأة دور الأسرة مع دور المسجد، حتى لا يفوتها الخير، وينتهي بعضهن إلى كم مهمل جاهل محدود، قابع في البيت.

ولعل هذا الأمر لم يكن في يوم من الأيام من الأهمية كما هو في هذه الأيام، في أيامنا هذه انعزلت النساء عن المساجد والمحاضرات العامة، وعكفن في البيوت، وهن معرضات للتلقي من وسائل الإعلام كالاذاعة والتلفزيون والفيديو وغيرها، وهذه في الغالب لا تنقل الا الغث الخبيث وفي المدارس والمعاهد والجامعات، تتلقى الفتيات أخلاطا من الأفكار والثقافات، فأين تسمع الإسلام وتتلقاه!.

ومن العجيب، أن المرأة اليوم تخرج من البيت لكل شيء، إلا للمسجد، تخرج للسوق، والزيارات، والمدارس والجامعات والأحفال. . .كل هذا تخرج إليه بلا مانع، أما المساجد فلا تخرج اليها، باسم العفة والستر وعدم الاختلاط وعدم الفتنة!!.

لو كانت المراة لا تخرج من البيت باسم عدم الفتنة ومن هذا القبيل لا تخرج الى المساجد، لكان الأمر مفهوما، أما أن تخرج الى كل مكان، ثم لا تفطن الى عدم الفتنة إلا عند ذهابها إلى المساجد فهذا خلل في الفهم واضطراب.

٣- المرأة المعاصرة والمجتمع:

إن المجتمعات اليوم تشهد قدْراً أكبر من الانفتاح، والثقافات اليوم تدخل على الناس بيوتهم عبر وسائل الاتصال ووسائل الإعلام، وحاجات المجتمع تتسع وتزداد، والدور الملقى على عاتق النساء يكبر ويتسع، لهذا كله كانت المرأة في أيامنا هذه أحوج الى حضور الجماعات في المسجد منها في أي وقت مضى.

إننا اليوم بحاجة الى المرأة في العديد من المجالات، في مدارس البنات، وفي معاهد البنات، وفي الجمعيات الخيرية، وفي الدعوة الإسلامية في محيط النساء، وهذه أبواب واسعة تحتاج الى ملايين النساء في العالم الإسلامي، فمن لنا بالنساء اللائى يقمن بهذه الادوار وهن مسلحات بالإيمان والعلم، إذا لم يحضرن الجماعات في المساجد، وإذا لم تتكامل معارفهن وتصوب بالمنظار الإسلامي مع ما يتلقين من معارف وثقافات مجردة أو متأثرة بالغرب أو الشرق.

إن التيارات الوافدة في المجتمعات الإسلامية تهتف بالمرأة المسلمة لتمد يدها إليها عن طريق التغريب باسم حقوق المرأة وتبنّي قضايا المرأة، فتقع المرأة المسلمة فريسة هذه الأفكار المغرضة، لتكون السهم المصوب الى مقتل من المجتمع الإسلامي.

ولقد راهن المفسدون ولا يزالون على التأثير على المرأة المسلمة لتدمير المجتمع الإسلامي بناءً عليه، إذ بفسادها تشيع الفاحشة في المجتمع وينحرف الرجل والمرأة، وتضيع الأجيال وتنحرف.

فماذا نحن فاعلون إزاء ذلك كله؟.

إن بعض محدودي النظر، الذين يتعاملون مع القضية على مستواهم الشخصي ومستوى أسرتهم كانوا يظنون أنهم بالانغلاق عن هذه الدعوات، يحفظون بناتهم من شرورها، لكن القضية كانت أكبر منهم وتجاوزتهم، إنها قضية مجتمع بأسره، وإذا فسد بناء المجتمع فيتعذر نجاة أحد.

٤- دور المرأة المسلمة:

إننا اليوم بحاجة الى حركة إسلامية واعية تعمل في مجال المرأة كما عملت في مجال الرجل، بحيث تأخذ المرأة مكانتها في المجتمع وفي توجيهه بالدعوة الى الله، لتحل المرأة المسلمة محل اللواتي تبوأن مراكز التعليم والتوجيه والإشراف على الأجيال في غيبة المرأة المسلمة، وسلبية نظرة المجتمع اليها.

نريد المرأة المسلمة التي تتكلم باسم النساء، وفي قضاياهن المعاصرة، لتضع حدا للواتي يتصدرن المجالس النسائية العامة والخاصة، ويتصدرن وسائل الإعلام ينطقن باسم المرأة، فتجتر احداهن صرعات الغرب واهتمامات الغرب وثقافة الغرب.

نريد المرأة المسلمة التي تعيد للنساء النموذج الإسلامي للمرأة، وطريقتها الإسلامية في الحياة، تخاطب بنات جنسها بلغة العصر، وحاجات العصر، وهي تنطلق في ذلك كله من إسلامها تعتز به، واسوتها خديجة وفاطمة والخنساء وأمثالهن، لا الساقطات التي تُطلَق عليهن النعوت فيصرن نجوماً!.

نريد المسلمة التي تعيش هموم امتها، وقضية أمتها ورسالتها، تطرق على جاراتها الأبواب تدعوهن الى الله، تذكرهن بالفضيلة، تأخذ بأيديهن بالتدريب والعمل لمواجهة مشكلات الحياة.

نريد المسلمة التي تفكر في بنات جنسها وتخدم امتها ومجتمعها بما تُوجد من مؤسسات وجمعيات وتعاونيات تغطي حاجة النساء وحاجات المجتمع، وهل المبشرات اللواتي يجندهن الاستعمار باسم التبشير أحق من المسلمات بهذا الدور، أو أعلم بحاجات مجتمعاتنا، او أقدر على تحمل هذه المسؤوليات.

إن كثيرا من الناس وبعض العلماء يَصْدُرُون في فتاواهم عن خروج المرأة وتعليم المرأة وعمل المرأة، من الواقع الغربي السائد في دنيا المسلمين اليوم، لكننا نريد المرأة التي تخرج وتتعلم وتعمل من خلال المثال الإسلامي ومن المنطلق الإسلامي . . . المرأة التي تطرح البديل لحركة النساء في المجتمع المعاصر من منظور الإسلام، بعيدا عن فساد الغرب وحياة الغرب.

فإلى جيل من النساء المسلمات المتعلمات الواعيات، المنطلقات من بيوت الله، المتلمسات حاجات مجتمعاتهن، اللواتي يصبغن حركة النساء بروح الإسلام وصبغته الى مثل هذا الجيل ندعو» والى هذا يدعو حديث الرسول ﷺ.

٥- متى تمنع النساء من الذهاب للمساجد:

هذا وقد وردت أحاديث، كما ذكرنا عند تخريجنا لهذا الحديث، تنهى عن ذهاب النساء إلى المساجد، وتفضل صلاتهن في بيوتهن على صلاتهن في المساجد كحديث عائشة عند البخاري ومسلم وأبي داود، وحديث أم حميد الساعدية عند أحمد وابن خزيمة.(١)

وفي الجمع بين هذه الاحاديث، وحديث ابن عمر هذا قال النووي: «وحديث عائشة عند البخاري هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تمنع المسجد، لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث، وهو أن لا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ولا ثياب فاخرة، ولا مختلطة بالرجال، ولا شابة ونحوها مما يفتتن بها، وأن لا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها»(٢).

أي أن هذه الشروط إذا توافرت يجوز لها أن تخرج وليس لزوجها أن يمنعها، وإذا لم تتوافر هذه الشروط فلا يجوز لها، والأفضل الصلاة في البيوت.

يدل على ذلك حديث عائشة «قالت لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهنّ المسجد كما مُنِعَه نساء بني إسرائيل»(٣).-

ورود في بعض روايات حديث ابن عمر هذا لفظ بالليل، وأكثر الروايات بدون هذا اللفظ، وفي حديث أم حميد الساعدية أن صلاتها في بيتها أفضل، وفي مخدعها أفضل من بيتها، وهذا معناه كلما توافر الستر كان أفضل لها.

ومع هذا التفضيل لصلاتها في بيتها حيث الستر أكثر من خروجها للمسجد، إلا أن النبي ﷺ ينهى الأزواج عن منع النساء من الخروج الى المسجد، وكانت النساء يشهدن صلاة الجماعة على عهد النبوة.

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/ ٩٥ حديث رقم ١٦٨٩ وحديث عائشة سبق تخريجه ص١٩٧.

(٢) شرح النووي علي صحيح مسلم ٤/ ١٦١-١٦٢.

(٣) صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ ٢/ ٣٥١ وصحيح مسلم ١/ ٣٢٩ وصحيح ابن خزيمة ٣/ ٩٨ حديث رقم ١٦٩٨ وسنن أبي داود ١/ ٣٨٣ الصلاة ـ خروج النساء الى المساجد.

وهذا والله أعلم لما في المسجد من العلم والخير والتعارف بين المؤمنات، أما مجرد الصلاة كعبادة فهي أولى لها في بيتها وأفضل لها ولغيرها، لما فيه من ستر، ويبقى الأمر على الإباحة مع الشروط التي أوردها العلماء، وحسب ظروف المجتمع وحاجاته والله أعلم.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- جواز خروج النساء للمساجد لما فيها من العلم والخير، ونهي الأزواج عن منعهن من ذلك.

٢- في الحديث صورة لجانب من الحياة الإسلامية في المجمع، تبدو فيها حركة المرأة وعبادتها وحرصها على دينها وشهودها الصلاة في المسجد مع المسلمين.

٣- أهمية المسجد في الإسلام ورسالته في المجتمع وحرص المسلمين رجالاً ونساءً على التردد عليه، ومع خصوصية ظرف المرأة الشخصي والإجتماعي إلا أنها تتردد عليه.

٤- الأسلام أول نظام عرفته البشرية يولي المرأة عنايته ورعايته بالحقوق والواجبات والتعليم.

٥- صيانة المساجد من الفتنة والإثارة وإحاطتها بالأدب والحشمة لتبقى لعبادة الله وتعليم الناس، وإذا أخلّت النساء بذلك يمنعن من الذهاب الى المساجد.

٦- للإسلام أدابه وأخلاقياته التي يضربها حول أحكامه وأنظمته، فلا يجوز ان تمس الأداب والقيم باسم ممارسة الحقوق أو أداء الواجبات، فإذا تزينت المرأة ومارست ما فيه إثارة فإنها تمنع من دخول المسجد.

٧- قوامة الرجل على المرأة ومسؤوليته عنها في تعليمها وتفقيهها مع الإنفاق والرعاية لها.

٨- تأديب المعترض على السنن برأيه واجتهاده، وأن السنة مقدمة على كل اجتهاد.

٩- تأديب الرجل ولده والعالم تلميذه، حتى ولو كان كبيراً إذا خرج عن الحد، وقال بما يخالف الحق.

١٠- ما كان عليه الصحابة من احترام لسنة النبي ﷺ، وعدم قبول قول أحد بخلافها ولو كان ولدا أو قريباً.

الحديث الثاني:

المرأة تشهد صلاة العيد

عن أم عطية رضي الله عنها قالت:

أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أن نُخْرِجَهُن في الفِطْر والأضحى العَوَاتِقَ والحُيَّضَ وذوات الخُدورِ، فأما الحُيَّض فيعتزلْنَ الصلاةَ، ويشهدنَ الخيرَ ودعوة المسلمين. قلت يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لِتُلْبِسْها اختُها من جلبابها».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد من طرق عن أم عطية. وفي بعضها اختصار(١).

ثانياً: مفردات الحديث:

العواتق: جمع عاتق وهي الشابة أول ما تبلغ، أو الكريمة التي تمنع من الخروج صيانة لها(٢).

---

(١) صحيح البخاري ١/٤٦٦ -الصلاة- باب ٢ رقم ٣٥١ و١/٤٢٣ -الحيض- باب ٢٣ رقم٣٢٤ و٢/٤٦١ -العيدين- باب ١٢رقم ، ٩٦٣، ٤٦٣، ٤٦٩.

صحيح مسلم ٢/٦٠٥ -صلاة العيدين- باب ١ رقم ٨٩٠، سنن النسائي ٣/١٨٠ -صلاة العيدين- باب خروج العواتق وذوات الخدور في العيدين.

سنن ابن ماجه ١/٤١٥ -إقامة الصلاة- باب ما جاء في خروج النساء في العيدين- رقم ١٣٠٧ سنن أبي داود ١/٦٧٦ -الصلاة- باب ٢٤٨- رقم ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩.

جامع الترمذي ٢/٥٣٩ الصلاة -باب ٣٨٨- رقم ٥٣٩.

(٢) انظر فتح الباري ١/٤٢٣، معالم السنن بحاشية سنن أبي داود ١/٦٧٧.

الحُيَّض :[1] جمع حائض، أي المرأة في حالة الحيض.

ذوات الخدور: جمع خِدْر وهو ستر يكون في ناحية البيت تقعد البكر وراءه.

الحيض يعتزلن الصلاة: أي يبعدن عن صفوف الصلاة في ناحية المصلى.

الجِلباب: الثوب الواسع أو العباءة وما شابهها من الثياب التي تغطي بها المرأة رأسها وصدرها.

ثالثاً: المعنى الاجمالي للحديث:

أيام العيدين أيام خير وبركة واجتماع للمسلمين تعبر عن رابطة الأخوة بينهم وعبوديتهم لله، لهذا المعنى واهتماما بالمرأة، أمر النبي ﷺ النساء حتى ذوات الاعذار من الحيض أو الأبكار البالغات اللواتي يمنعهن الحياء من الخروج ومخالفة الناس، أن يخرجن ليشهدن هذا الخير، ويحضرن الدعوة الجماعية الى الله في هذين اليومين، وقد كان في نساء المسلمين من لا تجد لباسا واسعا يسترها اذا خرجت، فيأمر النبي ﷺ جارتها أن تلبسها من ثيابها هدية أو عارية. كل هذا حرصاً على حضور هذه المناسبة العظيمة واهتماماً بأن لا تُحرم المرأة لأي عذر من هذا الخير.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١ - خروج المرأة لصلاة العيد:

النساء شقائق الرجال، ونصف المجتمع، وعندما تكون المرأة في مقتبل العمر يحوطها الحياء ويصونها الأهل والمجتمع بعدم الإختلاط وقلة الخروج من البيوت، لكنها وهي على هذه الحالة يأمر النبي ﷺ أن تخرج إلى مصلى العيد، كما يأمر ذوات الاعذار من الحُيَّض أن يخرجن كذلك، وفي هذا اهتمام من النبي ﷺ بالمرأة في مختلف الأعمار وعلى اختلاف الأحوال.

---

(١) فتح الباري ١/ ٤٢٤.

وهذا الأمر بإخراج الفتيات في مُقتبل العمر والنساء اللواتي بلغن المحيض حتى ولو كنّ في حالة الحيض إنما يدل على أهمية الحضور إلى مصلى العيد. ومع أن صلاة العيد سنة مؤكدة أو واجبة على اختلاف مذاهب العلماء، إلا أن هذا الأمر من النبي ﷺ الذي يشمل حتى صاحبات الحياء والأعذار يدل على عظيم مكانة اجتماع المسلمين في مصلى العيد يومي الفطر والأضحى.

٢- جماعة المسلمين:

ومع حرص الإسلام على الطهارة بعامة، والطهارة عند العبادة بخاصة، ومع حرصه على الستر والعفة وعدم الإختلاط بعامة وبالنسبة للنساء الصغيرات بخاصة، إلا أنه يأمر الحُيَّض والعواتق وذوات الخدور أن يخرجن لمصلى العيد، لما فيه من الخير.

ويبين النبي عليه الصلاة والسلام أن الغاية من خروجهن أن يشهدن الخير، ذلك الخير المتحقق باجتماع المسلمين، إنها الروح الجماعية التي يغرسها الإسلام في أتباعه، إذ لا مجال في الإسلام لفرد يعيش ذاته ويعيش أنانيته، إنه واحد من الأمة أنه عضو في جماعة، وفي اجتماعه معها الخير، الذي يُنْدَبُ كل المسلمين رجالاً ونساءً وحتى الفتيات وصواحب الأعذار أن يشهدنه ليعشن هذا المعنى ويستشعرن هذه الروح، روح الجماعة، روح الأمة التي تعزز في المسلم انتماءه لدينه وهو يرى جموع الأتباع لهذا الدين.

ولهذا المعنى والله أعلم شرع الإسلام الإجتماع والتجمع في العديد من العبادات وجعلها عبادة، كما في صلاة الجماعة، والجمعة، والحج، والعيدين..

وغاية أخرى يريد النبي ﷺ أن تتحقق في المسلمين وأن لا تُحرمَ منها النساء لاي عذر أو سبب وهي دعوة المسلمين، دعاء المسلمين لله، وتوجههم إليه، وتضرعهم بين يديه، وسؤالهم له، وتوبتهم، واستغفارهم.. هذا الجمع يدعو الله ويذكره ويستغفره فتتنزل عليهم رحمة الله ويحرص النبي ﷺ أن لا يفوت ذلك النساء مهما كانت الأسباب.

وهذان الغرضان: اجتماع كلمة المسلمين، ودعاء المسلمين ربهم، يمكن أن تشارك فيهما المرأة التي لا تمارس الصلاة لأنها معذورة، فهي لذلك تدعى إلى مصلى العيد وتشهد هذا الخير أما عند الصلاة، فتعتزل المصلى جانبا وتبتعد عن مكان الصلاة لتفسح المجال للمصليات.

٣- زهد الصحابة وبساطة حياتهم:

وفي هذا الحديث صورة لما كان عليه المجتمع الإسلامي من حرص على العفة والستر وعدم التبرج ومن قلة في الإمكانيات وبساطة في الحياة من جانب، وما كان عليه هذا المجتمع من تعاون ويسر.

فالمجتمع المسلم كان يصون الشابات عن الإختلاط وكثرة الخروج من البيت والتبرج، فالحديث يصرح بأن الفتيات كن يستترن في جانب البيت بعيدا عن مخالطة الضيوف والمترددين على البيوت من الأقارب والأصدقاء، وهؤلاء أطلق عليهن المسلمون إسم ذوات الخدور أي الأستار، والنبي ﷺ يعلم ذلك ويقره ويستخدم هذا الاسم الذي يدل على هذا السلوك الإجتماعي المحتشم العفيف.

وأمام هذه الدعوة العامة لشهود صلاة العيد، لا تجد كثيرٌ من النساء لباساً تختمر به. نقف عند هذه الصورة، الصحابيات لا يجدن جلبابا يتلفعن به ويخرجن فيه إلى صلاة العيد، وهذا أمر معروف في المجتمع بدليل هذا السؤال للنبي ﷺ بأن إحدانا لا تجد... لكنهن عظيمات في شخصياتهن، عظيمات في إيمانهن، واثقات من أنفسهن يُخَرِّجنَ للامة الرجال المؤمنين المجاهدين. والمرأة اليوم أرادت لها دور الأزياء ومن ورائها مؤسسات الإفساد ورؤوس الأفاعي اليهودية تكيد وتمكر، المرأة اليوم أصبحت تُصَوَّرُ لها الحياة فستانا وحذاءً وجسدانا، تتبرج بهن ولا تعرف من الحياة سواهن، لا تعرف الإهتمامات العظيمة ولا تعرف الرسالة العظيمة التي تمثلها... وهذه هي التي صارت النموذج للمرأة المتحررة المطالبة بمساواتها مع الرجال.

الحياة رسالة... والحياة قضية... والحياة وظيفة وليست بكثرة الأزياء ولا باستعراضها بالازياء، فأين منها المسلمات يُعدْنَ لنا المؤمنات الأوليات بفطنتهن وسترهن واهتماماتهن!

والمرأة المؤمنة العظيمة بسيطة في حياتها، يسيرة في علاقاتها تطلب من جارتها جلبابا تخرج فيه إلى الصلاة، لا تجد في ذلك ما يضير ولا ما يعيب. أما الناس اليوم رجالاً ونساءً فإنهم يعيشون عقدة النفاق وحب الظهور، ويحرصون على مظاهره أكثر من حرصهم على قلوبهم وحقائق ما في هذه القلوب... فهؤلاء المرضى، مرضى القلوب والنفوس لا يستطيعون التحرر من عبودية المظاهر والزيف فلا يقبلون أن يعلم أحد بعدم قدرتهم على اقتناء اللباس فضلا عن أن يطلبوا ذلك من الجيران.

والصورة المشرقة في هذا الحديث كذلك، أن النبي ﷺ يأمر التي تجد السعة من الثياب أن تعطي جارتها ولا يطلب ممن لا تجد أن تطلب من ذات اليسار.

وهذا تكريم لنفسية من لا تجد عن ذل السؤال والشعور بالحاجة، وقد تسأل ولا تعطى فيصونها بأن يكلف القادرة الواجدة أن تُلبِسَ أختها التي لا تجد دونما سؤال.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- جواز تردد النساء على المساجد للصلاة وأن ذلك كان في عهد النبي ﷺ ومن خلال ذلك سمعت أم عطية وغيرها أمر النبي ﷺ باخراج النساء على كل حال إلى مصلى العيد.

٢- ينبغي صياغة الحياء والعفة في نفوس الفتيات بإبعادهن عن أمكنة الإختلاط والتبرج وسترهن في البيوت ما أمكن ولا يخرجن إلا لحاجة.

٣- ندب النساء في مختلف الأعمار والأحوال لحضور صلاة العيد، وما في معناها من الإجتماع للخير والعلم والدعوة...

٤- لا يجوز للمرأة الحائض أن تدخل المسجد ولا أن تكون في مصلى العيد بين المصليات بل يجب اعتزال المصلى بعيداً عند الصلاة.

٥- الإسلام دين اجتماع الكملة ووحدة الصف والروح الجماعية والعمل الجماعي يغذيه الإسلام ويدعو إليه لما فيه من الخير والبركة

٦- اجتماع المسلمين على الخير والدعاء والعلم وما شابه ذلك أمر مشروع.

٧- إقبال جمع المسلمين على الله بالدعاء والإنابة محل استجابة وبركة ينبغي الحرص على المشاركة فيه وعدم حرمان بركته لأحد من المسلمين.

٨- المجتمع الإسلامي مجتمع البساطة واليسر والصدق. بعيد عن المظاهر والزيف والنفاق الإجتماعي.

٩- المسلم يشعر باخوانه ويعينهم مما أعطاه الله دونما انتظار سؤالهم وإظهار حاجتهم.

الحديث الثالث:

الزوجان يقيمان الليل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أَبَتْ نضح في وجهها الماء؛ ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أَبىٰ نضحت في وجهه الماء».

أولاً: تخريج الحديث:

هٰذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من حديث يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة. وفي بعض رواياتهم «رش ورشت بدل: نضح ونضحت»[١].

ثانياً: مفردات الحديث:

نضح: رش، أخذ قليلاً من الماء بيده وألقاه على شيء ما.

ثالثاً: المعنى العام للحديث:

الحديث يحث على قيام الليل، ويحث الأزواج أن يحرص كل واحد منهما على أن يستيقظ ليقوم من الليل وأن يحرص على إيقاظ زوجه، وأن من يفعل هٰذا ينال الرحمة من الله عز وجل وبركة دعاء النبي ﷺ بالرحمة. وأن مما يقوي العزيمة على مغالبة النوم رش قليل من الماء على وجه النائم.

(١) سنن أبي داود ٢/١٤٦ -الصلاة- باب ٣٤٨ الحث على قيام الليل -رقم ١٤٥٠.
سنن النسائي ٣/٢٠٥ قيام الليل - الترغيب في قيام الليل.
وسنن ابن ماجه ١/٤٢٤ إقامة الصلاة -باب ١٧٥- رقم ١٣٣٦، وتقدم برقم ١٣٠٨ ومسند أحمد ٢/٢٥٠.
الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٤/١١٨ وصحيح ابن خزيمة ٢/١٨٣ رقم ٤٨٦.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١- رحمة الله بالأسرة المسلمة:

في هٰذا الحديث الشريف يدعو النبي ﷺ بالرحمة من الله على الأسرة التي يتعاون فيها الزوجان على قيام الليل، أو هو إخبار من النبي ﷺ بأن رحمة الله تتنزل على من فعل منهما ذٰلك.

ورحمة الله تتضمن رضاه وتوفيقه وعونه لعبده، وصفة الرحمة لله عز وجل إذا تجلت على عباده ففيها من فضل الله والصلة بهٰذا العبد ما يجعل العبد في رعاية الله وحفظه وهو يتعهده برحمته، والله عز وجل وصف نفسه بأنه الرحمٰن الرحيم وأنه اللطيف بعباده، والمسلم عندما يتصور ويعتقد بهٰذه الصفة -الرحمة- لله عز وجل، فإنه يشعر بالطمأنينة والثقة والرضا والاستقرار، وهو يستشعر رحمة الله تُظِلُّه فتهُونُ عليه مصائب الدنيا، وتُخفِفُ عليه من غربتها، ومن هنا كان المسلم أكثر من غيره أمناً وطمأنينة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٢- بالعبادة تُنال رحمة الله:

فلا بد إذن من البحث عن الأعمال والمعاني التي تجعل المسلم مستحقاً لرحمة الله فيمارسها ويحافظ عليها ليعيش في ظلال هٰذه الرحمة واللطف الإلٰهي الكريم، وهٰذا الحديث يبيِّن لنا أن قيام الليل والتعاون عليه بين الأزواج مما يحقق رحمة الله بالعباد.

والعبادة في الإسلام غاية في حد ذاتها، مطلوب من المسلم أن يحقق في نفسه وحياته العبودية لله كما أمره وكما بيَّن رسوله عليه الصلاة والسلام. لٰكنها مع ذٰلك تحقق غايات أخرى، ومن هنا فقد تنوعت العبادات: من عبادات بدنية محضة إلى فكرية محضة وإلى مالية محضة وإلى عبادات تشترك فيها هٰذه المعاني كلها أو بعضها، ومن عبادات فردية إلى عبادات جماعية... آلخ[١].

(١) انظر العبادة في الإسلام، للقرضاوي.

والصلاة رأس أمر هٰذا الدين وعموده، وهي تتنوع بين فردية يخلو فيها الإنسان مع نفسه ويستغرق فيها بين يدي ربه يناجيه دون أن يطَّلِع عليه أحد، وجماعية تحقق روح الفريق والجماعة المتعاونة كالبنيان في تحقيق عبادة الله ومنهجه في الحياة، كما تتنوع بين مفروضة ومندوبة يتنفل بها العبد ليزداد من الله قرباً ورضاً.

٣- فضل صلاة الليل:

وبين هٰذه الأنواع تأتي صلاة الليل، وصلاة الليل أفضل الصلاة بعد الفرائض، وإنما كانت كذٰلك لأنها أدعى للخضوع والخشوع لأنها فردية ولأنها في الليل، وهي من جانب آخر دليل بيِّن على صدق صاحبها وصلاحه إذ لا يقوم بها تبعاً لأحد ولا رياءً لأحد إنما يقوم بها إيماناً بالله وحده وحرصاً على ما عنده سبحانه. ولهٰذا المعنى فإنه لا يقوم بها إلا مؤمن صادق في إيمانه، ولا يقوم بها إلا قليل من الناس، وهي في الليل ثقيلة على النفس، وكبيرة إلا على الخاشعين.

ولما كانت النفس الإنسانية ضعيفة أمام التكاليف تميل للدعة والراحة والكسل والتسويف، كان هٰذا التوجيه النبوي الذي يتضمن أسلوباً للتعاون على الخير، والارتفاع بهمة المسلم ليتقوى على دواعي الكسل والضعف، فظهر بهٰذا دور العامل الجماعي في تحقيق الخير والتعاون على القيام به.

إن المسألة مسألة كسل وضعف، لا مسألة عجز وضرورة تمنع من القيام بالعبادة إلا بمشقة، لذٰلك كان هٰذا الأسلوب لاستنهاض العزائم ومغالبة النوم، بالايقاظ أولاً، ثم بنضح الماء أي كبه على الوجه، فيقوم النائم متغلباً على النوم والكسل.

ومجرد شعور النائم الذي يتكاسل عن القيام للصلاة، بأنه سيكب على وجهه الماء، كافٍ لايقاظه، فكيف إذا تم ذلك فعلاً فإنه لا بد يستيقظ، ويمكن أن يستخدم التهديد بإحضار الماء أو القائه على وجه النائم لإيقاظه دون أن تستخدمه بالفعل، فإن بقي نائما فلا بد من إيقاظه رغماً عنه بسكب الماء عليه.

والحديث يقر ضمناً غلبة النوم والكسل على النائم، لكن لا يسمح له بأن يسيطر عليه ويُضيّع عليه فرص الخير ومعاني الخير، لذلك لا بد من إيقاظه ويقترح وسيلة ناجحة لذلك هي رش الماء على وجهه.

وهي وسيلة لطيفة بسيطة غير مؤذية وتحقق المطلوب أكثر من أي وسيلة أخرى، ذلك لأن الماء لرطوبته يكون غالباً أبرد من جسم النائم، فينبه أعصابه والتي تكثر في الوجه والأطراف، فيكون سبباً لإيقاظه.

لكنْ لا بد من الملاحظة هنا أن النبي ﷺ ذكر ذلك بفعل «النضح» والنضح الكب اليسير الذي يشبه الرش، بأن يأخذ بيده شيئاً من الماء ويلقيه على وجه النائم، لا أن يكب عليه كميات من الماء تبلله وتبلل ملابسه وفراشه أو تؤذيه بكثرتها فيصاب بشيء من الفزع أو اللفحات الصدرية أو التنفسية أو غيرها، فهذا غير مراد، ولا يجوز بحال من الأحوال.

٤- تعاون الأسرة على الخير:

والحديث يظهر دور الأسرة وعلاقة الزوجين في التعاون من أجل الخير والعبادة، وهذه إحدى معاني السَّكَن والمودة والرحمة التي شُرع من أجلها الزواج. فالزوج المسلم هو الحريص على عبادته ودينه والقائم بذلك في أسرته وأهل بيته، ومن هنا يثني النبي ﷺ على الزوج الذي يقوم بذلك فيوقظ أهله من الليل، ولقد كان النبي ﷺ يوقظ أهله للقيام من الليل بشكل عام وفي مناسبات خاصة أخرى بشكل خاص، فلقد استيقظ ليلة فزعاً يقول: **«سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات -يريد أزواجه- كي يصلين فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»**[1].

(١) رواه البخاري في صحيحه -عن أم سلمة- كتاب العلم/باب العلم والعظة ١/ ٥٤ ح١١٥ - وكتاب التهجد/ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل ١/ ٣٧٩ ح١٠٧٤ -وكتاب اللباس/ باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبُسُط ٥/ ٢١٩٨ ح٥٥٠٦ -وكتاب الأدب/ باب التكبير والتسبيح =

وكان ﷺ في العشر الأواخر من رمضان «يشمِّر ثوبه ويوقظ أهله»[١].

كما كان عليه الصلاة والسلام يتابع أصحابه في هٰذا الأمر فقد علم أن عبد الله بن عمر الفتى لا يقوم من الليل فقال له «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل»[٢] وكأن يسأل أصحابه من قام من الليل.

والمرأة المسلمة في هٰذا الأمر كالرجل سواء، مطلوب منها أن تعبد ربها، وأن تقوم من الليل، وأن توقظ زوجها إن هي استيقظت دونه، وهٰذه الأسرة التي يقوم فيها الزوجان بمثل هٰذا أسرة في رحمة الله ورعايته يباركها الله سبحانه وتعالى ويرحمها وينميها.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الزوج والزوجة إذا قاما ولو جزءاً يسيراً من الليل فإنهما ممن يذكران الله كثيراً «**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»[٣].

= عند التعجب ٥/ ٢٢٩٦ ح٥٨٦٤ وكتاب الفتن/ باب لا يأتي زمان إلاّ الذي بعده شرٌ منه ٦/ ٢٥٩١ ح٦٦٥٨.
ورواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٩٧.

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة بلفظ «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» كتاب صلاة التراويح/ باب العمل في العشر الأواخر من رمضان ٢/ ٧١١ ح١٩٢٠.
ورواه مسلم في صحيحه كتاب الاعتكاف/ باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ٢/ ٨٣٢ ح٧.
وأبو داود في سننه كتاب الصلاة/ باب في قيام شهر رمضان ٢/ ١٠٦ ح١٣٧٦.
وابن ماجه في سننه كتاب الصوم/ باب في فضل العشر الأواخر من شهر رمضان ١/ ٥٦٢ ح١٧٦٨
والإمام أحمد في مسنده ٦/ ٦٦، ٦٨، ١٤٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن حفصة بلفظ «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل» ثم ذكر البخاري قال: قال سالم، فكان عبد الله لا ينام من الليل إلاّ قليلاً -كتاب فضائل الصحابة/ باب مناقب عبد الله بن عمر ٣/ ١٣٦٧ ح٣٥٣٠.
وعبد الرزاق في المصنف باب الوضوء في المسجد ١/ ٤١٩ ح١٦٤٥.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ١٤٧ -الصلاة- باب ٣٤٨ رقم ١٤٥١. وسنن ابن ماجه إقامة الصلاة رقم ١٣٣٥ وتقدم برقم ١٣٠٩.

هٰكذا يريد الإسلام للأسرة أن تستظل في رحمة الله وعنايته، بقيامها بالعبادة لله والتعاون على تحقيق هٰذه العبادة، فينشأ في جو الأسرة من معاني الخير والمحبة والبركة ما يحيطها بسياج من القوة والحماية لتمضي في تحقيق رسالتها.

والذين يغفلون عن هٰذه المعاني في حياتهم الأسرية، ويهتمون فقط بالمعاني المادية والحقوق والواجبات والأدبيات الدنيوية، يسود في علاقاتهم جفاف وفي حياتهم روتين وفي مشاعرهم جمود، من ظلام المادة، لا يبدده إلا روح الإيمان ونور العبادة لله.

٥- حاجات النفس الإنسانية:

إن للنفس الإنسانية حاجات جماعية وفردية، مادية وروحية، دنيوية وأخروية... لا تشعر بالسعادة إلا بتحقيقها، وتقاس السعادة بدرجة تحقيق هٰذه الحاجات والاهتمامات، وتتقلص بتقلصها.

كثير من الناس يجد نفسه بين فترة وأخرى تشعر بالضيق، ويسيطر عليها الحرج والضغط لا يدري ما باله، فينظر في حياته فلا يجد سبباً لهٰذا الضيق، فيكون هٰذا الضيق لحاجات نفسية أو إجتماعية أو روحية لم تشبع ولذلك تجده إذا ما زار صديقاً أو قريباً زال عنه هٰذا الشعور وإذا ما جلس مع نفسه يحاسبها يرغبها ويرهبها بما عند الله تعالى أو يتفكر في آيات الله وسننه في الحياة زال عنه هٰذا الضيق. وأوضح من ذٰلك وأكثر أن يخلو مع نفسه ويصلي ركعتين أو يقرأ شيئاً من القرآن، أو يذكر الله ويسبحه ويستغفره بالمأثور من الدعاء، تجد أنه تنفس الصعداء وارتفع عنه الضيق الذي يعاني منه وزال الضغط الذي يسيطر على نفسه.

ومن هنا كانت حاجة الإنسان ماسة إلى أن يخلو مع نفسه يحاسبها ويخلو إلى روحه يغذيها، يأنس بدعاء ربه وترداد آياته والقيام مصلياً في حضرته، شاكياً همه وحزنه إلى الله إن كان به هم أو حزن، شاكراً أنعمه إن كان يجد نعم الله، وهو على كل حال في نعمة من الله... والليل إذا سجى بالظلام فإنه أنسب وقت لممارسة ذٰلك كله حيث الصفاء وصدق المناجأة وعدم الشواغل.

ولقد ورد العديد من الأحاديث في فضل قيام الليل، وكثير من كتب الحديث خصصت لهٰذا الموضوع بابا خاصاً أو أبواباً.

والناظر في تاريخ سلفنا الصالح يجد خلواتهم بالليل وجولاتهم في ذٰلك مما يثير الإعجاب والإنتباه والفخار، وكانوا يجدون في ذٰلك لذة تفوق كل لذة، ولهم في ذٰلك أخبار مشهورة.

خامسا: من أحكام الحديث:

١- رحمة الله تتنزل على عباده الصالحين، ويستحقها العابدون الصادقون.

٢- فضيلة قيام الليل والحث عليها لما فيه من الخير والتربية والتزكية.

٣- مسؤولية الرجل في بيته وهو راع ومسؤول عن رعيته يرعاهم في أمر دينهم وأمر دنياهم.

٤- مسؤولية المرأة في بيتها وفي حق زوجها وهي راعية ومسؤولة عن رعيتها.

٥- التعاون على الخير والعبادة صفة عباد الله المرحومين.

٦- مواجهة النعاس والنوم بالحزم والإرادة الجادة.

٧- الاستعانة بالوسائل المشروعة لتحقيق الغايات المرادة.

٨- رابطة الزوجية والأسرة دائرة هامة من دوائر الخير والعبادة والتعاون في ذٰلك.

خامساً: في فضل الصدقة

١- فضل الصدقة.

٢- فضل صدقة المرأة على زوجها.

الحديث الأول:

فضل الصدقة

عن عائشة رضي الله عنها: أن بعض أزواج النبي قلن: يا رسول الله: أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: «أطولكن يداً» فأخذن قصبة يذرعنها، فكانت سودة أطولهن يداً، فعلمنا بعد أنما كان طول يدها الصدقة، وكانت تحب الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به.

وفي رواية لمسلم: «أسرعكن لحوقا بني أطولكن يداً» قالت: فكن يتطاولن أيهن أطول يداً، فكانت أطولنا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث البخاري والنسائي وأحمد من طريق أبي عوانة عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة وفيه أطولهن يداً سودة رضي الله عنها.(١)

وأخرجه مسلم من طريق طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة وفيه أن أطولهن يداً زينب رضي الله عنها.(٢)

وفي اختلاف الروايتين في تحديد أيهن المرادة إشكال، وقد فصّل القول فيه الحافظ ابن حجر في الفتح، ورجّح أن تكون الرواية التي صرّحت باسم سودة بنت زمعة فيها وَهْمٌ من الراوي في التصريح باسمها، وأن هذه الرواية وردت من غير تصريح بالاسم وتُحمل على الرواية الثانية التي ورد التصريح فيها بذكر زينب بنت حجش وهي أول أمهات المؤمنين لحوقا بالنبي ﷺ.(٣)

---

(١) صحيح التجاري ـ بالفتح ـ ٣/ ٢٨٥، الزكاة ـ باب رقم ١١ حديث رقم ١٤٢٠ وسنن النسائي ٥/ ٦٦ الزكاة ـ باب فضل الصدقة ٥٩ ومسند أحمد ٦/ ١٢١.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٠٧ الفضائل ـ فضائل زينب باب ١٧ حديث رقم ١٠١.

(٣) انظر فتح الباري ٣/ ٢٨٦-٢٨٧.

ثانياً: المعنى العام للحديث:

قال الإمام النووي: «معنى الحديث أنهنَّ ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكنَّ يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجُود». [١]

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١-حب الصحابة للنبي ﷺ.

في هذا الحديث نقف على ما كان عليه الصحابة وأمهات المؤمنين من حب للنبي ﷺ وتعلق به، وحرص على اللحوق به في الآخرة، ولقد كان حب الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ شيئاً فوق الوصف، وأمور المشاعر والعواطف والروابط الوجدانية لاتقاس بالأودات وإنما توصف كثرة وعمقا ودقة ورقه.

ولقد عرف العدو هذا في أتباع النبي ﷺ وشهد به، فضلاً عن الصديق القريب، فهذا عروة بن مسعود رسول قريش الى النبي ﷺ يوم الحديبية يقول لقريش وقد رأى ما يصنع أصحاب النبي ﷺ: «يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت مَلِكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه. ولقد رأيت قوما لا يُسلمونه لشيء أبدا...»[٢].

وبلغ من شدة حبهم لنبيهم ﷺ أنهم كانوا يتسابقون الى فضل وضوئه ويبتدرون ما يتساقط من شعره، وكل أثر من آثاره، ولقد كانت أم سليم تجمع في قارورة شيئاً من عَرَقه عليه الصلاة والسلام وتتطيب به[٣]، وهذه حالة من الحب لا يبلغها الوالدان

(١) شرح النووي على مسلم ١٦/٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح الخشني ٣/ ٤٣٥.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨١٥ كتاب الفضائل باب رقم ٢١ ح رقم ٢٣٣١.

لولدهما ولا أي محبوب لمحبوبه، كيف وكان الواحد منهم يحب الله والنبي ﷺ أكثر من نفسه وماله وولده. «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه والناس أجمعين»[(1)].

والله سبحانه يقول: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

هذا طرف مما كانوا عليه من حب للنبي ﷺ وتعلق به في الدنيا، أما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فقد كان شعار أحدهم وهو يجاهد في سبيل الله مقبلاً على الموت: غدا نلق الأحبة محمداً وصحبه، هذه أمنيتهم. أن يلقوا النبي ﷺ في الفردوس الأعلى.

وتعلق أمهات المؤمنين رضي الله عنهم: بالنبي ﷺ واختيارهن الله ورسوله والدار الأخرة على الدنيا وما فيها مما سجله لهن القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. وقد اخترن جميعا الله ورسوله والدار الأخرة على الدنيا وزينتها.

٢- نظرة المؤمن للموت:

والحديث يبين لنا نظرة المؤمن للموت، هذا الموت المرعب المخيف، يتصوره المسلم إنتقالا من دار إلى دار، واستمراراً في الحياة حيث الآخرة والخلود، ولحوقاً بالأحبة محمد وصحبه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عن صحابته أجمعين.

(١) البخاري مع الفتح جـ ١/ ٥٨ باب حب الرسول من الايمان، ح رقم ١٤.

ومن هنا نجد النبي ﷺ يُبشر إحدى زوجاته بانها أسرعهن لحوقاً، ويذكر لصاحبة هذا الفضل وصفا، ويتسابقن في البحث عمن يتحقق فيها هذا الوصف، إن الموت في هذا الحديث، بشرى وأمنية والتحاق بالنبي ﷺ.

ومن عظمة الإسلام أنه مع إقراره بالحالة النفسية التي تعتري من يفقد عزيزاً ومع احترامه لمشاعر صعوبة الفراق وما سن لذلك من أحكام في التعزية لأهل المتوفى، إلا أنه مع ذلك يصف الموت بأنه انتقال إلى حياة أخرى أرحب وأفضل، ومن هنا الترغيب بالشهادة، وحب لقاء الله، والتعلق بالآخرة والزهادة بالدنيا، كل هذه المعاني تُنسَج نسيجاً عجيباً مع مصيبة الموت وألم الفراق وفجأة الموت بصورة لا يُبدعها مثل الإسلام، فيصل الدنيا بالآخرة، فلا يعطل إحدى الحياتين، بل يَعْمُرهما معاً في نفس المسلم وتصوره وفي واقع حياته ونظام الحياة.

أما الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، والذين لا يعرفون إلا المادة، فهؤلاء تهدهم مصيبة الموت فلا يحتملون صدمتها، وقد يفقدون معها أعصابهم وقد يسيطر عليهم اليأس والهروب وقد تنتهي حياتهم إلى الإنتحار، لأنهم لما حصروا أنفسهم وفكرهم في المادة المحسوسة فبالموت يخسرون كل شيء، لأنهم يعدون هذه الحياة الدنيا نهاية المطاف، إنْ فقدها فقدْ فقدَ كل شيء.

أما المسلم فإنه بالموت يكون قد أنهى جولة ليبدأ في جولة أخرى من الحياة، وبهذا تزكو الحياة وتسمو وتستقيم لأن ما يقدمه فيها ينتظره في الآخرة، وبهذا تخف وطأة الموت على النفس وتتضاعف القدرة على الصبر والاحتمال...

وفي الحديث التنافس على الخير والحرص عليه، بالسؤال عنه، وبقياس الأيدي لمعرفة من تفوز بهذا الخير والفضل، وهذه المعاني تُعَدُّ من فضائل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

٣- فضل الصدقة:

والحديث يدل على فضل الصدقة وأهميتها، فقد بيّن النبي ﷺ أن صاحبة أفضلية السبق في اللحوق به إنما تكون لأكثر أزواجه تصدقاً، ومع أن الموت والحياة والأعمار مقادير مقدرة، إلا أن البيان النبوي يدل على أن صاحبة الصدقة هي التي تستحق فضل أسبقية اللحوق به عليه الصلاة والسلام.

وإنما كانت الصدقة بهذا المقام في الإسلام لما فيها من تزكيةٍ للنفس ودلالة على مستوى الإيمان، إذ الجود والإنفاق في سبيل الله لا يَصْدُر إلا عن مستوى متقدم من الإيمان، يتجاوز فيه صاحبه الشح الذي فطرت عليه الأنفس ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] ويبلغ به درجة الإيثار التي امتدح الله بها الأنصار ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ولما فيه كذلك من تطهير المجتمع من الحقد والحسد والكراهية، وإقامة جسورٍ من التعاون والتكافل والمحبة من خلال الإنفاق على ذوي الحاجات من مال الله تعالى على عيال الله.

والنبي ﷺ في هذا الحديث يُكنّي الصدقة بطول اليد، وهذه كناية مشهورة معلومة، وفي هذه الكناية تعظيمٌ لشأن الصدقة وبيانٌ لفضل المتصدق.

ومع شهرة هذه الكناية إلا أن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن قد انصرف ذهنهن الى المعنى الحقيقي المباشر لوصف طول اليد، فأخذن يقسن بالذراع أو القصب أو غير ذلك أطوال أياديهن، فكانت سودة أطولهن يداً على الحقيقة لكن لما توفيت زينب بنت جحش قبلهن وكانت أولهن لحوقا بالنبي ﷺ علمن أن المراد بطول اليد الصدقة والإنفاق على المجاز لا على المعنى الحقيقي كما بدا لهن أول الأمر، وذلك لأنها كانت أكثرهن صدقة رضي الله عنها.

٤- فضل العامل المتصدق:

وفي رواية مسلم «لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق» وفي هذا إشارة من أمهات المؤمنين الى أهمية العمل والكسب للمرأة لأنها به تمكنت من أن تكون أكثرهن تصدقا فنالت فضيلة السبق الى اللحوق بالنبي ﷺ.

والإسلام يحترم العمل والكسب والإحتراف للرجال وللنساء، ويحث عليه، ولذلك بيّن النبي ﷺ أن النساء اللواتي يقدمن الطعام والشراب للمرأة العابدة، أفضل منها عند الله.

لكنّ الإسلام مع هذا ينظر للأمور نظرة متكاملة ولا يتعامل بالأجزاء والتفاريق، فمع فضل العمل والكسب إلا أن هناك أموراً أخرى يحترمها الإسلام ويقدّرها ويحثُّ عليها لاسيما للنساء كالأمومة والزوجية والعفة ومراعاة طبيعتها، فإذا أُخذت هذه جميعا ولم يصتدم العمل بها فعندئذ يقره الإسلام وإلا فيمنعه من باب درء المفاسد أولى من جلب المنافع ومن باب تقديم الضروريات على الحاجيات والحاجيات على الكمالات والأهم على المهم ومراعاة الأولويات.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- ما كانت عليه أمهات المؤمنين من حب للنبي ﷺ وتعلق به وتعلق بالآخرة والرغبة فيما عند الله والزهادة في الدنيا.

٢- يجوز استخدام الكناية والمجاز دون الحقيقة إذا كان في ذلك معنى جديدوفائدة زائدة.

٣- التنافس على الخير بالسؤال عنه والتسابق في تحقيقه.

٤- الحديث يُعَدُّ في فضائل أمهات المؤمنين بعامة وفي فضل زينب بنت حجش بخاصة.

٥- فضيلة الصدقة حبها وإتيانها والحرص عليها لما للصدقة من آثار على النفس وعلى الأمة والمجتمع.

٦- فضيلة العمل والكسب والتملك المشروع لما فيه من تمكن من الصدقة.

الحديث الثاني:

فضل صدقة المرأة على زوجها

عن زينب الثقفية -امرأة عبد الله بن مسعود- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حُلِيِّكُن**». قالت: فرجعتُ إلى عبد الله بن مسعود، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله قد أمرنا بالصدقة فإته فاسأله فإن كان ذٰلك يجزىء عليّ، وإلا صرفتها إلى غيركم، قال عبد الله بل ائته أنت. فانطلقتُ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله حاجتها حاجتي، وكان رسول الله قد أُلْقِيَتْ عليه المهابة، فخرج علينا بلال فقلنا له: إئت رسول الله فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزيء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. قالت: فدخل بلال على رسول الله فسأله فقال له رسول الله: من هما؟ فقال: امرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله: «**أي الزيانب؟**» قال: امرأة عبد الله بن مسعود. فقال: «**لهما أجر القرابة وأجر الصدقة**».

أولاً: تخريج الحديث:

هٰذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه، كلهم من حديث الأعمش عن أبي وائل، عن عمرو بن الحارث، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود. وبعضهم اقتصر على ذكر كلام النبي ﷺ، وبعضهم ذكر القصة بطولها. وهٰذا لفظ مسلم[1].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٣٢٨ -الزكاة- الزكاة على الزوج والأيتام باب ٤٨ - رقم ١٤٦٦.
صحيح مسلم ٢/ ٦٩٤ -الزكاة- باب فضل الصدقة على الأقربين.. رقم ١٤ -حديث رقم ١٠٠٠
جامع الترمذي ٣/ ١٩ -الزكاة- باب ١٢ ما جاء في زكاة الحلي، رقم ٦٣٥، ٦٣٦.
النسائي في السنن الكبرى (٦٥:٣) كذا ذكره المزي في التحفة ١١/ ٣٢٦ رقم ١٥٨٨٧.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه ص٢١٢ ح٨٣١ كذا في تحفة الأشراف ١١/ ٣٢٦ من رواية عمرو ابن الحارث عن هشام.. عن ريطة امرأة عبد الله بن مسعود به. =

وله شاهد من حديث أم سلمة عند البخاري ومسلم وابن ماجه(١).

ثانياً: معاني المفردات:

معشر النساء: **المعشر**: الجماعة من الجنس الواحد.

من حُلِيِّكُن: الحلي، ما تتزين به النساء من الذهب والماس والفضة وما شابه ذٰلك.

رجل خفيف ذات اليد: فقير لا تملك إلا القليل من المال.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- فضل الصدقة:

في هٰذا الحديث بيان لفضل الصدقة وقيمتها في الإسلام، فإن النبي ﷺ في هٰذا الحديث يحث النساء على الصدقة، ويحثهن عليها ولو من حُليّهن الخاصة بزينتهن، وما كان الأمر ليبلغ هٰذه الدرجة لولا أهمية الصدقة وما فيها من الأجر.

ولقد ورد بيان فضل الصدقة في كثير من الآيات والأحاديث، فالصدقة تطفىء الخطيئة، والصدقة برهان على صدق الإيمان، والصدقة تقي من النار، والصدقة تمنع البلاء، والصدقة تزكي نفس صاحبها، وتنمي ماله وتباركه.

ولما كان للصدقة هٰذا الفضل نجد في هٰذا الحديث أن النبي ﷺ يخص النساء بالحث عليها، حتى لا يفوتهن هٰذا الأجر وهٰذا الفضل، وحتى لا تظن المرأة أنها غير مكلفة بالصدقة لأنها ليست مكلفة بالنفقة. ثم لأن النساء بسبب طبيعتهن وظروفهن يحرمن من كثير من أبواب الخير والأجر ويقعن في بعض المحرمات كان هٰذا الحث لهن حتى

= أخرجه النسائي باب الصدقة.. على الأقارب ٥/٩٣ وسنن ابن ماجه ١/٥٨٧ -الزكاة- باب ٢٤ الصدقة على ذي قرابة – رقم ١٨٣٤.

(١) سنن ابن ماجه – الصفحة السابقة رقم الحديث ١٨٣٥.

صحيح مسلم الصفحات السابقة حديث رقم ١٠٠١ والبخاري نفس الصفحات – ح رقم ١٤٦٧.

يتطهرن من الذنوب ويرتقين في الدرجات «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»[١].

ولقد أدركت المسلمات الأوليات أهمية هٰذا النصح وهٰذا التوجيه النبوي فكن يكثرن من الصدقة ولا زلن مما يملكن من مال ومن حليهن. ولا زِلْنَ في كل مناسبة يُدعىٰ الناس فيها للانفاق والبذل في سبيل الله نجد النساء أكثر سخاءً من الرجال، وهٰذا راجع لرقة قلوبهن إذ يتأثرن بالتوجيه أكثر، ويرغبن في الأجر أكثر، وترق قلوبهن لحال من يجمع لهم المال أكثر من الرجال. ثم لأن ما يملكن من المال لَسْنَ مكلفات فيه بنفقة ولا مسؤولية عن أحد، فيسهل عليهن البذل والتصدق.

٢- لا زكاة في الُحلِيّ:

والحديث يحث على التصدق ولو من الحُلي. والحلي هي الجواهر والمعادن التي تتخذ للزينة، وتشتريها المرأة وتحتفظ بها لغرض الزينة، أما إذا كانت تُحوِّل أموالها وممتلكاتها إلى ذهب أو فضة أو ما شابه ذٰلك لغرض التجارة أو الكنز والإدخار فلا يأخذ حكم الحلي.

والصدقة في الحديث جاءت بلفظ عام لم يحدد المراد به هل الصدقة الواجبة أو صدقة التطوع. وجمهور العلماء يرجحون أن المراد صدقة التطوع. وبعض العلماء يورد هٰذا الحديث دليلاً على زكاة الحلي. وهٰذه المسألة اختلف فيها العلماء والحديث ليس صريحاً في هٰذه المسألة.

وقد اختصر الإمام الترمذي مجموعة أقوال العلماء في هٰذه المسألة في تعقيبه على هٰذا الحديث فقال:

«واختلف أهل العلم في ذٰلك: فرأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين في الحُليِّ زكاة، ما كان من ذهب وفضة. وبه يقول سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك.

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٠٣ صلاة العيدين ح رقم ٤.

وقال بعض أصحاب النبي ﷺ منهم ابن عمر وعائشة وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك: ليس في الحُليِّ زكاة. وهٰكذا رُوِيَ عن بعض فقهاء التابعين. وبه يقول مالك ابن أنس والشافعي وأحمد وإسحٰق»[١].

وقال معقباً على الحديث الثاني وهو في زكاة الحلي: «ولا يصح في هٰذا الباب عن النبي ﷺ شيء»[٢].

وقد تعقب بعض الأحاديث الواردة في هٰذا المعنى -زكاة الحلي، والمحلق من الذهب- الإمام الخطابي قائلاً: «وهٰذا يُتأَول على وجهين: أحدهما: أنه إنما قال ذٰلك في الزمان الأول، ثم نسخ وأُبيح للنساء التحلي بالذهب.. والوجه الآخر: أن هٰذا الوعيد إنما جاء فيمن لا يؤدي زكاة الذهب دون من أداها والله أعلم»[٣] وحمل الكلام على هٰذين التأويلين ولم يتعرض لكونه محلقا أو غير ملحق، لأن مجموعة الأحاديث في الكلام عن استخدام الذهب لا عن استخدام المحلق منه فتأمل.

٣- المرأة تتصدق على زوجها:

وفي هٰذا الحديث تبادر زينب زوجة ابن مسعود إلى أمرين يدلان على فضلها: تبادر للتفكير بحال زوجها وأنه فقير لا يجد إلا القيل، فتفكر بالإنفاق على زوجها وهٰذا شعور كريم نحو زوجها وبيتها.

وتبادر إلى معرفة الحكم الشرعي في هٰذه المسألة: هل يجزيء عنها أن تنفق صدقتها على زوجها، وهٰذه فضيلة علمية لها تجعلها تبحث عن الحكم الشرعي وتتعلمه وهي فضيلة تتعلق أيضاً بدينها وتقواها والتزامها بأحكام هٰذا الدين، ووقوفها عند حد الشرع لا تتجاوزه، ولذٰلك تسأل أولاً قبل أن تتصرف في مالها وصدقتها.

---

(١) جامع الترمذي ٣/ ٢٠.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢١.

(٣) معالم السنن -بحاشية سنن أبي داود- ٤/ ٤٣٧.

إن التفقه في الدين، والإلتزام بحد الشرع فضيلتان تتجليان في حياة هٰذه الصحابية الفاضلة وأختها الأنصارية التي التقتها عند باب بيت النبي ﷺ، وهي تريد نفس الحاجة التي تريدها زينب، رضي الله عنهما.

هٰذا الأُنموذج التقي الملتزم نَذْكُره اليوم ونريد أنْ نَبُثَّ أخباره في الناس في هٰذا الزمان، الذي طغت فيه المادة، فصار كثير من الناس يتصرف في المال وفي كل شؤون حياته، يتصرف بناءً على هواه أو بناءً على ضغط العادة والعرف الإجتماعي والتقاليد السائدة، ثم يأتي إلى عالِمٍ، ويُحرِّف له الكلم ليأخذ فُتْيا توافق هواه الذي تصرف بناءً عليه، شتان شتان بين هٰذين الصنفين من الناس.

إنها تخاطب زوجها في التزام ووضوح: «فإن كان ذٰلك يجزىء عني وإلا صرفتها إلى غيركم» لقد ربى النبي ﷺ في وقت يسير من الزمان، مجتمعا صادقاً واضحاً ملتزماً بحدود الله، يبحث أفراده عن الحق، ولا يعدلون به شيئاً، ولا يحيدون عنه فتيلاً، سواء في ذٰلك النساء أو الرجال.

٤- طلب المرأة للعلم والفقه:

وتذهب المرأة المسلمة لتستفتي رسول الله ﷺ لتنفق صدقتها على زوجها إن كان ذٰلك يجزىء عنها عند الله، ولتتفقه في دينها، ولا ترى في ذٰلك غضاضة، بل تجد بباب رسول الله ﷺ امرأة أخرى تسأل عن نفس المسألة، ولا يرى زوجها في ذٰلك غضاضة، ولا يرى النبي ﷺ في ذٰلك ما يمنع ويجيب على سؤالهما.

وهٰذه حادثة في المجتمع الإسلامي في عهد النبوة، وهناك حوادث أخرى كثيرة مماثلة لها في تعلم المرأة وتفقهها في دينها وسؤالها عما تحتاج إليه من العلم.

وهٰذا الموقف الإسلامي من تعليم المرأة وتفقيهها يعد سبقاً تاريخياً في حياة المجتمع الإنساني وفي تاريخ البشرية.. ونسمع اليوم من يتجاهلون ويجهلون ويحاولون طمس

هٰذا الحق للمرأة.. لٰكننا ونحن نؤكد حقها في ذٰلك، هٰذا الحق الذي لا يملك أحد من البشر أن يخوض فيه، ما دام رسول البشرية قد شرعه لهن، لسنا مع الذين يتسترون بهٰذا الحق وأمثاله ليشيعوا التغريب والفساد والتبرج والإختلاط في المجتمع باسم العلم أو غيرة من الأسماء. وهٰذه المفاسد ليست ملازمة للعلم، ولا وسيلة لتحصيله ولا شرطا من شروطه، فيمكن أن تتعلم المرأة بطريقتنا الإسلامية المتميزة.. بعيداً عن التغريب وآفاته.

وإذا كان تعليم المرأة على الطريقة الإسلامية حقاً للمرأة كما هو حق للرجل، وهدفاً من أهداف المسلمين، فلا يجوز أيضاً أن تحرم هٰذا الحق، حتى تتمكن من تحقيقه كما نريد، فلتتعلم الفتاة كما يتعلم الشاب في ظل ظروف التعليم الحاضرة، مع الحرص على أن تلتزم في ذٰلك بأخلاقنا، ونبقى نعمل ونطالب لإيجاد الطريقة والنظام التعليمي الذي نريد.

٥- مهابة النبي ﷺ بين أصحابه:

وتصف الصحابية الجليلة رسول الله ﷺ بأنه قد أُلقِيَتْ عليه المهابة، لقد كان النبي ﷺ متواضعاً في كل شيء في لباسه وأثاثه وبيته وحياته كلها، يسير مع الجارية والمسكينة ليقضي لها حاجتها.. ومع ذٰلك كان مهيباً، هٰذه المهابة إنما تقع في نفوس أصحابه إجلالاً للرسول ﷺ، وتقديراً لعلو فضله ومكانته، وهو الذي يتنزل عليه وحي السماء، وهو الذي أنقذ أهل الأرض من التيه، وخلص البشرية من لوثات الشرك وآفات الجهل.. نقول هٰذا ونحن نرى في حياة البشرية أناساً يريدون أن ينالوا الزعامة والمهابة بالطبل والزمر، والنفخ والنفاق والمظاهر الزائفة.. وهيهات أن ينالوا ما يريدون.

وصدق الشاعر إذ يقول:

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رُدِّيت برداً

إن الجمـــــال معـــــادن ومنـــــاقـــــب أورثـــــن مجـــــداً

ووجود بلال بباب رسول الله ﷺ إنما كان ليستأذن للناس بالدخول على رسول الله لا حاجبا يمنع الناس من الدخول عليه ﷺ، إذ من المعروف أن النبي ﷺ لم يتخذ حاجباً، وكان ظاهراً في أصحابه مخالطاً لهم ليس محجوباً عنهم.

٦- حياء المرأة المسلمة:

وفي سؤال الصحابيتين لبلال أن يخبر النبي ﷺ بحاجتيهما، دليل على حيائهن وخوفهن من مهابة رسول الله فاكتفين بالطلب من بلال، ولهٰذا ذكرت الصحابية هنا مهابة النبي ﷺ لتبرر اكتفاءهما بالقول لبلال، ولهٰذا أيضاً طلبن منه أن لا يخبره من هما.

٧- حجاب المرأة المسلمة:

وفي معرفة بلال لزينب باسمها وأنها زوجة عبد الله بن مسعود، وما شابه ذٰلك من الروايات التي يرد فيها أن بعض الصحابة يعرفون بعض الصحابيات، دليل على أن المجتمع ما كان مغلقاً على نفسه كما يتخيل البعض، وأنه كان بينهم قدْر من التعارف بسبب شيء من الحركة في المجتمع لٰكن بقدْر يسير تقتضيه الحاجة، وربما يفهم من بعض هٰذه الروايات أن النساء لم يكنَّ يحتجبن بغطاء الوجوه إذ لو كانت الوجوه مغطاه لكان من الصعب تمييز امرأة عن أخرى، والله أعلم. وهٰذا لا يمنع أن بعض النساء كن يغطين وجوهن دائماً أو في بعض الظروف، لٰكن لعله لم يكن حال عامة النساء. ويشهد لهٰذا الحديث الذي رواه مسلم في حث النبي ﷺ للنساء على الصدقة يوم العيد وفيه فقامت امرأة سعفاء الخدين[1] فكيف يوصف خداها إذا كانت تغطي وجهها.

---

(١) صحيح مسلم ٢/٦٠٣ صلاة العيدين ح رقم٤.

٨- صلة القربى والصدقة على الأقارب:

وفي جواب النبي ﷺ تتجلى مكانة القرابة وصلة الأرحام في الإسلام، فإن المتصدق إذا أخرج صدقته إلى أقاربه يكون مأجوراً على ذٰلك، بل ينال أجرين.

والعلاقة المالية بين المرأة والرجل، تأخذ أشكالاً من الحساسية والتنافس بين الرجال والنساء في مجتمعاتنا المعاصرة، لا سيما بعد أن انتشرت ظاهرة عمل المرأة. ومع أن الإسلام لم يكلف المرأة بالعمل، ولم يكلفها بالانفاق على أحد ولا حتى على نفسها، وكفل ذٰلك كله لها، إلا أن المرأة صاحبة المال عليها الصدقة. حتى ولو من حليها، وهي عندما تتصدق عليها أن تلاحظ ظروف زوجها وحالته المالية وكذٰلك غيره من الأقارب، فتحرص أن تعطيهم صدقاتها أو من صدقاتها فهم أولى من غيرهم بذٰلك.

وإذا كان هذا في الصدقة، فإنه كذلك جائز في غيرها إذاكانت زكاة، أما الصدقة الطوعية فهذا باب مفتوح فيحسن بالمرأة أن تساهم في حياة زوجها وأعبائها من مالها إن كان لها مال، وهذه صدقة لها عليها أجر، بل لها عليها أجران كما أخبر النبي ﷺ.

ولو أن النساء أَدركن هذا المعنى وأخذن به لزالت كثير من المشكلات التي تهدد البيوت التي فيها نساء عاملات، وحتى إذا كان زوجها مستغن عنها وقائماً بذاته وأسرته فيحسن أن تعطيه ولو من قبيل الهدية إذا علمت فيه رغبة الى ذلك. لا سيما وأنها في خروجها الى العمل وإن كانت تبذل من جهدها، إلا أنها تخرج على حساب حقه فيها وحاجاته وحاجات بيته اليها.

وإذا قلنا للمرأة أن تدفع لزوجها وأهلها وأقاربها من صدقتها إذ هم أولى من غيرهم فاننا نقول للرجل أيضاً: إن هذه المرأة التي تخرج للعمل تتحمل عبئا مضاعفاً وهي تعمل في البيت وخارجه فلها حقها في مالها، وليست مكلفة بأي شيء نحو البيت ولا نحو الزوج ولا نحو أحد من الناس، ولها كامل الحق في التصرف بمالها فدعها أيها الزوج وشأنها، بل ترفَّع عن الأخذ من مالها والتدخل في تصرفها فيه، إلا بإذنها ورضاها.

بهذين الموقفين من الرجال والنساء، نصون بيوتنا من التمزق والتباغض الذي أخذ يعصف بحياة الكثير من هذه البيوت يوم أن شاعت روح العمل بين النساء... هذه ظاهرة جديدة على حياتنا، إذا لم نحسن التصرف فيها، فإننا نشقى ونخسر.

والإسلام وهو يوجه إلى الإنفاق بشكل عام، والإنفاق في سبيل الله على الأقارب، إنما يريد للروابط أن تقوى وتنمو بين الأقارب، لا أن تتحول إلى تنافس وتباغض وتحاسد لما بين الأقارب من الإحتكاك بسبب القرابة، وهذه احدى لفتات الإسلام الهامة في بناء المجتمع وصيانته من عوامل الفساد، ولذلك جَعَلَ للمتصدق على أقاربه أجرين، وحث على صلة الأقارب والأرحام، وحدد علاقات وحقوقا للأقارب فيما بينهم للتعارف والتعاون على الخير، لا للتناحر والتناكر والتباغض، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فما دامت رابطة القبيلة والقوم في هذه الدائرة فالإسلام يرعاها ويحافظ عليها، ويضع من التشريعات والتوجيهات التي تحافظ عليها.

أما عندما تصبح هذه الرابطة، رابطة من دون العقيدة، ومقياساً للتفاضل بين الناس، على أساسه تقوم العلاقات، وتحدد الحقوق والواجبات، فهي بهذا المعنى منافية للإسلام، ومرفوضة، ومن دعوى الجاهلية، وهي بهذا المعنى روح عنصرية في مثلها يقول الرسول ﷺ: **«دعوها فإنها منتنة»**(١) ويقول عليه السلام: **«ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية»**(٢).

---

(١) صحيح البخاري -مع الفتح- جـ٨/ ٦٤٨ كتاب لتفسير سورة ٦٣ ح رقم ٤٩٠٥.

(٢) سنن أبي داود جـ٥/ ٣٣٢ كتاب الادب باب ١١٢ ح رقم ٥١٢١ ومسند أحمد ٢/ ٣٠٦، ٤٨٨.

والمستعمر في خططه للقضاء على الإسلام والمسلمين أخذ يطرح عبر الأقليات والأذناب المفاهيم القومية بالمفهوم الغربي العنصري. وأصبح يراهن على الصراع بين الإسلام والعروبة في بلاد العرب. وكذلك مع القوميات الأخرى في العالم الاسلامي، وصار يصور للناس أن الاسلام هو الخطر الأكبر الذي يتهدد النظام العربي! والحق أن العرب في وجودهم وحضارتهم يعتمدون على الإسلام، وإذا سلخنا الإسلام من التاريخ العربي فماذا يبقى للعرب. والإسلام هو شخصية الأمة وحضارتها ومضمونها الفكري والعقيدي، والأمة بلا إسلام كالجسد بلا روح أو كجثة ميتة مجهولة الهوية.

فالإسلام هو الذي يحقق الوجود لهذه الأمة، وهو الذي يحافظ على كيانها وشخصيتها في وجه التغريب وزحمة المبادىء، وهو الذي يعطيها بعدها العقدي ودورها الحضاري؛ فليس هو خطر يتهدد النظام العربي وإنما هو أساس كيان العرب.

رابعاً : من أحكام الحديث:

١- حرص النبي ﷺ على النساء وتوجيههن الى ما ينفعهن من أبواب الخير.

٢- فضل الصدقة وأهميتها وأنها من دواعي الإيمان والنجاة من النار ولذلك كان الحث عليها على كل حال من العسر واليسر وحتى من الحُليّ.

٣- شعور المرأة المسلمة بمعاناة زوجها وحرصها على مساعدته فيما يكابد من البذل والإنفاق والسعي إلى الرزق.

٤- ما كان عليه المسلمون من التزام للشرع وعدم التصرف في أي أمر قبل الرجوع إلى الشرع.

٥- الحرص على التعلم والفقه في الدين، ومعرفة أحكام المسائل التي يمارسها المسلم في حياته حتى تكون ممارسته موافقة للشرع، لا فرق في ذلك بين النساء والرجال.

٦- خروج النساء من البيوت والذهاب الى النبي ﷺ حيث العلم والفقه والفتيا للسؤال عن أمور الدين والحياة، وأن هذا لا يتعارض مع العفة والستر والأمر بعدم التبرج.

٧- يجوز اتخاذ الحاجب والآذن وأمين السر ومدير المكتب وما شابه ذلك لتنظيم الأعمال على أن لا يُترك الأمر له فيمنع الناس عن حاجاتهم ومسائلهم.

٨- كانت المرأة تُعْرف باسمها وشكلها من خلال بعض الإحتكاك في المجتمع والحي كالتردد على المسجد والذهاب للسوق والذهاب الى بيت النبي ﷺ للسؤال عما يهما في دينها ودنياها.

٩- يجوز للانسان أن يتكتم على بعض المعلومات إذا رأى أن المصلحة تقتضي ذلك، أو أن الحال لا يقتضي الافصاح عنها. كما يجوز للقائد والمربي أن يطلع على بعض هذه المعلومات إذا رأى في ذلك المصلحة؛ وإرادة القائد المربي مقدمة على أرادة الفرد.

١٠- فضل صلة الأقارب والتصدق عليهم والإحسان لهم وأنهم أولى بالمعروف من غيرهم وهذا من قبيل التعارف الذي أشارت اليه الآية ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ . . ﴾ [الحجرات: ١٣].

١١- يجوز التصدق على الزوج والأقارب إن كانوا فقراء وأن التصدق عليهم يجزىء عن المتصدق عند الله، بل له أجران.

١٢- يجوز للمرأة أن تنفق وتتصدق مع أنها غير مكلفة لا بالعمل ولا بالانفاق، بل يجب عليها التصدق إن كانت تملك المال الذي تجب فيه الزكاة، وهي مدعوة للتطوع فيما دون الزكاة. أي أن عدم تكليفها بالعمل والإنفاق لا يعني عدم تكليفها بالصدقة إن كان لها مال.

سادساً: في لباس المرأة المسلمة وزينتها

الحديث الأول: صنفان من أهل النار.

الحديث الثاني: جر الثوب خيلاء وذيول النساء.

الحديث الثالث: المغيِّرات خلق الله.

الحديث الأول:

صنفان من أهل النار

عن أبي هريرة في حديث طويل قال: قال رسول الله: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قومٌ معهم سِياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ، رؤسُهن كأسنمةِ البُخْت، لا يدخلن الجنة ولا يَجِدْنَ ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرةِ كذا وكذا**».

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث رواه الإمام مسلم والإمام أحمد من حديث أبي هريرة باختلاف يسير(١).

ثانياً: مفردات الحديث:

السِياط: جمع سَوط، وهو من جِلْد يستخدم للضرب به.

كاسياتٌ عارياتٌ: وصفٌ لصنف من النساء تكون ملابسهن ليست كاسية لأجسامهن إما لضيقها أو قصرها أو شفافيتها.

أسنمة البُخْت: سَنام الناقة.

ثالثاً: المعنى العام للحديث:

يُحذِّر النبي ﷺ مما سيطرأ على المسلمين من تغيرات في آخر الزمان، حيث يظهر صنفان من الناس هما من أهل النار، رجال يضربون الناس بالسِياط بغير حق، ونساء متبرجات غير متسترات يتمايلن في الطرقات.

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٢ كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح رقم ٥٢، جـ٣/ ١٦٨٠ كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات ح رقم ١٢٥ .
ومسند الإمام أحمد ٢/ ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٥٦، ٤٤٠ جـ٥/ ٢٥٠.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١- تغير أحوال الناس في آخر الزمان:

إن أحوال الناس تتبدل وتتغير، فيقع من الأحوال والأحداث في كل زمان مما يغاير غيره من الأزمنة، ولقد أخبر النبي ﷺ عن أحوال ومتغيرات ستقع مما لم يدركه في زمانه عليه الصلاة والسلام.

وفي هٰذا معلم من معالم النبوة يخبر فيه النبي ﷺ عن أمور من الغيب في المستقبل وقد وقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام. وهاهم الناس في القرن العشرين يُجلدون في معظم الأقطار بل صار التعذيب فناً من الفنون، له خبراء متخصصون، وله ضروب وفنون، وتُختَرع له الأجهزة والأساليب، وتتنافس الأنظمة في اقتناء أدواته، وممارسة أساليبه! كما فيه إخبار بأن زمن النبوة هو النموذج والمقياس وتغييره والخروج عليه ابتداع مرذول مردود مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومخالف لما كان عليه أمره: «**من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه فهو رد**»[1] «**وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة...**»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ -ما ليس فيه فهو رد- كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ح٢٥٥٠.
ورواه مسلم في صحيحه جـ٣/ ١٣٤٣ كتاب الأقضية/ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ح١٧. وأبو داود في سننه جـ٥/ ١٢ كتاب السنة باب من لزم السنة ح٤٦٠٦.
ورواه ابن ماجه في سننه جـ١/ ٦ كتاب المقدمة/ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ... ح١٤ وأحمد في مسنده ٦/ ٢٧٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه جـ٢/ ٥٩٢ عن جابر بن عبد الله- كتاب الجمعة/ باب تخفيف الصلاة والخطبة ح٣ رواه أبو داود في سننه جـ٥/ ١٣كتاب السنة/ باب في لزوم السنة ح٤٦٠٧ والنسائي في سننه جـ٣/ ١٨٨ كتاب العيدين/ باب كيف الخطبة ح١٥٧٨ وابن ماجه في سننه جـ١/ ١٥ كتاب المقدمة/ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح٤٢ والدارمي جـ١/ ٥٧ في سننه كتاب المقدمة/ باب اتباع السنة ح٩٥ -وهو شاهد للأحاديث السابقة فهو مروي عن العرباض بن سارية -.

إن أعراف كل أمة وقيمها إنما تصدر عن عقيدتها وتصورها للوجود، وكلما أصيبت العقيدة بالعبث أو التغيير كلما تبدلت الأعراف والقيم، ولقد كان للمجتمع الإسلامي أعرافه وقيمه، ولٰكن الأمة المسلمة اليوم قد أخذت بأخذ القرون، فتبدلت أعرافها وقيمها، وظهر فيها أصناف من الناس لهم أعراف ما رآها النبي ﷺ في زمانه.

٢- ذم الظلم وعاقبة الظالم:

والظلم الذي يقع على الناس في آخر الزمان، والذي بيَّن النبي ﷺ صورته في رجال يضربون ظهور الناس بالسِياط. وهٰذه الصورة القبيحة الغليظة، إنسان يحمل بيده سوطاً طويلاً عريضاً مثل أذناب البقر، يلهب به ظهر أخيه الإنسان!

وهٰؤلاء الذين يلهبون ظهرو الناس بالسِياط إنما يقومون بذٰلك لما في أيديهم من سلطان، ولا يتمكنون من ذٰلك إلا إذا استفحل الظلم، واستسلم الناس للطغيان، وفسدت ذمم فوجد صاحب السلطان من يُسَخِّرُه لجلد الناس بالسِياط في سبيل لُعاعة من الدنيا.

والرسول ﷺ وهو يخبرنا بذٰلك محذراً من ظهور هٰذا الصنف من الناس إنما يؤكد حرمة الإنسان نفسه وماله وعرضه، ويؤكد صيانة هٰذه الحرمات، والإسلام حفل بصيانة حرمات الإنسان بما لم يحفل به مذهب من المذاهب، لأن حرمة الإنسان أساس حريته وحياته، والحياة بلا حرية وحرمات زهيدة لا تستحق الحرص عليها. وكل خير وكل حضارة يقوم به الإنسان إنما هو أثر لممارسة الإنسان حريته وصيانة حرماته، فكأنها الحفاظ على الحياة، لأنها هي الحياة.

وعندما تُمَسُ حرية الإنسان وتُنتَهك حرماته فإن الحياة تتحول من العمل والعطاء إلى صراع على البقاء، فتتعطل الطاقات وتنزف الامكانيات في تطاحن أبناء الأمة فيما بينهم، وإذا استسلم الناس وهانت عليهم حرماتهم وحرياتهم وأنفسهم فإنهم يفقدون قيمتهم فيصبحون أرقاماً بلا قيمة أو أناساً يعملون بسلبية فتنخر سوسة الفساد في الأمة.

وإذا سوّلت للطاغية نفسه أنه بجلد الناس وقهرهم ينال منهم ما يريد، ويضمن خضوعهم لما يريد، فإنه واهم وخاسر، لأنه يخسر أمته، ثم سيخسر نفسه بالتالي وسلطانه، وكم من ظالم جنى عليه ظلمه، ورحم الله ابن تيمية إذ يقول: قد يدوم الحكم الكافر مع العدل، ولا يدوم مع الظلم....

٣- انحراف النساء والتحذير من فتنتهن:

أما الصنف الثاني الذي يحذر منه النبي ﷺ، فهو التبرج في النساء، ويصف له صورة، نراها اليوم، فنُصدِّق ما قال فيها عليه الصلاة والسلام، وندرك أنها من علامات صدقه ونبوته.

هاهن النساء يرتدين ملابس يكن معها لا عاريات ولا لابسات، يبدين السَّوْءآت ويتفنن في الاثارة باللباس، فلمّا كان لا يستر ويثير كانت كالعارية، ولما كان لباساً يلبسنه كانت كالكاسية، فمن هنا وصفهن النبي ﷺ بأنهن كاسيات عاريات.

وفوق ما في الملابس من عري وإثارة، فإنهن يتمايلن في مشيتهن وحركاتهن فيُثِرْن كذٰلك، وربما تكون الحركات أشد إثارة من مجرد اللباس الذي يثير، ومن هنا كانت صورة هٰذا الصنف من النساء أنهنّ يرتدين مالا يستر وما يثير، ويتمايلن للإثارة ثم يرفعن شعورهن فوق رؤوسهن كأسنمة النوق. فيمارسن مجموعة من المثيرات، وهن على درجات من الغواية والفساد.

واللباس في الإسلام إنما كان للستر والعفة أولاً ثم للجمال والتزين ثانياً ومن هنا كان التوجيه الإلٰهي الكريم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

فالنظرة الأخلاقية للباس هي الأهم، وهو مع ذٰلك للزينة والجمال، أما الغربيون فقد سيطرت عليهم النظرة الحسية الشهوانية، فصار الجمال الفاسد الشاذ هو الذي يحكم المقاييس التي تخضع لها الألبسة، فظهرت هٰذه الصرعات التي تتفنن في الإثارة والتعري وإبداء السوءات، فتارة يُشق اللباس من أعلى وأخرى من أسفل، ومرة عن يمين وأخرى عن شمال. ومرة من أمام وأخرى من خلف، والمرأة سقطت صريعة هٰذا الإنحراف، فشقيت وأشقت.

والحضارة الغربية في هٰذا، سليلة الوثنية الإغريقية والرومانية، التي جعلت للجمال إلٰهاً، وعبدت الأجسام العارية، وتلذذت في مسارحها وحفلاتها بالأجساد تتعرى، والحياء يخدش والحرمات تهان.

٤- صيانة الإسلام للمجتمع:

والإسلام وهو يصون الحرمات ويرعى الفضيلة والأخلاق، إنما يريد للعلاقات الإنسانية أن تسمو وترتفع، وللمجتمع الإنساني أن يعيش سلاماً واستقراراً وللنفس الإنسانية أن تأمن وتستقر.

وفي ظل أمن النفس واستقرارها، والسلام الاجتماعي والاستقرار، والعلاقات الإنسانية الرفيعة الكريمة، تنمو الحياة وتزدهر، ويحقق الإنسان ذاته، وينطلق من إسار الشهوة والإثارة والعبث، ليكون عبداً لله عاملاً منتجاً ومجاهداً داعياً.

أية عبودية هٰذه التي تُسَخَّرُ لها المرأة، عندما يصبح كل همها الإثارة، في لباسها، وفي حركاتها، وفي شكلها... إنها النخاسة التي تريد للمرأة أن تتبذل ليجدها من يريدها حيثما أراد ومتى أراد.

ومن العجب أن يكون هٰذا في زمن كثر الكلام فيه عن المرأة وحقوقها وإنسانيتها، وهٰؤلاء الذين يرفعون عقيرتهم بالمطالبة بحقوق المرأة والتحدث عنها هم الذين يريدونها بهٰذه الصورة.. فهل هٰذه غاية هٰذه الدعوات؟!

إننا نريد كما تحدثنا في مناسبة سابقة أن يكون للمرأة كيانها المستقل المناسب لطبيعتها ودورها ومكانتها، لٰكن في إطار من العفة والفضيلة.. وإلا فهٰذه شنشنة لها في النفس خبيء!

٥- سعة الجنة:

والحديث الشريف يتحدث عن شيء من طبيعة الجنة وسعتها وأن لها ريحا زكياً يوجد على مسافة بعيدة عبر عنها النبي ﷺ بأنه «مسيرة كذا وكذا»، وهٰذا التعبير يشعر ببعد هٰذه المسافة.

وهٰذه الجنة الواسعة، وهٰذا الريح الزكي الممتد، مُحرّم على هٰذين الصنفين: الذين يجلدون ظهرو الناس، والنساء المتبرجات المتمايلات الفاتنات.. وفي هٰذا دليل على فحش هٰذين الصنفين وسوء هٰذين العملين، وهٰذا الترهيب الرعيب من مصير أصحاب هٰذين الوصفين إنما كان للآثار التي تترب عليهما والأضرار الاجتماعية التي تتهدد المجتمع بسببهما، فلما كانت هاتان الجريمتان متعديتين إلى غير الفاعلين وملحقتين أضراراً شديدة على الأمة والمجتمع كان هٰذا الوعيد وهٰذا الحرمان من فضل الله.

والتوجيه الإسلامي للنفوس يعتمد وسائل عديدة، وهٰذا الحديث يبين لنا إحدى أهم هٰذه الوسائل، الترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، هٰذا الأسلوب الذي تستجيب له النفوس وتتفاعل معه وتخشع له القلوب، أكثر ما يكون الإنفعال والخشوع والإستجابة.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- للنار أهلها وللجنة أهلها، كل بما اكتسب، ولكل فريق أوصاف وسلوك.

٢- الحديث يخبر بما سيكون في آخر الزمان من تغيير في أحوال الناس وقيمهم وأخلاقهم.

٣- حرمة الإنسان وتعظيم جرم من ينال من حرماته.

٤- جريمة من يجعلون من أنفسهم أدوات للظالمين يضربون ظهور الناس لحسابهم، فيخسرون بذٰلك آخرتهم من أجل دنيا غيرهم.

٥- التحذير من الاذعان للظالمين والخضوع لأساليبهم وأدواتهم ففي ذلك فتنة الناس وتبدل أحوالهم.

٦- أهمية الستر والفضيلة والعفة في العلاقات بين الجنسين ففيها النجاة من هٰذا الوعيد الذي حذر منه النبي ﷺ.

٧- خطورة الإثارة والفاحشة في المجتمع ولهٰذا كان عليها هٰذا الوعيد الشديد.

٨- كل نشاط للمسلم مسؤول عنه في اللباس والحركة والشكل، فلا يظن أن هٰذه قضايا شخصية وبسيطة وليست ذات بال.

٩- الناس بالنسبة للجنة أو النار على مراتب، بعضهم في أحدهما وبعضهم قريبمن أحدهما وبعضهم بعيد من أحدهما.

١٠- الحديث من علامات النبوة، فقد أخبر عن أمور من الغيب، ووقعت كما أخبر عنها.

١١- في الحديث بيان لما كان عليه النبي ﷺ من حرص على أمته واشفاق عليها، حتى بعد وفاته وفي آخر الزمان.

الحديث الثاني:

جر الثوب خيلاء وذيول النساء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«من جرّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقالت أم سلمة:

كيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: «ترخين شبرا» قالت: إذن تنكشف أقدامهن.

قال: «فيرخين ذراعا ولا يزدن عليه».

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث من طريق ابن عمر ورد على وجوه:

ورد بهذا الوجه المثبت هنا، بذكر كلام النبي ﷺ، ثم بذكر كلام أم سلمة، هكذا أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد.(١)

وورد بوجه أخر اقتصر فيه على كلام النبي ﷺ دون ذكر كلام أم سلمة، أخرجه مسلم ومالك.(٢)

وورد بمثل هذا الحديث مع ذكر قول أبي بكر، إن أحد جانبي إزاري ليسترخي، إني لأتعاهد ذلك منه، قال رسول الله «لستَ ممن يفعله خُيلاء». هكذا أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي.(٣)

---

(١) جامع الترمذي ٢/ ٢٢٣ اللباس ـ باب ٩ حديث رقم ١٧٣١، سنن النسائي ٨/ ٢٠٩ الزينة ـ ذيول النساء، مسند أحمد ٢/ ٥، ٥٥.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٥١ اللباس ـ باب ٩ حديث رقم ٢٠٨٥، الموطأ ٢/ ٩١٤-٩١٥ اللباس ـ باب ٥ الحديث رقم ١٣٠٩.

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٢٥٤ (اللباس ـ من جر ازاره من غير خيلاء)، النسائي ٨/ ٢٠٨ الزينة ـ إسبال الازار) سنن أبي داود ٤/ ٣٤٥ اللباس ـ إسبال الازار حديث رقم ٤٠٨٥.

وورد ذكر كلام أم سلمة في حديث منفصل عند مالك وأحمد والدارمي والنسائي.[(١)]

كما ورد في هذا الباب من حديث أبي سعيد وأبي ذر وأم سلمة وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم.[(٢)]

وقال الترمذي: وفي الباب عن حذيفة وأبي سعيد وأبي هريرة وسمرة وأبي ذر وعائشة وهبيب بن مغفل.[(٣)]

ثانيا: مفردات الحديث:

من جر ثوبه خُيَلاء: المراد بجر الثوب أن يكون الثوب طويلا يجر على الأرض والخيلاء: الكِبَر والعُجب.[(٤)]

كيف تصنع النساء بذيولهن: الذيل طرف الثوب الزائد من جهة الأرض، لمّا نهى النبي ﷺ عن جر الثوب خُيَلاء، سألت أم سلمة عما لا تستغني عنه المرأة من طول ثيابها التي تجر على الأرض.

يرخين شبرا: أي أن النبي ﷺ بعد أن نهى عن طول الثوب عامة، رخص للنساء بأن يطلن ثيابهن تحت الكعب شبرا.

إذن تنكشف أقدامهن: أي إن إطالة ثوب المرأة تحت قدمها شبراً لا تكفي لسترها لأنها أثنا الحركة ورفع الرجل ستنكشف قدمها، وطرف ساقها، فرخص النبي ﷺ للنساء أن يرخين ذراعا، وألا يزدن على ذلك.

---

(١) سنن النسائي ٨/ ٢٠٩ الزينة ـ ذيول النساء، سنن الدارمي ٢/ ٢٧٩ اللباس، ذيول النساء ومسند أحمد ٦/ ٢٩٢، ٢٤٢، ٢١٥، الموطأ ٢/ ٩١٤-٩١٥ اللباس ـ باب ٥ حديث رقم ١٣، ٩، سنن ابن ماجه ص١١٨٥ اللباس ـ باب ذيل المرأة.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٣٤٦ اللباس ـ إسبال الرداء رقم الحديث ٤٠٨٦ سنن النسائي ٨/ ٩٠٨ اللباس ـ اسبال الازار مسند أحمد ٦/ ٧٥، ١٢٢، ٢٩٦.

(٣) جامع الترمذي ٤/ ٢٢٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث ١/ ٩٣.

فيرخين ذراعا ولا يزدن عليه: أي رخص لهن ﷺ بناء على حاجتهن لستر أقدامهن وسيقانهن أن يطلن أثوابهن ويرخين ذيولهن ذراعا وألا يزدن على الذراع، والذراع يساوي بمقاييس اليوم: ٤٩٥ر٨٧٥[(١)].

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- من أمراض القلوب.

هذا الحديث الشريف ينبه إلى مرض خطير من أمراض القلوب، إذا أصابها يعميها ويصدها عن الحق وهو الكِبْر والخُيَلاء والعُجْب، أن يعجب المرء بنفسه فلا يرى سيئاتها، وأن يتكبر على الناس فيراهم دونه ويستعلي عليهم، وقد فسر النبي ﷺ معنى الكِبْر عندما سأله أحد الصحابه: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة، قال: «إن الله يحب الجمال؛ ولكن الكِبْر من بَطَرَ الحق وغَمَصَ الناس»[(٢)] فالكبر معنى نفسي، وموقف سلوكي مع الناس لا مجرد ثوب، فإذا وُجد هذا المعنى في الثوب، كان اتخاذ هذا الثوب مظهرا من مظاهر هذا المرض.

وأمراض القلوب أخطر من أمراض الأجسام، لأنها تصيب الشخصية والنفسية فتؤثر على الإيمان وعلى كل سلوك للإنسان، ولذلك اهتم بها أسلافنا كثيرا وكتبوا فيها كتبا عديدة، قبل أن تعرف ذلك مناهج التربية الحديثة التي تعنى بسلوك الإنسان في بعض جوانبه ولا تزال تنظر للإنسان نظرات جزئية بعيدة عن وحدة كينونة الإنسان[(٣)].

والإسلام يُبصِّر النفس الانسانية بعيوبها الظاهرة والخفية ليطهِّرها من هذه العيوب والأمراض لتكون نفسا سوية راضية مرضية مستقيمة على أمر الله، قائمة بالحق.

---

(١) فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٨٨.

(٢) جامع الترمذي٤/ ٣٦١ من حديث ابن مسعود البر والصلة ـ ما جاء في الكبر رقم الحديث ١٩٩٩ وغمص الناس أي استصغرهم.

(٣) من المصنفات في ذلك على سبيل المثال: إحياء علوم الدين للغزالي، منهاج القاصدين لابن الجوزي، مدارج السالكين لابن القيم وغيرها كثير.

٢-عقوبة المتكبر المختال:

وفي الحديث أن عقوبة المتكبر المختال، الذي يجر ثيابه كِبْراً واختيالا، أن الله لا ينظر إليه يوم القيامة، وإذا لم ينظر الله إليه فإنه يكون معذبا محروما، طريداً ذليلاً في النار، فوق أنه لا يكون ممن يستحقون رحمة الله وكرمه فلا ينظر اليه، فيعاقبه بمثل ما اكتسب من الإثم، فعقوبة الكِبْر والخُيَلاء الهوان والذل والحرمان، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

٣-ستر المرأة المسلمة:

وسؤال أم سلمة كيف تصنع النساء بذيولهن يدل على ما كانت عليه المرأة المسلمة من حرص على سترها وعفتها، حيث تناقش النبي ﷺ في أمر يحرِّمه يتعارض مع حرصها على الستر، ويصعب تطبيقه على لباس المرأة.

وهو يمثل أيضا حرصها على تنفيذ أمر الله وأمر رسوله وأن تستقيم على شرع الله، فكيف تصنع إذن؟.

وفيه كذلك حرص المرأة المسلمة على الفقه في الدين والفهم لنصوصه لأنها تريد أن تلتزم بها، بل هي تعيش دينها، تنفذ أحكامه وتدعو اليه، وتكون الصورة العملية لأوامره ونواهيه وآدابه.

والنبي ﷺ يتكلم في خطابه في ثياب الرجال وفي جرها خُيَلاء، فلما سألت أم سلمة عن حكم ما يُجر من ثياب النساء، وهل هن داخلات في عموم قوله السابق للرجال؟ يبين النبي ﷺ رخصة للنساء في أن يرخين أطراف ثيابهن ويُطِلْنَها شبرا تحت الكعبين، رخصة خاصة للنساء لطبيعتهن.

لكن أم سلمة رضي الله عنها انطلاقا من حرصها على ستر النساء، والفقه في الدين، تقول للنبي ﷺ «إذن تنكشف أقدامهن» أي إن إرخاء شبر بعد الكعبين لا يكفي في ستر أقدام النساء، فلا بد من إطالته اكثر من ذلك حتى يستر قدمي المرأة في كل أحوالها من المشي أو الجلوس أو القيام.

ولما كان كل جسد المرأة عورة واجب الستر، إلا الوجه والكفين، فلا بد من إطالة الثياب لضمان ستر الأقدام وهي عورة يدل على ذلك سؤال أم سلمة هذا وإقرار النبي ﷺ على ذلك بل واستجابته لما طلبته من طول الثياب لستر القدمين.

وقول النبي ﷺ: «فيرخين ذراعا ولا يزدن على ذلك» يدل على الترخيص للنساء في إطالة ثيابهن ذراعا تحت الكعبين لستر أقدامهن وسيقانهن، وأنه لا يجوز لهن أن يرخين أكثر من ذلك، وأنّ ما زاد على هذه الرخصة، يدخل في معنى الحديث العام في النهي عن جر الثوب.

قال الإمام الترمذي: «وفي هذا الحديث رخصة للنساء في جر الإزار، لأن يكون أستر لهن»[١]. والإزار ما يلبس من الثياب ليستر أسفل الجسم من السرة وما تحتها.

والحديث يمثل معلما من معالم اللباس الشرعي الذي قررة الإسلام، فلباس الرجل لا يجوز أن يصل إلى الكعبين مع التحذير من الخيلاء فيه، والحُرْمة بهذين الوصفين، أما مع عدم الكبر فلا، مع أن النصوص حددت لباس الرجل بما فوق الكعبين، ففي حديث أبي بكر رضي الله عنه السابق دليل واضح على أن المنهي عنه هو جر الثوب مع الخيلاء[٢].

ولباس المرأة، ماستر كل جسدها، وكان طويلا يجر تحت الكعبين مقداراً لا يزيد على الذراع.

---

(١) جامع الترمذي ٤/ ٢٢٤ حديث رقم ١٧٣١ .

(٢) انظر ص١٨٠ حاشية رقم ٣.

٣- فهم خاطىء للحديث:

ومن العجب مع وضوح هذا النص أن بعض النساء يلبسن معاطف قصيرة يبلغ طولها منتصف الساق أو فوقه قليلا نحو الركبة، مع أنهن متدينات، يلبسنه عن تدين وعلى أنه اللباس الشرعي، ويحاول بعضهن عبثا، حمل هذا الحديث على ما عليه لباسهن، ويفهمن من قوله «يرخين شبرا، فيرخين ذراعا» أن يقصَّر عن الكعبين شبرا أو ذراعا الى أعلى، وهذا فهم عجيب، لا يدل عليه نص الحديث ولا سياقه، وما قال بذلك أحد من السلف أو الخلف ونسأل الله ألا يكون هوى تستريح اليه بعض النفوس.

وكيف يكون الإرخاء الى أعلى؟! ثم كيف يكون هذا الإرخاء مانعا لكشف الأقدام؟! ثم إن أم سلمة رضي الله عنها تسأل عن ذيول النساء، فهل هذا التقصير يسمى ذيلا؟!.

ثم ماذا تقول من ترى هذا الرأي في حديث النساء لما سألن النبي ﷺ عن النجاسة تصيب ذيولهن فقال: «يطهره ما بعده»[1] أي أن الثوب من طوله قد يلامس النجاسات على الأرض، فيبين النبي ﷺ أن ما يصيب الثوب بعد ذلك من الأرض يطهره، فلو كان قصيرا الى منتصف الساق، فكيف يصيب النجاسة على الأرض، وكيف يتطهر بها من النجاسة...

إن هذا اللباس ـ المعطف القصير إلى منتصف الساق ـ ظهر في فترة خاصة، يوم أن ساد التبرج الفاضح في أواخر الستينات، فكان ردا على هذا التبرج، لكنه كان تقليدا لما كان شائعاً في بلاد الشام من ملابس للنساء المتقدمات في السن، وإذا كان هذا اللباس،

(١) سنن أبي داود كتاب الطهارة، باب في الأذى يصيب الذيل مراجعة وضبط وتحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد حديث رقم: ٣٨٣، جـ١/ ١٠٤

وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الطهارة باب ما جاء في الوضوء من الوطأ. حديث رقم: ١٤٣، جـ/ ٢٦٦. وأخرجه أحمد في مسنده حـ٦/ ٢٩٠.

وأخرجه البهيقي في السنة الكبرى في كتاب الصلاة باب ما وطيء من الأنجاس يابساً جـ٢/ ٤٠٦.

خطوة على طريق العودة الى اللباس الشرعي، وكان في حين مقبولا نسبيا، فلا يجوز أن يستمر التمسك به، ولا يجوز أن نصوغ عاداتنا وتقاليدنا لتصبح ديننا، كيف وأمر الدين واضح جلي في هذه المسألة كما يبين هذا الحديث وغيره.

وانا أتوجه الى الأخوات اللواتي ما زلن على هذا اللباس بدعوتهن الى ما هو الحق، والحق أحق أن يتبع، وإلا فإن كان عندهن علم غير هذا فليأتين به، أو يكنّ لا قدر الله متبعات للهوى، بعد أن تبين لهن الحق.

لكن قد يقال إن الحياة اليوم بما فيها من زحام واستخدام للآلات والسيارات وزيادة الحاجة الى الحركة، يصعب معها أن يجر ثوب المرأة، إذ قد يدوسه المارة فيعرقلون مسيرتها، أو قد تتعثر فيه إذ ركبت سيارة مرتفعة أو قد يشبك في بعض الأشياء في الطريق، فماذا تفعل المرأة؟.

نقول أولاً: إن النبي ﷺ رخص للنساء وذلك بناء على الظرف والحاجة، ولم يطلب ذلك منهن ابتداء.

وثانياً: هذا هو الأصل وهو الأفضل والأستر والموافق للسنة ولما عرف في المجتمع الإسلامي.

وثالثاً: إذا استطاعت المرأة أن توجد البديل الذي يستر قدميها وساقيها، وتستغني عن جر الثوب ذراعا فلا بأس في ذلك، كأن تلبس بنطالا أو سروالاً داخلياً طويلاً يغطي كل الساق، وتلبس جوربا سميكا وحذاء ساترا لقدميها، فهذا يغني عن جر ثوبها على أن هذا مخالف للأصل وهو رخصة استثناء لا يجوز القياس عليه، بأن تلبس المرأة البِنطال بدل الجلباب مثلا، أو تقصِّر الجلباب الى منتصف الساق أو الركبة وتلبس تحته بنطالاً أو جوارب سمكية، هذا لا يجوز لما ذكرنا ولما فيه من التشبه بالرجال، ولأنه لا يسترها إذا جلست أو تحركت، ولأنه يجسم جسدها واللباس الشرعي هو ما يستر الجسد كله، ولا يصف ما تحته ولا يشفّ فيُظهر ما تحته والله أعلم.

٤-اللباس في الإسلام:

والنظرة الإسلامية للباس تقوم على أمرين: الستر، والجمال، وهذا مستفاد من قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فمواراة السوءات بسترها وعدم إظهارها، والريش بمعنى حسن المظهر أو ما يباهي الناس به أي من الرياش. ولذلك قال النبي ﷺ لمن سأله بأنه يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: «إن الله يحب الجمال»[١].

وبهذا يلتقي في النظرة الإسلامية للباس المعيار الأخلاقي مع المعيار الجمالي ولا ينفصلان. فلا يُتصور الجمال بلا أخلاق، ولا يكون العري والتبرج والفحش جمالا، خلافا للنظرة الغربية للباس، تلك النظرة المادية المجردة من الخُلُق، التي تدور على الجمال. فكان من إفرازاتها التبرج والإثارة وإبداء السوءات وَعَدَّ ذلك كله جمالا، ينبغي أن يحققه اللباس.

وفي غياب البُعد الأخلاقي، تبذَّل المجتمع الغربي، وصارت المرأة سلعة للإغراء والإثارة، وصار اللباس المثير وأدوات الإثارة تجارة رائجة، فانحرف المجتمع، وإنهار بناء الأسرة، وساد الشذوذ والإنحراف، وضاع الأبناء، وكانت المرأة الضحية، وشاعت فيهم الأوبئة الفتاكة كالايدز وغيره.

أما المجتمع المسلم القائم على هذا الأساس الأخلاقي مع الجمالي فإنه يقوم على أساس الفضيلة والطهر والعفة، وينصرف فيه الرجل والمرأة إلى وظيفتهما في الحياة من غير إثارة ولا تبذّل، فيُصان بناء المجتمع، وتتمتن أركان الأسرة، وتكون المرأة بطهرها وسترها وعفتها درة الحياة وزينتها وخير ما يستفيده المؤمن بعد تقوى الله عز وجل.

---

(١) جامع الترمذي، جـ٤/ ٣١٦-٣١٧، كتاب البر والصلة - ما جاء في الكبر ح رقم ١٩٩٩.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- النهي عن إطاله الثوب.

٢- تحريم جر الثوب خيلاء وأن من يفعل ذلك محروم لا ينظر الله اليه يوم القيامة.

٣- العبرة بالمعاني والمقاصد التي تقوم من وراء الأعمال الظاهرة، فالخيلاء إذا كانت وراء جر الثوب حرّمته والحقت بصاحبها الهوان، لا مجرد طول الثوب.

٤- نظر الله الى عباده يوم القيامة، نظر رحمة وتكريم ولطف، والحرمان من ذلك هو الخسران العظيم يوم القيامة.

٥- ما ينبغي أن تكون عليه المرأة من الستر والعفة.

٦- ما ينبغي أن تكون عليه المرأة في الحرص على التفقه في دينها، لتستقيم على منهج الله على بصيرة وعلم.

٧- صفة لباس الرجل وصفة لباس المرأة شرعاً.

٨- الترخيص للنساء بإسبال ازارهن شبرا، دون الرجال.

٩- القدم عورة يجب سترها بالنسبة للمرأة هذا أمام الأجانب، أما في الصلاة ففي ذلك قولان.

الحديث الثالث:

المغيّرات خلق الله

عن ابن مسعود أنه قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلِّجات للحسن المغيراتِ خلق الله. فقالت له امرأة في ذلك، فقال: ومالي لا أَلْعَنُ من لَعَنَهُ رسول الله، وهو في كتاب الله، قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [**الحشر: ٧**].

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والامام أحمد من حديث ابن مسعود، من طريق منصور عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، وقد أخرجوه بوجهين هذا أحدهما وهو لفظ البخاري والوجه الثاني وهو أيضاً عند البخاري ومسلم وابن ماجه زادوا فيه تفصيلاً في قصة المرأة التي راجعته[١].

وللحديث شواهد اقتصرت على ذكر الواشمة والمستوشمة إما مع الواصلة أو ضمن حديث في إمور أخرى من حديث ابن عمر وعائشة وأسماء وابن عباس. قال الترمذي «وفي الباب عن عائشة ومعقل بن يسار وأسماء بنت أبي بكر وابن عباس»[٢].

---

(١) صحيح البخاري جـ٨/ ٦٣٠ -التفسير- ٥٩ رقم ٤٨٨٦، جـ١٠/ ٣٧٢ ٠اللباس ٨٢ رقم ٥٩٣١ وصحيح مسلم ٣/١٦٧٨ -اللباس- ٣١ رقم ٢١٢٥، وجامع الترمذي ٥/ ٩٧ -الادب- ٣٣ رقم ٢٧٨٢ وسنن النسائي ٨/ ١٨٨ -الزينة- ٧١.

وسنن ابن ماجه ١/ ٦٤٠ -نكاح- باب ٥٢ رقم ١٩٨٩ وسنن الدارمي ٢/ ٢٧٩ الاستئذان -١٩ ومسند الامام أحمد ١/ ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٤٨، ٤٥٤، ٤٦٥.

(٢) جامع الترمذي ٥/ ١٠٥، ٤/ ٢٣٦ رقم ١٧٥٩ وصحيح البخاري ١٠/ ٣٧٤ -اللباس ٨٣ رقم ٥٩٣٣، ٥٩٤٠، ٥٩٤٢، ٥٩٤٧، وصحيح مسلم ٣/ ١٦٨٠ اللباس- رقم ٢١٢٨ وما بعدها. وغيرها.

وسنن أبي داود ٤/ ٣٩٥ وما بعدها. ومسند أحمد ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩، ٥/ ٢٥، ٦/ ١١١، ١١٦. =

ثانياً: مفردات الحديث:

اللعن: الطرد من رحمة الله، وهو بهذا المعنى لا يجوز لأحد إلا بأمر الله، لأنه في معنى التصرف برحمة الله ولا يملك ذلك إلا هو سبحانه.

الواشمات: من يعملن الوشم للناس، وهو غرز الجلد بالأبرة ثم يُحشى بالكحل ونحوه، فيصير أخضراً أو أزرقاً [(١)].

المستوشمات: اللواتي يُعمل لهن الوشم ويَطلُبنه.

المُتَنَمِّصات: من يفعلن النمص في أنفسهن، والنمص: نتف شعر الوجه[(٢)].

المُتَفَلِّجات: اللاتي يفعلن الفَلَج باسنانهن. والفَلَج: فُرجة ما بين الثنايا والرباعيات.

والفَرَق: فرجة بين الثنيتين[(٣)].

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

في هذا الحديث يقول ابن مسعود ما سمعه من النبي ﷺ من لعن أي الدعاء بالطرد من رحمة الله للواتي يُحْدِثْنَ تغييراً في أجسامهن بالوشم ونتف شعر الوجه أو شعر الحاجبين وببرد الأسنان حتى يفرقن بين الملتصق منها فيغيرن بذلك الهيئة التي خَلَقَهن الله سبحانه عليها. فتراجعه امرأة في هذا الحكم قائلة إنك تحرم ما ليس في كتاب الله، فيبين لها أن ما جاء به رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه من كتاب الله، لأن الله سبحانه أمرنا بأخذ ما جاء به رسوله والإنتهاء عما نهى عنه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

= سنن أبي داود ٤/٣٩٧ -الترجيل- باب ٥ رقم ٤١٦٩.

(١) النهاية في غريب الحديث ٥/١٨٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٥/١١٩.

(٣) المصدر السابق ٣/٤٦٨.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١ - الإلتزام بالسُنَّة:

الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أحد فقهاء الصحابة المعروفين أرسله عمر بن الخطاب لأهل الكوفة لما طلبوا منه أن يرسل إليهم من يفقههم في دينهم وقال فيه «لقد آثرتكم به على نفسي». وكان له دروس علمية منتظمة في الكوفة وهو أساس مدرسة فقهية عظيمة، ينتهي اليها المذهب الحنفي الشهير.

وابن مسعود هنا يقول بلعن الواشمات. . .ولما سئل في ذلك وروجع يبين أن النبي ﷺ لعنهن، أي ينقل للناس حديثاً نبوياً في ذلك.

٢- النهي عن لعن الشخص المعين:

واللعن هو الحكم بطرد الملعون من رحمة الله، وهو بهذا المعنى تصرف عن الله ولذلك شدد الإسلام في تحريم لعن أحد بعينه إلا إذا صدر هذا اللعن عن الله أو عن رسوله، والسبب في هذا التشديد أن اللعن حكم نهائي على إنسان ولا يعلم ذلك الناس فلعله يتوب ويستغفر ويصلح حاله، ولأنه تطاول على أمر الله وحكمه؛ أما لعن أصحاب وصف مذموم دون تسمية أحد بعينه فيجوز ذلك وهو وارد في كتاب الله وسنة رسوله كقولنا مثلاً. لعنة الله على الكافرين، أو لعنة الله على اليهود أو لعنة الله على الظالمين وما شابه ذلك. فقد ورد مثل ذلك في هذا الحديث وفي قوله تعالى ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

ومن آداب الإسلام العامة أن المسلم ليس لعاناً ولا شتاماً يصون لسانه عن ذلك ويترفع عنه والرسول ﷺ يقول «لم أبعث شتاماً ولا لعاناً»[١].

(١) صحيح مسلم - بشرح النووي - ١٦/ ١٥٠ كتاب البر ٨٧ باب لعن النبي ﷺ.

والنبي ﷺ في هذا الحديث يلعن من يفعل هذه الأعمال الثلاثة الوشم، والنمص والفَلَج.

٣- الواشمة والمستوشمة:

أما الوشم وهو أن يوخز الجلد بإبرة أو نحوها حتى يخرج الدم ويوضع مكان ذلك الكحل أو النيل أو الحبر أو ما شابه ذلك فيمشي في الثقوب ويتخثر عليه الدم فيتلون مكانه بالسواد أو الزرقة أو الاخضرار أو غير ذلك من الألوان، وهؤلاء يرسمون أو يكتبون بذلك على أجسادهم أو في الوجه أو الشفاه طلبا للتزين والحُسن. وهذا ضار بالجسم قد ترافقه التهابات لتسرب الجراثيم عبر الثقوب؛ وفيه تعذيب للإنسان، فوق ما فيه من مخالفة لأمر الله.

٤- النامصة والمتنمصة:

أما النمص فقد اختلف العلماء في معناه فالجمهور على أنه نتف شعر الوجه.

ومنهم من يرى أن يختص بازالة شعر الحاجبين لترقيقهما ومن العلماء من يرى حرمة ذلك كله أيا كان سواء برضى الزوج أو بدونه، وسواء أكان هذا الشعر يُقبِّح منظر المرأة أولا يُقبِّح، ولا يستثنون من ذلك إلا ما فيه ضرر أو ألم.

ومنهم من يفرق بين ما إذا كان برضى الزوج وطلبة وما إذا كان بدون رضاه وطلبه.

أو يفرقون بين ما فيه قبح للمرأة فيجوز أن يزال وما لا قبح فيه فلا يجوز ازالته[١].

قال الإمام النووي:

«وهذا الفعل -النمص- حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب، فلا تحرم إزلتها، بل يستحب عندنا. وقال ابن جرير: لا يجوز حلق لحيتها ولا عنفقتها[٢].

(١) انظر تفصيل هذه الأقوال فيما لخصه ابن حجر في الفتح ١٠/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) العنفقة: الشعيرات بين الشفة السفلى والذقن. القاموس المحيط ٣/ ٢٦٩.

ولا شواربها ولا تغيير شيء من خلقتها بزيادة ولا نقص. ومذهبنا ما قدمناه من استحباب إزالة اللحية والشارب والعنفقة وأن النهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه»(١).

٥- المتفلِّجات للحسن:

وأما الفَلَج: فهو بَرْدُ ما بين الأسنان وخاصة بين الثنايا والرباعيات، فتبدو المرأة أجمل، وكانت النساء في الجاهلية يفعلنه وخاصة الكبيرات حيث تلتصق الاسنان وتقبح وتبدو المرأة كبيرة على حقيقتها فتبرد ذلك لتبدو أصغر وأجمل.

والعلة التي ذكرها النبي ﷺ لحرمة هذا الفعل هي قوله «للحسن المغيرات لخلق الله» وهذه العلة ليست خاصة بالمتفلِّجات وإنما هي عامة في الأعمال الثلاثة الوشم والنمص والفَلَج، فهي تغيير لخلق الله.

قال الخطابي: «إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش ولما فيه من تغيير الخِلْقة»(٢).

وإن ما نشاهده اليوم ونسمع به من عمليات التجميل التي تغير شكل العينين أو الأنف أو الفم أو الوجه أو القامة، بل تغير الأُنوثة والذكورة في صرعات من الغرب لا تقف عند حد تجعلنا ندرك القيمة العظيمة لهذا التوجيه الإسلامي الكريم، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وفي قوله عليه السلام «للحسن» تقييد لعموم هذا الحكم وهذه العلة إذ أن هذا الحكم وهذه العلة فيمن يغيرن خلق الله بقصد الحسن أما إذا كان السبب آخر كالطب والعلاج وإزالة الألم فلا يندرج تحت هذا الحكم.

(١) النووي بشرح مسلم ١٤/١٠٦.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٣٨٠.

قال الطبري: لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا للزوج ولا لغيره. . . ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل أو اصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك. . والرجل في هذا الأخير كالمرأة»(١).

ويلاحظ في الحديث أن إسم اللعن أُطلق على من يفعل هذا الفعل كما أُطلق على من يعينه على ذلك وفي هذا دليل على أن الفعل الحرام الخبيث تحرم المساعدة عليه، وإذا كان الدال على الشر كفاعله فكيف بمن يمارس فعل الشر للناس فإنه يستوي مع من يُفْعَلُ الشرُ له.

٦- مسؤولية المجتمع:

وهذا أصل إسلامي عظيم في المسؤولية الجماعية عن الخير والقوامة على الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا المساعدة على المنكر وفعله للناس. وبهذا يتعاون المجتمع على الخير والمعروف، ويؤخذ على أيدي أصحاب الشر والمنكر ولا يتمكنوا من اشاعة الباطل وفتنة الناس وصدق الله العظيم﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ويصور الرسول ﷺ مسؤولية المجتمع المتكافلة على حراسة الخير والفضيلة ومنع الشر والرذيلة فيقول: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم، استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على ايديهم نجو ونجوا جميعا»(٢).

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٣٧٧.

(٢) صحيح البخاري -مع الفتح- جـ٥/ ١٣٢ كتاب الشّركة باب ٦ ح رقم ٢٤٩٣.

وتسأل زينب بنت جحش رسول الله ﷺ «يا رسول الله أنهلك، وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»[١].

٧- المرأة تطلب العلم وتراجع العلماء:

والمرأة التي راجعت ابن مسعود هي أم يعقوب امرأة من بني أسد، قال ابن حجر «لم أقف لها على ترجمة»[٢]، وقد ورد التصريح باسمها وبتفصيل مراجعتها لابن مسعود في احدى الروايات عند البخاري ومسلم وأنها قالت لابن مسعود: «ما حديث بلغني عنكَ أنكَ لعنتَ الواشماتِ والمستوشماتِ والمُتَنمصاتِ والمُتَفلّجات للحُسن المغيراتِ خَلْق الله. فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعنَ رسول الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله. فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوْحَي المصحف فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه. قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن. قال: اذهبي فانظري. قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً. فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً. فقال: أما لو كان ذلك، لم نجامعها»[٣].

وفي هذا الحوار نقف أمام نموذج للمرأة التي تهتم بالعلم وتسأل عنه، وقد وصفت هذه المرأة في الرواية بأنها «كانت تقرأ القرآن»، فهذه المرأة القارئة تراجع ابن مسعود وتناقشه ما الدليل على ما تقول، وكيف تلعن إذا لم يكن عندك دليل، ويبدو أنها كانت لعنايتها بتلاوة القرآن تستغرب هذا الحكم لكونه لم يرد في كتاب الله فأجابها ابن مسعود بجواب يعيدها الىأصل عظيم في الإسلام وهو أن مشروعية السنة إنما هي بأمر القرآن فكأن كل ما جاء به النبي ﷺ من القرآن بهذا المعنى. وبالتالي تتساقط مقولة الإكتفاء بالقرآن دون السنة واشتراط أن يكون الدليل من القرآن دون السنة.

---

(١) صحيح البخاري -مع الفتح- جـ١٣/ ١٠٦ كتاب الفتن ٢٨ ح رقم ٧١٣٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١٠/ ٣٧٣.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٦٧٨ رقم ٢١٢٥.

وهذه المقولة الساذجة التي عالجها ابن مسعود في هذا الحوار مع هذه المرأة وردت على غير لسان هذه المرأة قديما. كما أن من الناس من يرددها اليوم، مع أنها ساذجة بينة السذاجة لا تستند إلى دليل. فقد جاء رجل إلى الصحابي الجليل عمران بن الحصين يسأله عن حكم مسألة ويشترط عليه أن يجيبه بدليل من القرآن فقال له: «**إنك امرؤ أحمق: أتجدُ في كتاب الله الظهر اربعاً لا تجهر فيها بالقراءة، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسراً. إن كتاب الله أبهم هذا، وإن السنة تفسر ذلك**»[١].

وفي قول ابن مسعود لهذه المرأة «ومالي لا ألعن من لعن رسولُ الله» بيان لما كانوا عليه من اتّباع للسنة، والوقوف على حدودها وعدم تجاوزها، ودليل على مكانة السنة في نفوسهم.

٨- مكانة السُنَّة من القرآن:

وفي قول ابن مسعود في جوابها: «وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ، وهو في كتاب الله» عطَفَ كونه في كتاب الله على كونه قد صدر عن رسول الله ﷺ، أي أنه ابتداءً يقول بلعن هؤلاء لأن النبي ﷺ قد لعنهن وبعد ذلك فإن هذا الأمر في كتاب الله بالمعنى الذي بين ابن مسعود. وصدور الأمر عن النبي ﷺ كافٍ في اثباته ولو لم يرد في كتاب الله، لأن كتاب الله قد أحال الى رسول الله ﷺ. كما في الآية التي استدل بها.

وهذه الآية تدل على أن السنة النبوية مصدر من مصادر الشريعة والدين قائم بذاته ومستقل، وكاف لإثبات الأحكام، ولا يشترط في قبولها أن يكون ما جاءت به وارداً في كتاب الله، لأن الله أمرنا بالأخذ عن رسوله بلا قيد. وهذه الآية وأمثالها في القرآن أصل في مشروعية السنة وحجيتها.

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ص ٤٩٥-٤٩٦.

وفكرة عرض السنة على القرآن حتى نحتج بها ونعتمدها أو اشتراط موافقتها للقرآن، أو اشتراط أن لا تكون زائدة على القرآن، كل ذلك لا يستند الى أي دليل، بل الدليل على خلافه. والآية التي استشهد بها ابن مسعود خير دليل على ذلك.

أما إذا تعارضت السنة مع القرآن، فالمسالة هنا مختلفة، وهي ليست من قبيل شروط الإحتجاج بالسنة وإنما هذا من باب تعارض الأدلة، وهذا باب آخر، فقد تتعارض الآيات بعضها مع بعض -في فهمنا- أو تتعارض الأحاديث كذلك، وهذه مسألة أخرى تحل بوجوه دفع التعارض أو الجمع بين النصوص أو الترجيح لسبب مرجع أو غير ذلك..(١).

وقول ابن مسعود: «أما لو كان ذلك لم نجامعها» معناه عند جمهور العلماء.

لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها(٢).

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- تحريم الوشم والتفلج والنمص على الرجال والنساء وعلى ما يفعله ومن يفعل به بدليل اللعن.

٢- جواز لعن من لعن اللهُ ورسولُه، ولا يجوز فيما عدى ذلك.

٣- في الالتزام بخَلْق الله رضاء بقدره وراحة من القلق ومحافظه على أجسام الناس وأموالهم من اللهاث وراء صرعات التغيير، لأن هذا الباب إذا فُتح قد لا يقف عند حد.

٤- الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله، والمعين على أمر له كفل منه إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: فتح الباري حـ١٣/١١١-١٢ الأحكام -الباب١.
وتفسير قوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧] من كتب التفسير.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم ١٠٧/١٤.

٥- مشروعية الحوار في الدين ومراجعة العالم بقصد الفهم والتعلم.

٦- المرأة المسلمة كان لها حضور في الحياة العلمية، تتعلم وتسأل وتحاور.

٧- الإلتزام بالسنة، والقول بما يثبت فيها والوقوف عنده، بلا مداهنة ولا مواربة في أحكام دين الله. وهذا أحد أسس المنهجية الإسلامية.

٨- حجية السنة، وأنها مصدر مستقل من مصادر هذا الدين، وأن القرآن هو الذي أعطاها حجيتها ومصدريتها، والذين يتذرعون بالإلتزام بالقرآن لرد السنة يخالفون القرآن لأنه يأمرهم بأخذ ما في السنة وترك ما نهت عنه.

الحديث الرابع:

تحريم التشبه بين الرجال والنساء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهاتِ من النساء بالرجال**».

وعند الطبراني: **أن امرأة مرت على رسول الله مقلدة قوساً فقال**: «**لعن اللهُ المتشبهاتِ من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء**».

وفي رواية البخاري «**لعن رسولُ الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحديث البخاري وأبو داود وابن ماجه والامام أحمد من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس[١].

وفي الباب مثله من حديث أبي هريرة عند أبي داود وابن ماجه ومن حديث عائشة عند الترمذي ومن حديث أم سلمة عند ابن ماجه[٢].

ثانياً: مفردات الحديث:

التشبه بالجنس الآخر: تقليده ومحاكاته في مظاهره وحركاته وملابسه ولا يدخل في ذلك ما كان خِلْقيا وإنما اللعن على ما كان عن إرادة وقصد.

---

(١) صحيح البخاري ١٠/ ٣٣٢ -اللباس- باب ٦١ -رقم ٥٨٨٥ وأطرافه في ٥٨٨٦، ٦٨٣٤ سنن أبي داود ٤/ ٣٥٤ -اللباس- باب ٣١ رقم ٤٠٩٧ وجامع الترمذي ٥/ ١٠٥ -اللباس- باب ٣٤ رقم ٢٧٨٤، ٢٧٨٥، وسنن ابن ماجه ١/ ٦١٤ -النكاح- باب ٢٢ -رقم ١٩٠٤ ومسند أحمد ١/ ٣٣٩.

(٢) المصادر السابقة نفس الصفحات والكتب والأبواب.

المخنثين من الرجال: من يشبه خَلْقه النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك، ولا يذم فيما هو خِلقَةٌ، ويذم فيما هو عن قصد.

المترجلات من النساء: المتشبهات بالرجال فيما فيه إرادة واختيار لا فيما هو خِلْقي.

ثالثاً: المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث يلعن رسولُ الله ﷺ أي يدعو بالطرد من رحمة الله أو يخبر عن الله بطرد أناس من الجنسين يصادمون فطرة الله التي فطرهم عليها، فيتشبه كل جنس بالجنس الآخر، مخالفا لأمر الله وإرادته، وداعيا الى الرذيلة والإثارة والميوعة. فيستحق بذلك هذه اللعنة، لما يحدثه في المجتمع من فساد، ولما يمارسه في غير ما خلق له.

رابعاً: في ظلال الحديث:

في هذا الحديث يَرِدُ اللعنُ للرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللائي يتشبهن بالرجال. وسبق أن بينا في الحديث السابق مفهوم اللعن في الإسلام والتشدد فيه وأنه بمعنى الطرد من رحمة الله فراجعه إن شئت.

١- مغايرة الفطرة:

وإنما كان هذا الترهيب والتشديد في أمر تشبه أحد الجنسين بالجنس الآخر، لما فيه من مغايرة للفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها. فقد شاءت إرادة الله أن يخلق جنسين بطبيعتين مختلفتين، والمتشبه منهما بالأخر رافض لمشيئة الله وقدره، خارج على أمر الله وشرعه.

٢- جنسان بطبيعتين:

وما كان الله ليخلق الجنسين بفطرتين إلا لما يترتب على ذلك من خير حيث يستطيع الإنسان أن يعيش في هذه الحياة، ويؤدي رسالته فيها، قائماً في حياته بالحق، ماضيا في تحقيق هدفه الذي خلق من أجله.

والحياة الإنسانية تحتاج الى الرجال وإلى النساء ولا تتحقق بأحدهما دون الآخر، فليعمل إذن كل منهما لما هو مُيسّر له فيفيد بطاقاته ويفيد منه الآخرون.

ولذلك فإن الله سبحانه قد خلق للرجل طبيعة متميزة بقدرات واستعدادات للقيام بمهام معينة في الحياة، وخلق المرأة بطبيعة متميزة بقدرات واستعدادات للقيام بمهام معينة، وحتى تتحقق هذه المهام لا بد من الحفاظ على هذه الطبيعة بميزاتها وخصائصها.

ومن هنا فإن الرجل الذي يتشبه بالنساء يتكسر في مشيته ويتثنى في حركاته ويرقق صوته ويتأنث في لباسه، هذا يريد من جانب أن يخرج على إرادة الله وأمره، وهو غير راض بما قسم الله له واختاره، ويريد من جانب آخر أن يتخلى عن طبيعته ووظيفته في الحياة. لذلك استحق هذا اللعن وهذا الطرد من رحمة الله.

٣- الرجال والنساء:

والدعوات التي نسمعها في هذه الأيام من نساء يطالبن بالمساواة مع الرجال، ويحاولن أن يخرجن من جلودهن ليكنّ كالرجال إنما يناطحن الصخر ويركبن الصعب ويحاولن المحال. إن للمرأة طبيعتها المتميزة فسيولوجياً ووظيفيا لا تملك أن تخرج عليها، وكذلك الرجال. إن أقل طالب في الطب يعلم أن هناك فوارق بيولوجية بين الجنسين في حجم الدماغ وعدد خلاياه وفي الكروموسومات والهرمونات الجنسية، وأن لهذه الفوارق البيولوجية وامثالها أثارا في الشخصية والسلوك والقدرات والاهتمامات، فماذا تملك الاصوات الناعقة إزاء ذلك كله.

إن المساواة في الإنسانية والحقوق والواجبات والتكاليف والقانون مع ملاحظة القدرات والإستعدادات أمر مقرر، يقرره الدين والعقل السديد؛ أما المساواة الحَرْفية فتصطدم بجدار الفطرة وتتكسر، فوق أن الواقع الإنساني في شتى البيئات والأزمنة لم يعرفه ولم يمارسه، إلا عبر نقيق البعض على صفحات الصحف بين الفترة والأخرى.

ولا بد من أن ننبه هنا بأن التفاضل بين الجنسين إنما يكون بالتقوى وبقيام كل منهما بممارسة وظيفته واستغلال قدراته، فلا يكون الرجل أفضل لمجرد الذكورة ولا تكون المرأة أدنى لمجرد الأنوثة، ففرعون بُشِّر في القرآن بأنه من أهل النار وهو رجل بل مَلِك، وزوجه آسيا بُشِّرت بالجنة وهي امرأة..

والإسلام بعد ذلك يريد للمجتمع أن يرتقي في نشاطه وعلاقاته فلا يقبل أن يشيع فيه التخنث والتبذل والتكسر بما في ذلك من إثارة وانحراف، إذ يحرص الإسلام على إقامة العلاقات على الصون والعفة والطهر، فلا مجال فيه لإثارة وابتذال، ولكل إنسان فيه مهامه ووظيفته التي ينبغي أن ينصرف إليها، لا أن ينشغل في الانسلاخ عن فطرته وطبيعته ليقلد طبيعة أخرى.

ولهذا المعنى نفى النبي ﷺ وأصحابه من بعده كلَّ رجلٍ بدى عليه شيءٌ من التخنث والتكسر والتشبه بالنساء، حفاظاً علىأخلاق المجتمع، وتطهيراً له من جرثومة الفساد، وقد عقد الإمام البخاري بابا في صحيحه بعنوان «باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت»(١).

٤- مفاسد التشبه بين الجنسين:

وإذا شاع هذا التشبه بين الجنسين فإنه يُوْجِدُ مجالاً للاختلاط بين الجنسين لصعوبة التمييز بينهما إلا عن قرب، وهذا هو الواقع في المجتمعات الغربية اليوم، وما تسلل منه إلى مجتمعاتنا، فإنك ترى الفتاة عن بعد لا تظنها إلا رجلاً حتى إذا اقتربت عرفتها أو شككت في حقيقتها، ومثل هذا أيضا في الشباب الذين يصعب تمييزهم عن النساء، وفي الغرب اليوم صرعات وصرعات في هذا المجال، لباس الجنسين واحد، المرأة تستخدم الاصباغ للزينة والرجل يستخدمها كذلك ويتزين بعض الشباب بالأساور والأقراط

(١) صحيح البخاري -مع الفتح- ١٠/ ٣٣٣.

والخواتم وأشكال الشعر، تماماً كالنساء بحيث يصعب التمييز، وقد بلغت هذه الصرعات شأواً بعيداً في بعض الأقطار. فقد قام في إيطاليا حزب يدعى الحزب الراديكالي الايطالي، الذي يدعو إلى التغيير الجذري، الذي يبدأ من الإنسان حيث صار الشباب يتعاطون الهرمونات الانثوية التي تساعد على تغيير الصفات الذكرية وإبراز الصفات الانثوية، ويلبسون ملابس النساء وحقائب النساء وزينة النساء ويغيرون أسماءهم الى إسماء نسائية، ويمارسون الفاحشة الشاذة... كل ذلك واقبح منه يمارس بقانون... إنها الحياة الشاذة والأعراف الشاذة والقانون الشاذ.

وإذا ساد شيء من ذلك في مجتمع فإن الإختلاط وعدم التمييز بين الجنسين يكونان مناخا مناسبا للرذيلة والفساد. التي جاء الإسلام ليطهر المجتمع منها، ويرتقي بالحياة عن مستنقعها.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- احترام الفطرة التي فطر اللهُ الخلقَ عليها وعدمُ مغايرتها.

٢- الخروج على الفطرة يستحق صاحبه اللعن والطرد من رحمة الله.

٣- لكل جنس طبيعته التي يحقق بها وظيفته في الحياة.

٤- تحريم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٥- في تشبه كل من الجنسين بالآخر من المفاسد والأخطار على المجتمع واخلاقه.

٦- تميز الجنسين والفصل بينهما من مطالب الشريعة.

٧- كمال كل من الجنسين بتحقيق فطرته وطبيعته والخروج على الفطرة نقص وعيب.

سابعاً: من فُضْلَيات النساء

١- فضل أم المؤمنين خديجة.

٢- فضل نساء قريش.

الحديث الأول

فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتت فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

وعن عائشة قالت: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي ما غِرْتُ على خديجة، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها الولد، قالت: وتزوجتني بعدها بثلاث سنين».

أولاً: تخريج الحديث:

حديث أبي هريرة أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد(١).

وحديث عائشة أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد والطبراني، وبعض الروايات أزيد من بعض، ولعلها عدة حوادث ذكر فيها النبي ﷺ مثل هذا المعنى بمناسبات مختلفة.(٢)

---

(١) انظر صحيح البخاري جـ٧/١٠٨-١٠٩ كتاب مناقب الانصار، باب ٢٠ وصحيح مسلم جـ٤/ ١٨٨٧ كتاب فضائل الصحابة ح رقم (٧١/ ٢٤٣٢).

ومسند الامام أحمد ٢/ ٢٣١، وأورده المزي في تحفة الاشراف فيما رواه النسائي في السنن الكبرى، التحفة ١٠/ ٤٤٤ رقم ١٤٩٠٢.

(٢) انظر صحيح البخاري: جـ ١٠/ ٤٣٥ النكاح/١٠٨، جـ٧، ص٣٢٦ والأدب ٢٣ ح رقم ٦٠٠٤ حـ١٠/ ٤٣٥. وبعضها أزيد بن بعض.

وصحيح مسلم جـ٤/ ١١٨٩ فضائل الصحابة باب ١٢ جـ٤/ ١٨٨٩ رقم ٧٤/ ٢٤٣٥.

ثانيا: مفردات الحديث:

إناء فيه إدام أو طعام أو شراب:

الإدام كل ما يؤتدم به، أي ما يجعل مع الخبز من الطعام المطبوخ أو الرطب وهو بكسر الهمزة ومنه الحديث: «نعم الإدام الخل»[(١)] وأصله الموافقة والملائمة.

والتردد في الرواية بين الإدام والطعام والشراب، من تصرف أحد الرواة، شك في أيها سمع من شيخه فأوردها على سبيل الإحتياط في الرواية.

بيت في الجنة من قصب:

قال ابن الأثير: «القصب في هذا الحديث: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، والقصب من الجوهر: ما استطال منه في تجويف»[(٢)].

لا صخب فيه ولا نصب:

الصَّخَب: الضجة واختلاط الكلام للخصومة.[(٣)]

والنَّصَب: التعب.[(٤)]

ما غرت على أحد: أكثر ما كنت أغار من أي أحد من النساء.

كأنه لم يمكن في الدنيا امرأة الاخديجة: أي إنكَ تثني على خديجة وكأن ليس هناك نساء غيرها، تقول عائشة ذلك من غَيْرَتها منها لكثرة ذكره إياها.

---

(١) انظر مشارق الأنوار ١/ ٢٤، والقاموس المحيط ٤/ ٧٣ ومعجم مقاييس اللغة ١/ ٧١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٦٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٤.

(٤) المصدر السابق ٥/ ٦٧.

ثم يبعثها في صدائق خديجة: أي يوزع أجزاء الشاة: في صاحبات خديجة، وصدائق جمع تكسير لصديقة.

إنها كانت وكانت: أي كانت تفعل كذا من الخير او تتصف بكذا من الخير والفضل، وهذا الاسلوب يستخدم للدلالة على الكثرة.

وتزوجتني بعدها بثلاث سنوات: أي من وفائك وحبك لخديجة ما تزوجت بعدها الا بعد ثلاث سنوات، وعائشة هي أول أزواج النبي ﷺ بعد خديجة رضي الله عنهما.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١-فضل خديجة:

نحن في هذا الحديث أمام امرأة عظيمة من سيدات نساء العالمين، أمام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، زوج النبي الأولى، التي كانت قد تزوجت باثنين قبل النبي ﷺ، وكان يخطبها سادة قريش فترفض، ثم لما رأت خُلُقَ النبي ﷺ وأمانته عرضت نفسها عليه، فتزوجها مع أنها متزوجة قبله وتكبره بخمسه عشر عاماً، هذه الأيّم الكبيرة، تكون أحب أزواج النبي اليه، وتغار منها السيدة عائشة رضي الله عنهما، مع أنها لم ترها، لكثرة ما كان يذكرها النبي ﷺ. وقد قال النبي ﷺ في فضلها: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»(١).

خديجة أم المؤمنين الأولى تبلغ من الفضل درجة تستحق معها أن يأتي جبريل ليبلغ النبي ﷺ أن الله في عليائه يقرؤها السلام، ويبشرها بالجنة، بل يبشرها بقصر منيف من اللؤلؤ في الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري جـ٧/ ١٣٣- بالفتح-، المناقب باب ٢٠ ومسلم -بشرح النووي- جـ١٥/ ١٩٦.

الله الله ما أعظمها من درجة أن تَبْلُغَ امرأةٌ من الفضل والرفعة ما يجعلها محل عناية الله، أي تعظيم هذا، يمكن أن يرتقي اليه بشر. إن الانسان في ظل منهج الله، يمكن أن يرتقي صُعُداً، ليتجاوز عالم المادة والحس والدنيا، ليكون موضوع أهل الملأ الأعلى، يُذْكر هناك.. ويُبلَّغ بالسلام ممن، من الله العظيم المتعالي ويُبَشَّرُ بالجنة.

ومثل هذا قول الله في امرأة اخرى، خولة بن حكيم: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقريب من هذا قول الله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

ويتساءل المرء بم بلغت خديجة هذه المكانة؟ وما أدركت إلا أيام الإسلام الأولى. التي تخلو من الأحكام والتشريعات والمبادىء الإسلامية، إنها لم تدرك من الإسلام إلا القليل، وتبلغ هذه المرتبة العظمى، فبم كان ذلك؟.

إن الانسان في ميزان الإسلام تقدر مكانته ويعرف فضله وتقواه بما يعلم الله من نفسه، قبل أن يباشر الأعمال بجوارحه، ومن هنا كانت الأعمال بالنيات كما في الحديث الصحيح، ومن هنا كان قول الله تعالى ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، تقوى القلوب التي إن تمكنت في قلب الانسان اثمرت عمل الجوارح واستقامة الحال، والصحابي الذي آمن واستقر الإيمان في قلبه وقاتل وقتل قبل أن يعمل أي عمل صالح، كان بهذا العمل القلبي من أهل الجنة.

على أن هذا المستوى من الإيمان والتقوى يُنتجُ العمل ويُثْمِرُ الاستقامة إنما يعلمه الله سبحانه الذي يعلم ما تكن الصدور، وهو الذي يثيب على ذلك، أما ما يدعيه كثير من الناس، من أن قلوبهم مؤمنة، وأن الإيمان محله القلب، يذكرون ذلك وهم يبررون عدم

قيامهم بأعمال الإسلام، فهذا محض ادعاء، ولو صح لأثمر عملا، والله عليم بذات الصدور.

٢- **مبدأ الثواب**: وفي الحديث مبدأ الثواب، الثواب من الله سبحانه، والبشارة منه سبحانه لأمَةٍ من عباده، ومبدأ الثواب والعقاب، يجعل للنفس الانسانية دوافع وكوابح، والنفس الإنسانية بفطراتها بحاجة الى هذا والى ذاك، ورجال التربية لاحظوا هذا المبدأ وأقاموا العديد من نظرياتهم على أساسه، والمجتمعات الانسانية عرفت هذا بالتجربة، فوضعت الجوائز والحوافز، كما وضعت العقوبات، كل هذا ليستقيم سلوك الفرد والمجتمع، والإسلام سابق الى ذلك كله.

٣-مكانة الجنة:

وفي الحديث أن أعظم ثواب يجازي الله به عباده الصالحين الجنة، فهو بسياقه يدل على قيمة الجنة ومكانتها في التصور الاسلامي، وكيف أن الإسلام خرّج أجيالاً في قمة الاستقامة والتضحية والرقي، ما عرفت البشرية لها امثالاً، كل هذا وهو يشدهم الى الجنة ونعيمها، ولا يمنيهم بشيء من متاع الدنيا، ندرك هذا عندما نقارن بين الأجيال التي تخرجت في مدرسة الاسلام عبر التاريخ، وبين الأجيال التي عاشت ولا هم لها إلا الدنيا، وكل بواعثها شيء من لعاعتها.

إن الفتاة التي تُوجّه باسم الشرف، وسمعة العائلة، ورفعة النسب وما شابه ذلك من أسباب الدنيا، نجدها في معركة الحياة، وصراع الشهوات، تضعف ولا تملك أسبابُ الدنيا كلها أن تواجه في نفسها نداء الجسد، وضعف الشهوة...

بينما نجد الفتاة الموصولة القلب بالله، المعلقة الأمال بالجنة ونعيمها، التي يردد لسانها الثناء على الله، ودوام ذكره، والخوف من عذابه، نجدها تجد كل هذه المعاني تساندها أمام المثيرات ولحظات الضعف، فيكون إيمانها بالله وحبها لجنته وخوفها من عذابه، حارساً لها، يحفظها من الانزلاق، ولقد توجه يوسف إلى ربه، يوم أن تعرض

للمغريات، فنجا بدعائه لله ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

وعندما كان العلم لله، وابتغاء جنته ومرضاته، عرف التاريخ الإنساني نماذج من العلماء كانوا من الكثرة بحيث يؤلف في علماء كل بلد مؤلف ضخم أو متوسط، وكانوا على مستوى من العلم يجمع الواحدُ منهم معظمَ علوم عصره، ويرتحل معظمُهم إلى معظم أرجاء العالم الإسلامي، يطوف طلبا للعلم.

أما لما أصبح العلم للدنيا، وصار المتعلم يطلب العلم لينال وظيفة أو مركزا، رأينا انحسار العلم وقلة العلماء، وإذا وُجد بعض العلماء فهم محدودون في جوانب ضيقة، وصار الواحد منهم يحمل أعلى الشهادات، ولا يعلم إلا اليسير اليسير في موضوع اختصاصه الدقيق.

هذان نموذجان نلحظ من خلالهما الفرق الكبير والبون الشاسع بين الباعث الإيماني والدافع الروحي المتصل بالله وما أعد من نعيم في جناته، وبين الباعث الأرضي الدنيوي المحدود، وأثر كل منهما على النفس وعلى المجتمع، ومثلهما سائر جوانب الحياة.

لله در سلطان الإيمان، ما أبلغ مداه، وما أعمق أثره، وكم خسرت البشرية، يوم أن ضعف فيها هذا السلطان... ولعل سر شقائها في ذلك.

٤- خدمة الزوجة لزوجها:

وفي الحديث تبدو خديجة ـ رضي الله عنها ـ حين نزول هذه البشارة لها، تبدو وهي في خدمة زوجها ومن كان في ضيافته، فقد أتت ومعها أناء فيه طعام أو شراب، ويرد ذكر إتيانها بالطعام أو الشراب في خبر الوحي، مما يدل على قيمة هذا العمل وأهميته.

والإسلام وهو يضع تشريعاته، يراعي الفطرة الإنسانية، والوظيفة الإجتماعية، وتكاليف الحياة، ليحقق بذلك كله الأمن النفسي، والاستقرار الإجتماعي، وتسيير عجلة الحياة.

من هنا ندرك نظرة الإسلام لطبيعة كل من الرجل والمرأة، ولوظيفة كل منهما، ومسؤولياته، ففي طبيعة الرجل اختلاف عن طبيعة المرأة، يبدو ذلك ظاهراً في اختلاف بعض الأعضاء، كما يبدو في أسرار دقيقة في خِلْقَة كل منهما يعرف ذلك الاطباء، ومن له اطلاع على بعض الدارسات الطبية في هذا الميدان.

فلا شك بعد اختلاف الطبيعة الخِلْقية أن تختلف الوظيفة الاجتماعية تبعا لاختلاف الطاقات والاستعدادات، فالمرأة التي تَحْمل وتُرضع مثلاً، ينبغي أن تختلف وظيفها في المجتمع نوعا ما بما يناسب هذه الطبيعة.

هما طبيعتان باختصار، ينشأ عنهما وظيفتان في الحياة، وينشأ عن ذلك كله اختلاف ما في المسؤولية والواجبات.

والذين يكابرون في هذا الأمر يتعسفون ويضطربون، ويكلفون المرأة فوق طاقتها، وهي ضحية تعسفهم التي كثيراً ما تقوم بعملها الخاص بها كأُم تحمل وترضع وتحضن وكزوجة تقوم بحقوق الزوجية، كما تقوم بعمل الرجل في الوظائف المختلفة، تتحمل كل هذا استجابة لتعسف المتعسفين، وممارسة لشعار مساواتها بالرجل.. فهل تتساوى في هذه الحالة بالرجل أم أنها تُحَمَّل أعمالها وأعمال الرجل في وقت واحد...

فالإسلام عندما جعل واجب المرأة الأهم في بيتها للأمومة والزوجية، ومع أنه سمح لها بالعمل خارج البيت شريطة أن لا يمس ذلك بوظيفتها الأهم كأُم وزوجة، وأن لا يمس بطهرها وشرفها، وأن لا يكون فوق طاقتها، الإسلام عندما اختار لها البيت وضعها فيما هي أصلح له وأقدر عليه وما هو أنسب لها.

ولما جعل الإسلام وظيفة الرجل خارج البيت، ورتَّب عليه بناء على ذلك وظائف ومسؤليات من إنشاء الأسرة والقيام بالنفقة، والمسؤولية الكلية عن الأُسرة، إنما وضعه أيضا فيما يصلح له وما يناسب طبيعته وما هو أنسب له وأصلح.

وليس في وظيفة المرأة ولا في وظيفة الرجل ما يُذم به أحد ولا ما يُمدح به أحد من حيث طبيعة الإختصاص، إنما المدح والذم فيما يتعلق بقيام كل منهما بمسؤولياته أو تقصيره في ذلك، وفي مدى الإتقان في أداء هذه المسؤوليات أو عدم الإتقان.

أما نوع الوظيفة وجنس العمل فليس محل تفاخر أو تعييب، وكل منهما يملك في ميدان وظيفته وعمله مالا يملكه الآخر، فلا يُمدح هذا ولا يُذم ذاك.

فلئن كان الرجل أقدر من المرأة على تحمل المشاق ومواجهة الصعوبات وضبط الأعصاب، فإن المرأة تملك من الرحمة والرقة والعاطفة واللطف مالا يملك الرجل، وكل يوضع فيما خلق له.

ومن هنا كانت خديجة في بيتها تخدم زوجها وتقوم بشؤون أسرتها وأبنائها، وتتنزل البشارة بالجنة عليها وهي تقوم بواجبها هذا، بل يرد عملها هذا في خبر الوحي، اهتماما به وتقديرا له.

والمرأة عندما تقوم بواجبها في بيتها نحو أولادها وزوجها، فإنّما تقوم بعمل عظيم جليل له قيمته في ميزان الاسلام، فإنها بذلك تُعِدُ الأجيال فهل ثمة وظيفة أهم واجل من هذه الوظيفة، أليست الدولة وأجهزة المجتمع كلها تهدف إلى تحقيق ذلك، فإن قامت المرأة بدورها في ذلك ألا تكون في عمل ووظيفة اجتماعية جليلة، لا تعدلها أية وظيفة أخرى.

أما واجبها تجاه زوجها بطاعتها له والقيام بواجب بيتها، تهيئة جو من الود والراحة في البيت، فإنها عندما تقوم بذلك إنما توفر للزوج الراحة والطمأنينة والاستقرار، مما يمكنه من مواجهة صعوبات الحياة وتحدياتها.

وأم المؤمنين خديجة كانت مضرب المثل في ذلك، فكانت عونا للنبي ﷺ في دعوته والقيام بأداء رسالته، ولعل أهم ما تمتاز به خديجة رضي الله عنها بعد سبقها للإسلام،

ما قدمت للنبي ﷺ من مالها ونفسها تخفف عنه أعباء الحياة، وتسري عنه آلام مواجهة المشركين، وما نسي لها النبي ﷺ ذلك كله، فكان يكثر من ذكر هذه الخصال ـ الايمان ـ والمال ـ والنفس ـ «أمنت بي يوم أن كفر بي الناس، وواستني بمالها ونفسها. . . ».

ولعل من أعظم صور المواساة موقفها رضي الله عنها بعد نزول الوحي على النبي ﷺ لأول مرة، فقد استقبلته واثقة مطمئنة له، ذاكرة مناقبه، وأنّه بهذه المناقب يستحق رحمة الله وفضله وأنه لن يضيعه.

وكلما ذكرت هذا الموقف لخديجة رأيت فيها مثال المرأة العاقلة الفاضلة، القادرة على الثبات أمام أشد الصعاب. . .أقول هذا وأنا أرى النبي ﷺ على ما هو عليه من الصفات والشمائل. . .يرتعد ويضطرب لهول اللقاء الأول مع الوحي. . .وخديجة تخفف عنه وتثبته وتطمئنه، وأتساءل كم سيكون الموقف صعبا على النبي ﷺ، لو لم يجد خديجة بهذا الموقف، أو لو واجهته خديجة منفعلة مضطربة تخشّى عليه من المس تصرخ في ضعف وتبرم؟!.

لعل خديجة نالت هذه البشارة على مثل هذا الموقف العظيم، الذي لا يُطيقه إلا من هو عظيم، كل عظيم من الرجال أو النساء.

ولئن كان لموقف خديجة هذا وأمثاله هذا الفضل وهذا الأجر والقبول من الله، ففي هذا دليل على أَن المرأة وهي تخفف من أَعباء زوجها وتُسرّي عنه وتعينه على نوائب الدهر، لاسيما إذا كان زوجها داعية الى الله، يؤدي وظيفة الرسل، إنما تنال من الأجر بقدر ما تعين زوجها وتخفف عنه، وتصبر على حياتها معه وهو يقوم بهذه الأعباء.

وإذا استشعرت الزوجة والفتاة المسلمة هذا المعنى، معنى مساعدة الزوج الداعية والأب الداعية والأخ الداعية، والابن الداعية فإنها ستجد في حياتها معهم وفي خدمتها لهم لذة ورغبة، تستشعر فيهما روح العبادة، وتستعذب انتظار الثواب من عند الله وهي تشارك في ميدانها في اداء واجب دعوة الله.

٥- من وفاء النبي ﷺ:

والحديث مثال للوفاء، فالنبي ﷺ بعد وفاه خديجة رضي الله عنها لا يتزوج الا بعد ثلاث سنين، ولم يكن هذا الا مع خديجة، وبعد وفاتها بسنين وبعد أن تزوج عدداً من النساء غيرها، لا يفتأ يذكرها، ويذكر مآثرها وفضلها، ويُصر عليه الصلاة والسلام على ذكرها على الدوام، مع ما يلاقيه من غيرة زوجاته من ذلك، وفاء لخديجة رضي الله عنها.

والحديث يتضمن أعمالا وأقوالا تمارس في الوفاء، ذكر المآثر، وكثرة ذكر ذلك، وصلة صديقات خديجة واكرامهن وفاءً لخديجة. ولقد كانت المرأة تأتي إلى بيت النبي ﷺ، فيقوم لها ويجلسها مكانه ويقول إنها كانت تأتينا أيام خديجة.

وفي الحديث بيان لحالة الغيرة عند النساء، وكيف أن عائشة أحب أزواج النبي إليه تغار من خديجة مع أنها لم ترها، وقد تكلمنا عن الغيرة في حديث سابق فانظره[١].

والحديث يشير إلى مكانة الأولاد بنين وبنات في نفوس الرجال والنساء، فالرسول ﷺ يعد من ماثر خديجة أنه رزق منها الولد، وعائشة رضي الله عنها تختصر مآثر خديجة وتنص على الولد، مما يشير الى مكانة الإنجاب والذرية في النفس الانسانية، وأنها نعمة يغفل عن قيمتها كثير من الناس ولا يدركها إلا من حرم منها، نسأل الله ألا يحرمنا من فضله العظيم.

رابعاً: من أحكام الحديث.

١- الحديث يبين فضل خديجة رضي الله عنها، وفيه بعض مناقبها، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، فقد أخرج البخاري ومسلم حديث «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة»[٢] أي خير نساء الدنيا كل في زمانها، أو خير نساء امتها واخرج البزار والطبراني

(١) انظر ص٢٣٠ من هذا الكتاب.

(٢) تقدم تخريجه ص١٧٧.

من حديث عمار بن ياسر مرفوعا: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين» قال ابن حجر واسناده حسن[١]، وأخرجه النسائي والحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسيا» قال ابن حجر: إسناد صحيح.[٢] وفي هذا دلالة على أنها أفضل من عائشة رضي الله عنهما.

٢-الحديث درس في الوفاء قال الامام النووي «في هذه الاحاديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتاً، وإكرام معارف الصاحب.

(١) المستدرك ٢/ ٥٩٤. والسنن الكبرى، مناقب ٧١/ ٣ انظر تحفة الأشراف ٥/ ٢٧٢٤.

(٢) فتح الباري ٧/ ١٣٥، الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٣٦ح رقم ٢٦٥٥ وفتح الباري ٧/ ١٣٥، ومجمع الزوائد ٩/ ٢٢٢.

الحديث الثاني:

فضل نساء قريش

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«نساء قريش خير نساء ركبن الابل، أحناه على طفل في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده».

وكان أبو هريرة يقول «لم تركب مريم ابنة عمران بعيرا قط».

اولاً: تخريج الحديث:

أخرجه البخاري ومسلم وأحمد من حديث أبي هريرة من عدة طرق عنه.[١]

ثانياً: ألفاظ الحديث:

قريش: اكبر واعظم قبائل العرب، كانت في مكة، وهي صاحبة السيادة الدينية والسياسية على العرب قبل الإسلام. وقد جاء الإسلام وجعل لها أيضا مكانة، فالأئمة من قريش، ونساؤها خير النساء.

أحناه على طفل: هكذا وردت في كل طرق الحديث، أحناه بالتذكير، والقياس أن يقال: أحناهن. وهذا سائغ مستعمل عند العرب له شواهد كثيرة، والمراد أنهن أكثر حنواً على الولد، والحانية على ولدها: هي التي تقوم عليهم في حال يتمهم فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية.[٢]

---

(١) صحيح البخاري ٩/ ١٢٥ ـ مع الفتح ـ النكاح ـ ١٢ رقم ٥٠٨٢، ٩/ ٥١١ النفقات - ١٠ رقم ٥٣٦٧، ٦/ ٤٧٢ ـ الانبياء ٤٦ رقم ٣٤٣٤ وصحيح مسلم ٤/ ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠ كتاب فضائل الصحابة باب ٤٩ حديث رقم ٢٥٢٧ ومسند أحمد جـ٢ ص٢٦٩، ص٢٧٥، ص٣١٩، ص٤٤٩، ص٤٦٩، جـ٤/ ص١٠١.

(٢) فتح الباري ٩/ ١٢٥.

أرعاه على زوج: وردت هكذا بالتذكير، والمعنى أنهن أكثر رعاية للزوج وحقوقه من غيرهن.

في ذات يده: أي يرعين أزواجهن في أموالهم وما يملكون.

لم تركب مريم بعيرا قط: هذا قول لأبي هريرة، ليس من الحديث، أراد به أن يستثني مريم من هذا التفضيل، لما ورد في شأنها من فضل يجعلها أعلى مرتبة من معظم نساء قريش، وقول ابي هريرة هذا ورد في بعض الروايات دون بعض، وله حكم المرفوع لأنه ليس مما يقال بالإجتهاد.

ثالثا: في ظلال الحديث:

ورد في احدى روايات الحديث ذكر مناسبة ورود هذا الحديث وهي أن النبي ﷺ خطب ابنة عمه أبي طالب أم هاني، وكانت قد ترمّلت وكان لها أولاد، فقالت للنبي ﷺ معتذرة: «يا رسول الله: إني قد كبرت ولي عيال[(١)] فذكر النبي ﷺ فيها هذا الحديث.

١ - فضل نساء قريش:

والحديث يبين فضل نساء قريش، وقد عقد الإمام البخاري الإمام مسلم في صحيحيهما بابا في فضل نساء قريش أوردا فيه هذا الحديث وغيره. وهذا يؤيد ما ورد في فضل قريش بشكل عام فلأجل فضلها كانت الإمامة في قريش كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من طرق عن النبي ﷺ[(٢)].

وقد ذكر العلماء وجوها لسبب هذا التفضيل لقريش منها: أن قريش قبيلة النبي ﷺ ونزل القرآن بلغتها، وهي صاحبة السيادة والمكانة عند العرب عبر تاريخهم، وهي ذات خبرة وكفاءة في أدارة الأمور، وعندهم البيت الحرام، وهم أكبر قبائل العرب وأكثرهم عصبة ولا ينقاد العرب لسواهم.

---

(١) صحيح مسلم ١٩٥٩/٤ فضائل الصحابة باب ٤٩ حديث ٢٥٢٧، فتح الباري ٥١٢/٩.

(٢) صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ ١٣/ص٩٨ الأحكام ـ باب الأئمة من قريش حديث رقم ٧١٣٩، ٧١٤٠ صحيح مسلم، كتاب الامارة باب ١ ح ١٨١٨-١٨٢٠ حـ٣/ ١٤٥١-١٤٥٢.

والأحاديث النبوية التي بينت فضل قريش رجالاً ونساءً، وأن الإمامة في رجال القريش ما جاءت مطلقة، وإنما مقيدة بإقامتهم للدين، واستقامتهم، وعدلهم، كما جاءت أحاديث كثيرة تتهددهم بالعذاب، وتنذرهم بالخروج عليهم، وتأمر بالخروج عليهم إن لم يستقيموا ويعدلوا.(١)

ثم إن العلماء مجمعون على اشتراط القرشية في الإمامة العظمى، والقرشية عندهم شرط ترجيحي وشرط كمال لا شرط صحة في الإمامة والله أعلم.

وحديثنا هذا يفضل نساء قريش على كل نساء ركبن الإبل، وفهم بعض العلماء من هذا أن المراد بذلك العرب، فهم أهل الإبل ولم يعرف ذلك عند غيرهم من الأمم، وإذا كان المراد تفضيل نساء قريش على سائر نساء العرب، فإن العرب أفضل الشعوب وخير أمة اخرجت للناس إذا ما أمنوا بالله وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهم الذين اختصهم الله برسالته الخاتمة وجعل معجزته الخالده ـ القرآن ـ بلغتهم ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

لكن هذا التفضيل لنساء قريش ورد في بعض الروايات على إطلاقه لسائر نساء قريش، وورد في روايات أخرى مقيدا بصالح نساء قريش، ولا شك ان هذا هو المراد لأن المطلق يحمل على المقيد، ولأن الخيرية والتفضيل لقريش وللعرب مشروطة بالإيمان والتقوى.

وسبب تفضيل صالحات نساء قريش على سائر نساء العرب وعلى سائر النساء لامور بعضها عام كالذي أشرنا إليه في تفضيل قريش، وبعضها خاص وهو ما تضمن هذا الحديث من صفات لنساء قريش وهي: حنوها على ولدها، ورعايتها لزوجها.

(١) اورد مجموعة من الأحاديث على ذلك ابن حجر في فتح الباري فانظرها ١٣/ ٩٨.

٢-الحنو على الولد:

والحديث نصٌ في أن القرشية أكثر حنوا على ولدها من غيرها، ويبدو أن هذا كان معروفا بين العرب، وعلى أي حال فالحديث يدل على ذلك، وإذا عرفت القرشية بهذه الصفة فإن هذه الصفة تحتاج الى مجموعة فضائل حتى تتحقق: أولها العقل الذي ينظر الى الامور حسب اهميتها بعيدا عن العاطفة الجامحة أو الشهوة العارضة، ولا شك أن المرأة التي تقدم مصلحة رعاية أيتامها وحضانتهم على ذاتها وحظ نفسها، لا شك أنها امرأة راجحة العقل.

وثانيها: التضحية والايثار وكرم الطبع، وأي إيثار وتضحية أكبر من أن تضحي المرأة بحقها الطبيعي في الزواج، وحظ نفسها الفطري فيه، من أجل أيتامها تقوم على حضانتهم وثالثها الصبر والاحتمال، اللذان لابد منهما لمن تنقطع على رعاية أبنائها وتحمل أعباء تربيتهم ونفقتهم. ورابعها: عاطفة الامومة الحانية، التي تفوق عندها سائر العواطف.

ولقد جاء الاسلام يُكْبِر هذا المعنى ويعظم شأنه وهو يَعِد الامهات اللواتي لا يتزوجن من أجل رعاية أولادهن اعظم الأجر فقد قال ﷺ: «أنا وامراة سفعاء في الجنة كهاتين، امرأة آمت من زوجها فجست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا»[١].

وهذا كله إنما كان لأن الإسلام يجعل للإنسان الفرد كرامة ومكانة وحقوقا ما عرفت إلا في الاسلام، فبناء على نظرته هذه للإنسان، كان هذا الحكم وهذا التوجيه.

وحاجة الطفل لرعاية الأم وحنانها وتربيتها في مقدمة كل حاجاته، وأصحاب التصورات المادية، الذين طالما حصروا حاجات الطفل في الجانب المادي إنما كانوا يصورون عن منهج تبريري، يبرر ما عليه مجتمعهم من إشغال المرأة حتى تنفق على نفسها وحتى تستمر العجلة الصناعية في الإنتاج، باعتبار الإنتاج المادي غاية الغايات،

(١) مسند أحمد ٦/٢٩.

أصحاب هذه التصورات يتراجعون اليوم، وهم يرون بأم أعينهم ماذا فعلت المحاضن في تربية الأطفال، فقد ظهرت أجيال من إنتاج المحاضن الجماعية، ناقمة على المجتمع، لا تشعر برابطة تربطها بأحد، متفسخة أنانية، تمزقها الأمراض النفسية، ويستهلكها الإدمان على الكحول والمخدرات وتتهددها الأمراض من كل جانب، وما الايدز الا أحد النذر الخطرة.

لقد تنكبوا الطريق، وخرجوا على الفطرة، وخرجوا على منهج الله وسنته في الحياة. . ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

إن الإنسان أهم كائن حي وأخطر الكائنات، وإذا ما استقام إنسان فقد تسعد البشرية بآثار استقامته، وقد يقوّم الحياة الانسانية، كأمثال الانبياء والصحابة وعظماء التاريخ، اما إذا انحرف هذا الإنسان فإن لديه من القدرات إذا ما وظفها في الإضرار بالآخرين بشرا وغير بشر، فقد يشقي الكثيرين، وقد تشقى به الحياة، وإذا تأملنا في سير الذين أذاقوا البشرية الويلات، فإن معظمهم ممن عاشوا طفولة مشردة بائسة، بعيدة عن حضن الأم وحنان الأم، ودفيء مشاعر الأمومة.

من هنا كان الإنسان من بين سائر المخلوقات يمر في مرحلة طفولة طويلة، يبقى فيها معتمدا على أمه وأبيه، لتتاح له فرصة التربية الكافية، لما يمكن أن يترتب على تربيته من خير أو شر، فمع أن الإنسان أقدر المخلوقات وأرقاها إلا أن طفولته أطول من طفولة سائر الكائنات الحية.

وهذه الطفولة الطويلة الإجبارية ـ حيث لا يستطيع الإنسان طوالها أن يعتمد على نفسه ـ أحد مظاهر رعاية الله ورحمته ولطفه بالإنسان وبالإنسانية.

والإسلام من أجل هذا الإهتمام بالإنسان خصص المرأة لهذه المهمة الجليلة وهيأها لها فطريا بما تملك من طاقات لرعاية الأولاد المادية والمعنوية، وهيأها وظيفياً واجتماعيا يوم آن جعل هذه وظيفتها الأولى، التي لا يجوز لها أن تزاول معها أي وظيفة إذا تعارضت معها.

وإذا استشعرت الأم أهمية هذه الوظيفة، وأنها ستخرّج للحياة والمجتمع إنسانا أو أناسا، سيكونون دعاة الى الله، أو علماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، أو عمالا يساهمون في بناء الحياة وعمارتها. كل هذا وغيره من غرس تربيتها، ومن صنيع يديها، فإنها لا شك ستغمرها السعادة والإيجابية والرضا، وهي تؤدي هذه الرسالة الجليلة.

إن الأم التي تنظر الى واقع مجتمعنا وتدرك ما فيه من إخفاق وضعف وانحراف، وتحرص وهي تربي أبنائها وبناتها أن يخرجوا للحياة متخلصين من أمراض هذا المجتمع، بل ويحدوها الأمل أن يكون في ابنائها الخلاص، فتربيهم ليكونوا مخلصين أوفياء وقادة منقذين حكماء وبهذا تحقق الحكمة القائلة «إن المرأة التي تهز السرير بيمينها يمكن أن تهز العالم بشمالها».

كما إنها في نفس الوقت إذا استشعرت أنها بإخلالها بواجبات هذه الوظيفة ـ الأمومة ـ قد تُخرّج للمجتمع مجرماً، أو خائنا، أو كسولا فارغاً لا يصلح لشيء، أينما توجهه لا يأت بخير، إذا استشعرت الأم ذلك فلا شك أنها ستعيد نظرتها لحياتها ووظيفتها، وتُقدّر هذا الامر حق قَدْره.

وإذا أضفنا الى ذلك كله بُعداً آخر، وهو غياب المجتمع الإسلامي والدولة الاسلامية والتوجيه الإسلامي في بلاد المسلمين، وإنتشار وسائل التوجيه المستغربة، ومؤسسات التربية التي لا تهتم بتربية الناشئة تربية إسلامية كافية، مع شيوع وسائل الإتصالات الحديثة، وأجهزة الاستقبال المسموعة والمرئية. إذا أضفنا هذا البعد، بدت أهمية قيام المرأة برسالتها، وبدى الحمل عظيماً والخطب جسيماً.

إن المجتمع الإسلامي اليوم أحوج ما يكون إلى هذا الصنف من الأمهات، اللواتي إذا تعلمن فمن أجل هذه الوظيفة، وإذا عملن فمن أجل هذه الوظيفة لا تسبقها أي وظيفة ولا يقدم عليها أي أمر سوى عبادة الله... التي ستساهم أيضا في تحقيق هذه الوظيفة فوق أن هذه الوظيفة من عبادة الله سبحانه.

لقد كثرت المسلمات المتعلمات وحاملات الشهادات المختلفة، وكثرت العاملات في الوظائف المختلفة، لكن في ميدان الأمومة، أين الأمهات البارعات البارزات اللواتي يضربن المثل والأسوة في هذا الحقل الجليل، لا زلنا نسمع الكثير عن كفاءات أمهاتنا الجاهلات في ميدان التربية وتخريج الأجيال، ولمّا نسمع بعد عن نماذج ذوات كفاءة في الأمومة والتربية للأجيال، في مجال المرأة المسلمة المتعلمة المعاصرة، فأين الطلائع السابقات، يضربن لأخواتهن المثل والقدوة؟.

٣- رعاية الزوج في ذات يده:

أما المؤهل الثاني لتفضيل نساء قريش فهو رعايتها لزوجها في ذات يده: إن الحياة الإنسانية تقوم عضوياً ووظيفياً على الجنسين من الرجال والنساء، على الزوجين، ولئن كان الزوج موظفا في الحياة خارج البيت، وهو المسؤول عن تأمين كل حاجات الأسرة، وكانت المرأة موظفة داخله ومسؤولة عن تأمين الراحة والهدوء في جو الأسرة ومسؤولة عن رعاية الأبناء وتربيتهم، فبمقدار نجاح كل واحد منهما في أداء وظيفته، ينجح المجتمع وتطيب الحياة وترقى، وبمقدار إخفاق أي منهما بأداء وظيفته، فانهما يشقيان، وتشقى الأسرة بشقاتهما، ويشقى المجتمع، وتتخلف الحياة وتضطرب وتتوتر.

من هنا كان الثناء على نساء قريس بما عرفن به من حسن عشرة الزوج ورعايته والقيام بحقوقه، وهذا الحديث يثني على هذا المعنى في نساء قريش، ويحث النساء الأخريات على التحلي بهذه الفضيلة، والسياق في فضائل نساء قريش، وقد ورد في نصوص أخرى كثيرة الحديث عن دور الرجل ومسؤوليته في إسعاد الأسرة ورفاهيتها.

ورعاية الزوج هنا عامة بأداء كل حقوقه والحرص على راحته وما يرضيه والبعد عما يغضبه، وإن كانت بعض الروايات للحديث نصت على رعايته في ذات يده ، أي في ماله، والرواية التي معنا هنا هي التي نصَّت على ذلك.

ولا شك ان حق الزوج في الحفاظ على ماله، بعدم الإسراف والتبذير فيه، أو الإهمال وعدم حفظه وصيانته، أو التصرف فيه في غير مصالحة أو بغير إذنه، لا شك أن هذا إخلال برعاية حق الزوج، لكن للزوج حقوقا أخرى، تلزم الزوجة بالحفاظ عليها ورعايتها، وهي إن كانت قد استحقت هذا الفضل برعاية بعض حقوق الزوج، فكيف بمن ترعى سائر حقوقه، لا شك أن في هذا فضلا قل من تحرص عليه أو تُسابق لأجله.

وبهذين المعنين، الحنو على الولد، والرعاية للزوج، يقوم بناء الأسرة وتسعد كل أعضائها، وهل الأسرة الا الزوج والزوجة والأولاد، والزوجة ترعى أولادها وتحنو عليهم بعد أبيهم، وترعى زوجها، وزوج هذه المرأة الحانية لأولادها الراعية لحقوق زوجها، يرعاها، ويبادلها مشاعره بمشاعرها، فتنشا الألفة والود والمحبة، وكذلك يرعاها ابناؤها إذا كبروا ويحبونها صغاراً وكباراً، فيستروح الجميع المودة والحب، ويسود حياة الأسرة الوئام والإنسجام، وبهذه الأسر، يسود الوئام في كل المجتمع.

والحديث يجعل هاتين الصفتين، خصائص عامة في نساء قريش، أو في صالح نساء قريش حسب الرواية الأخرى للحديث، وعلى أي حال في هذا دلالة على أن خصال الخير والفضل إذا ظهرت في قبيلة وتواصت عليها فيما بينها، فإنها تصبح أخلاقا عامة في القبيلة تتوارث كجزء من حسب القبيلة وشرف نسبها، ويحرص كل أفرادها على دوام هذه الخصائص فيهم.

وفي هذا حث للأسر والقبائل على التمسك بمعاني الخير، والتواصي بين أفرادها على ذلك، ومراقبة المواظبة عليها، حتى تصير صفة أصيلة فيها، تعرف بها بين القبائل.

ومن هنا كان الإسلام يحافظ على الانساب، أنساب الأفراد، وأنساب القبائل، ويوجهها الى معاني الخير، ويحذرها من معاني الجاهلية المرذولة، وفي هذا إيجاد إطار عام حول كل قبيلة يجعلها مسؤولة عن المتنسبين اليها، من أن يمسوا بسمعتها ومكانتها، ويجعلها حريصة على خصال الخير لتكون من فضائلها بين القبائل.

وهذا لعمري توظيف هام لرابطة القوم، في البناء والخير، والتسابق في الفضائل، وتخليص للمجتمع من أمراض هذه الرابطة إذا لم يُحْسَن توجهها، لئلا تنقلب نعرات عصبية ودعوات جاهلية، تمزق المجتمع الى كيانات عرقية، وهذا هو الداء الذي دخل منه المستعمر لتمزيق المسلمين، ولا يزال!.

رابعاً: من احكام الحديث:

١- فضل نساء قريش، أو صالح نساء قريش على النساء.

٢-فضيلة انقطاع المرأة على أولادها بعد أبيهم، وتضحيتها بحياتها في سبيل تربية بنائها.

٣- أهمية تربية الأولاد والحنو عليهم، وحاجتهم الماسة الىعظيم الرعاية لإشراف.

٤-أهمية دور الأم في تنشئة الأجيال، ومكانة الأمومة.

٥- واجب المرأة في رعاية زوجها وحفظ أمواله.

٦- دور المرأة العظيم، في الحفاظ على الأسرة، واستقرارها،وبث روح المودة والحب والسلام في أجوائها.

٧- عظيم حق الزوج على المراة.

٨- دور القبيلة في الضبط الإجتماعي والحفاظ على الأمجاد، وتنشئة الأجيال عليها.

٩- ما كان عليه النبي ﷺ من معرفة بأحوال المجتمع واطّلاع على أحوال المرأة فيه.

١٠- الحديث من لفتات النبوة في التربية والإجتماع.

١١- في الحديث حث لسائر النساء المسلمات أن يتحلين بهذه الفضائل التي عرفت بها نساء قريش.

١٢- إهتمام الإسلام بالمرأة، وبيان فضلها، وتحديد مسؤوليتها، في الوقت الذي كانت فيه الأمم قبل الإسلام، تنظر اليها كمتاع من متاع البيت، وكانت أوروبا بتحريف الكنيسة تعدها رجساً من عمل الشيطان، وفي أحسن الحالات شراً لا بد منه.

ثامناً: في العلاقة بين الزوجين

١ - لا يخطب احدكم على خطبة أخيه .

٢ - طاعة المرأة لزوجها .

٣ - المرأة في عون زوجها .

٤ - من بات زوجها غضبان عليها .

٥ - أسرار البيوت .

٦ - التغليظ في الغيبة .

٧ - الحداد على الزوج والقريب .

الحديث الأول:

لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه

عن ابن عمر قال: نهى رسول الله أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له.

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هٰذا الحديث البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك، من حديث عبد الله بن عمر، من طرق عنه، وبين ألفاظهم اختلاف يسير والمعنى واحد، وعند بعضهم من الزيادة ما ليس عند الأخرين، وبعضهم أورد الحديث كاملاً وبعضهم اقتصر على جزء منه، فقد أورد بعضهم الحديث هٰكذا **«لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن»**[(١)].

وورد في هٰذا الباب حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك وغيرهم،[(٢)] وحديث عقبة بن عامر عند مسلم ذكره[(٣)] مع اختلاف وزيادة. قال الترمذي «وفي الباب عن أبي هريرة وسمرة»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري -بالفتح- جـ٩ /١٩٨ كتاب النكاح- باب ٤٥ حديث رقم ٥١٤٢. وصحيح مسلم جـ٨/ ١٩٧ النكاح - باب ٦ حديث رقم ١٤١٢، جـ٣ ص١١٥٤ البيوع -باب ٤ حديث رقم ١٤١٢ وجامع الترمذي ج٣ ٥٨٧ البيوع - باب ٥٧ حديث رقم ١٢٩٢. وسنن النسائي جـ ٦/ ٧٣ النكاح، باب ٢٠ وسنن ابن ماجه جـ١/ ٦٠٠ - النكاح باب ١٠ رقم ١٨٦٨.
وموطأ مالك جـ ٢/ ٥٢٣ النكاح - باب ١ رقم ٢، جـ٢/ ٦٨٣ البيوع - باب ٩٥ رقم ٢.

(٢) الصفحات السابقة الا الترمذي ٣/ ٤٣١ النكاح - باب ٣٨ رقم ١١٣٤ والنسائي ٦/ ٧٠-٧١.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٤١٤ - النكاح- باب ٦ رقم ١٤١٤.

(٤) جامع الترمذي ٣/ ٥٧٨.

ثانياً: مفردات الحديث:

نهى رسول الله...: النهي ورد في العديد من الأخبار، وهو بمعنى التحريم أو بمعنى الكراهة، وورد في النصوص بالمعنيين. وكثيراً ما يكون النهي للتحريم، والقاعدة أن النهي للتحريم مالم ترد قرينة تصرفه عن التحريم إلى الكراهة. والنهي في هٰذا الحديث للتحريم، نص على ذٰلك النووي وغيره، ونقل على ذٰلك الإجماع[1].

الخِطْبة: بكسر الخاء، التقدم بطلب النكاح من ولي المخطوبة.

ثالثاً: المعنى العام للحديث:

حفاظاً على المشاعر والعلاقات بين المسلمين يُحرّم النبي ﷺ على المسلم أن يؤذي أخاه بأن يتقدم بخطبة من خطبها الأول، حتى يَبُتَّ الأمرُ في خِطْبة الأول فتنتهي إلى عقد الزواج أو الرفض، أو أن يرتفع الأول عن طلبه ليأذن لغيره بذٰلك.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١- حرمة الخِطْبة على الخِطْبة:

هٰذا الحديث من أحاديث الأحكام التي تنظم العلاقات بين المسلمين وتحدد الواجبات والحقوق فيما بينهم. وهو في ميدان الزواج، وبالتحديد في أحكام خطبة النساء وما فيها من حقوق للخاطب الأول ومسؤولية من المسلمين ومن أهل المخطوبة تجاه الخاطب.

والإسلام حفاظاً على حق الخاطب وحفاظاً على مشاعر الخاطب والمخطوبة وأهليهما وحفاظاً على العلاقات الكريمة بين أبناء المجتمع المسلم يحرّم على أحد المسلمين أن يتقدم ليخْطِب مَنْ خَطَبها واحدٌ من المسلمين قبله. وقد أجمع العلماء على أن النهي في هٰذا الحديث للتحريم كما نقل الإمام النووي وغيره فيما أوردناه قبل قليل.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٩٦/٩، وتكملة المجموع شرح المهذب - للسبكي ٢٦١/١٦.

وما كان الإسلام ليحرم الخطبة على خطبة السابقين إلا لما في هٰذا الحكم من الخير، ولما يترتب عليه من آثار، ولخطورة الآثار التي تقع لو لم يكن مُحَرَّماً.

إن الخاطب عندما يتقدم لطلب فتاة إنما يكون قد بحث طويلاً عن مَنْ يظنها توافقه في اهتماماته وتوجهاته، وبنى على هٰذا الطلب آمالاً ومشاعر، فلا يجوز أن تمس مشاعره ولا أن يتعرض أحد لحاجته وآماله، حفاظاً على حقه أولا وصيانة لنفسه ومشاعره ثانياً.

ثم إن المخطوبة قد بحثت عن هٰذا الخاطب وأخذت تُـقِيـمُ الآمال وتوجه المشاعر نحو هٰذا الخاطب. فحفاظاً على حقها وصيانة لنفسيتها ومشاعرها لا يجوز أن يتقدم أحد لينافس خطيبها الأول.

ومثل هٰذه الحقوق والآمال والمشاعر توجد عند أهل الخاطب وأهل المخطوبة، بل تبدأ العلاقات الإجتماعية والروابط بينهما، وفي الوقوف في وجه هٰذه المشاعر والآمال تعريض لهٰذه العلاقات والروابط بالإنقطاع، بل قد تنقلب إلى عداوات وضغائن.

والخاطب الثاني إذا ما خطب على خطبة أخيه، فإنه يجعل المخطوبة وأهلها في اضطراب وحيرة، فقد يكون في كل منهما من الصفات والإمكانات والظروف ما يتفوق به على الآخر، وهٰذا يؤدي إلى توزع القلب والمشاعر، وقد يبقى لذٰلك أثره حتى بعد الزواج.

وتكون المشكلة أشد إذا ما رُفِـضَ الخاطبُ الأول بسبب الميل نحو الخاطب الثاني، ثم لم يتم الزواج من الثاني لسبب من الأسباب، فتتمزق مشاعر الفتاة وينتابها الحزن والأرق.

وعندما يتقدم الخاطب الثاني فإنه سيضطر حتى ينال الرضا والقبول ويسبق الخاطب الأول في ذٰلك، سيضطر إلى كثير من الإنفاق والبذل مما يساهم في إيجاد عادات ذميمة في مغالاة المهور والتنافس في نفقات الزواج وكل ملحقاته، حتى تكون آفة إجتماعية تعطل حركة الزواج، وهٰذا مشاهد معاش في مجتمعنا في هٰذه الأيام.

لهٰذا كله شدد الإسلام في أمر هٰذه المسألة فحرّم أن يتقدم أحد ليخطب على خطبة أخيه.

لٰكن هٰذه الحُرْمة ليست مُطْلقة، وإنما مقيدة وموقوتة، بأن يتم عقد الزواج أو يتم عدم الموافقة أو ينسحب الخاطب الأول أو يأذن لغيره، فعندئذ ترتفع الحرمة ويعود الأمر إلى الاباحة الأصلية التي يحق معها لأي أحد أن يتقدم ليخْطِب.

٢- متى تحرم الخِطْبة الثانية:

والخِطْبة التي يحرُم أن يتقدم أحد ليخطب عليها ليست مجرد الطلب، وإنما الخِطْبة التي لاقت قبولاً ورضا، أما قبل أن يظهر القبول أو الجواب أو بعد ما ظهر الجواب بالرفض فلا مانع من التقدم للخِطْبة، قال الإمام النووي «وأجمعوا على أن تحريمها إذا كان قد صُرِّحَ للخاطب بالإجابة، ولم يأذن ولم يترك... واستدلوا لما ذكرناه: أن التحريم إنما هو إذا حصلت الإجابة بحديث فاطمة بنت قيس..»(١).

قال الإمام الترمذي معقباً على الحديث: «قال مالك بن أنس إنما معنى كراهية أن يخْطِب الرجل على خِطْبة أخيه، إذا خَطَب الرجل المرأة فرضِيَتْ به، فليس لأحد أن يخْطِب على خِطْبته.

«وقال الشافعي، معنى هٰذا الحديث: هٰذا عندنا إذا خَطَب الرجل المرأة فرضيت به وركنتْ إليه، فليس لأحد أن يَخْطِب على خِطْبته. فأما قبل أن يُعلم رضاها أو رُكونها إليه، فلا بأس أن يخطبها.

«والحجة في ذٰلك حديث فاطمة بنت قيس، حيث جاءَت النبي ﷺ فذكرت له: أن أبا جَهْم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها. فقال: **«أما أبو جهم، فرجل لا يرفع عصاه عن النساء وأما معاوية فصعلوك لا مال له. ولٰكن انْكِحي أسامة»**(٢).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ١٩٧.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١١٤، كتاب الطلاق، باب ٦، ح رقم ١٤٨٠.

فمعنى هٰذا الحديث عندنا والله أعلم. أن فاطمة لم تخبره برضاها بواحد منهما. ولو أخبرته لم يشر عليها بغير الذي ذَكَرَتْ»[1].

وذكر العلماء أيضاً أن التحريم إنما يكون بالنسبة لخِطْبة صحيحة، إذ لو خَطَب رجلٌ امرأة وهي في العدة فلا يُعتمد بمثل هٰذه الخِطْبة، فلو تقدم عليه آخر بعدما أتمت عِدّتها فلا يحرُم ذٰلك.

ومن طرائف الفقهاء في هٰذا الحديث أن عددا منهم ذهب إلى أن هٰذا التحريم بالنسبة للمسلم دون الذمي، إذ لو خطب مسلم كتابية فقالوا يجوز له أن يخطب على خطبة الذمي، واحتجوا بقوله عليه السلام في هٰذا الحديث: «على أخيه» فهٰذا وصف للمسلم دون الذمي، إلا أن الجمهور على خلاف ذٰلك. لأن هٰذا الوصف لا مفهوم له عندهم، ولأن المعاني التي كان من أجلها التحريم يستوي فيها المسلم والذمي، والله أعلم.

وإذا كانت خِطْبة المسلم على خِطْبة أخيه محرّمة، فهل يصح عقد النكاح بالنسبة للخاطب الثاني ويتم به الزواج مع هٰذا التحريم، جمهور العلماء ذهب إلى ذٰلك وبعضهم قال يفسخ هٰذا العقد مطلقاً، وبعضهم قال يفسخ قبل الدخول بها، أما إذا تم الدخول فيقع الحرام ولا يفسخ الزواج. والله أعلم.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- صيانة حقوق الناس ورعاية مشاعرهم.

٢- الحفاظ على مسؤولية الكلمة ومساعدة الناس على الالتزام بكلامهم وعهودهم، وعدم تعريضها للتغيير بتردد الخاطبين على المخطوبة.

٣- صيانة العلاقات العامة بين الناس لما فيها من روابط لنظام المجتمع.

(١) جامع الترمذي ٣/ ٤٣١ - ٤٣٢ - النكاح - باب ٣٨ رقم ١١٣٤.

الحديث الثاني:

طاعة المرأة لزوجها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**».

وعن أم سليم رضي الله عنها قالت: **قال رسول الله ﷺ**: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**».

أولاً: تخريج الحديث:

خرج هذين الحديثين الترمذي ولهما شواهد كثيرة وهما صحيحان بذلك[١].

ثانياً: في ظلال الحديث:

١- في مقام الزوجية:

في هذين الحديثين الشريفين بيان لمقام الزوجية في الإسلام وعظيم شأنها والأساس الذي تقوم عليه، وأن نجاح الحياة الزوجية واستقامتها دين. ويترتب على ذلك دخول الجنة.

وإذا تساءلنا لماذا كل هذا الإهتمام بالأسرة والعلاقة الزوجية؟

فإننا نجد الجواب من خلال ما تمثله الأسرة من أهداف، وما يترتب على إخفاقها من أخطار. فالأسرة تحفظ أولاً البناء النفسي والحياة النفسية للزوجين، والاستقرار النفسي والسلام النفسي والأمن النفسي يمثل الأساس الأول لاستقامة نظام المجتمع والحياة الانسانية بكل جوانبها. وهذامعنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

---

(١) الحديث الأول: جامع الترمذي، كتاب الرضاع باب ١٠ رقم١١٥٩ جـ٣/ ٤٥٦.
الحديث الثاني: جامع الترمذي، كتاب الرضاع باب ١٠/رقم١١٦١ جـ٣/ ٤٥٧.

وإذا استقرت النفوس وسكنت وأطمأنت، ساد الحياةجوٌ من الإستقرار والسلام يجنب المجتمع الجنوح والجريمة، وجو من العمل والإنتاج والعطاء يطهرّ المجتمع من الكسل والفراغ والضياع، وجو من الثقة والتعاون يحفظ المجتمع من التشكك والتجسس والإرتياب.

وهذه كلها أمراض نفسية واجتماعية يقضي عليها الإستقرار النفسي والطمأنينة النفسية.

٢- الاسرة محضن التربية:

والأسرة بعد ذلك تمثل المحضن المربي للأجيال، فعليها العهدة في بناء لبنات المستقبل وأجيال الغد، ولهذا كانت فترة حضانة الإنسان وطفولته أطول منها في أي كائن حي آخر.

والأسرة أساس المجتمع ولبنته الأولى وفي نجاحها نجاح المجتمع وفي إتقان بنائها، متانة بناء المجتمع ونظامه.

فإذا كان هذا مكان الأسرة بالنسبة للرجل والمرأة والأطفال والمجتمع، فإنها تستحق مثل هذا الإهتمام، واهتمام الإسلام بالأسرة إنما هو اهتمام بالمجتمع الأنساني والحياة الإنسانية في وحدتها الأساسية الأولى.

٣- السجود لله وحده:

والسجود الوارد هنا كناية عن الإحترام والطاعة والخضوع للزوج، لكن لمّا كان السجود لا يكون إلا لله فإن النبي ﷺ لم يأمر أحداً أن يسجد لأحد غير الله، فالرجل يستحق الإحترام والطاعة والخضوع من زوجته، لكن لا يكون بعمل السجود الذي لا يكون إلا لله، وإنما بما في معناه، لهذه الملابسة بين طاعة الله والخضوع له، وبين طاعة العبد والخضوع له.

وهذا الأسلوب النبوي الكريم يضفي على طاعة الزوجة لزوجها قدْرا من الأهمية وضرورة الإلتزام، مع أنه لم يأمر بالسجود لغير الله، والتعبير بـ (لو) يفيد امتناع سجود المرأة لزوجها لامتناع أمر أحد بالسجود لغير الله، فكما أن الثاني ممتنع فالأول الذي ترتب عليه ممتنع كذلك.

وقد ورد في القرآن الكريم سجود إخوة يوسف وأبويه له، على هذا المعنى، معنى الطاعة والخضوع والإحترام، لكن النبي ﷺ ما طلب ذلك من النساء لكن أشار إلى معناه بهذا الأسلوب النبوي الكريم.

٤- طاعة المرأة لزوجها:

والمرأة عندما تطيع زوجها إنما تحقق الإنسجام والتفاهم في الأسرة، وتمكن عجلة الحياة من السير والحركة، أما إذا نشزت عن أمر زوجها وخالفت ورفضت، فإن المسيرة تتعثر، فيسيطر على جو الأسرة التوترُ والإنفعال والإضطراب والضيق، الذي يعطل رسالة الاسرة كلياً أو جزئيا.

والطاعة المطلوبة من الزوجة لزوجها، طاعة منضبطة مسؤولة مقيدة وليست مطلقة ولا جائرة، مقيدة بالشرع. **«إنما الطاعة بالمعروف»**[1]، و**«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[2] فإذا أُمرت الزوجة بأمر معروف متعارف عليه في تقاليد المجتمع ونظامه وأعرافه، وكان طاعة لله عز وجل لا معصية فيه، ففي طاعتها لهذا الأمر خير كثير لها ولزوجها ولأسرتها ومجتمعها.

---

(١) صحيح البخاري، ١٣/١٢٢ كتاب الأحكام، باب ٤، ح رقم ٧١٤٥.

(٢) مسند أحمد ٥/٦٦.

أما إذا كانت أوامر الرجل مستبدّة لا خير فيها، ولا يقرها عرف ولا ذوق، إنما لمجرد ممارسة هواية الأوامر فهذا ظلم ليس من حق الرجل، ومن حق المرأة أن تحاوره فيها وأن تراجعه بل وتشتكي عليه لأهلها أو أهله أو أصدقائهما الموثوقين أو حتى إلى القضاء ولا تلزم المرأة بطاعة مثل هذا الأمر، ولكنها إن أطاعت زوجها -فيما لا معصية فيه- وتنازلت عن حقها، احتراما له،وحرصا على حياتهما فهذا من الإيثار الذي تُؤجر عليه، وتجعل زوجها يزداد في تقديره واحترامه ، وقد تساعد بذلك على إقلاعه عن ذلك، والكريم تأسره بإكرامك له.

وأنا أُحذِّر هنا الأخوة الشباب في مقتبل حياتهم الزوجية من أن يسيطر عليهم شعور ممارسة القوامة، والقاء الأوامر،لمجرد أنه صاحب القوامة والأمر، أو لاختبار طاعة الزوجة، فإن هذا السلوك إذا لم يوافق وعيا وحالة نفسية هادئة عند الزوجة قد يعصف بالأسرة من أول الطريق، والأسرة ليست محلاً للتجارب والاختبارات.

وأُحذِّر كذلك الآخوات الشابات حديثات الزواج، والمتعلمات منهن بشكل خاص من أن يسيطر عليهن هاجس مواجهة قوامة الرجل وأنه متسلط من خلال قناعتهن باستقلال شخصيتهن ونيل حقوقهن، فتتوتر أجواء الأسرة، وتنقلب من عش هادىء للزوجية لتصبح حميما لا يطاق، وحلبة صراع واختلاف.

الرفق الرفق يامعشر الشباب ويا معشر الشابات، الأمر أيسر من ذلك وباليسير من الوعي والحكمة يمكن أن يوضع أمر القوامة في نصابه وأن يوضع أمر الطاعة في نصابه، فيكونان في خدمة الزوجين وفي مصلحة الأسرة والمجتمع.

ولا أنسى أن أخص بالتحذير أهل الزوج وأهل الزوجة، فكثيرا ما يساهمون في شقائهما بكثرة تدخلهما في شؤونهما. وبسوء تقديرهم لظروفهما ونفسيتهما خاصة في مقتبل الحياة الزوجية.

٥- قوامة الرجل على الاسرة:

إن الأسرة شركة بين اثنين، ومؤسسة اجتماعية إنسانية، ولا بد لها من مدير مشرف مسؤول، ولا بد أن يكون المدير أحد الشركاء، إما الزوج وإما الزوجة، ولما كان الزوج بطبيعته وبوظيفته أنسب لذلك كان الزوج هو صاحب القوامة على شؤون الأسرة. وهذه الوظيفة تستلزم تبعات ومسؤوليات، من النفقة والرعاية، وقبل ذلك المهر وجهاز البيت ومستلزمات الأسرة، فهذه تقابل تلك ومن هنا نفهم قول الله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾ [النساء: ٣٤].

ولا يضير المرأة، أن تطيع زوجها، بل هي مستعدة لذلك ومتهيأة له ومفطورة عليه، وهي تحب ذلك وتمارسه بطواعية ومحبة،وأما هؤلاء الذين ينفخون في المرأة روح التمرد والخروج على الطاعة، ويتعللون لذلك بدعاوى عريضة من الإستقلال والتحرر والمساواة بالرجال هؤلاء لا يعرفون فطرة المرأة ولا يريدون بها خيراً ولا بالمجتمع من بعدها.

وإذا حكّمنا هذه النظرة المادية الضيقة في العلاقة بين الزوجين، فماذا نقول عن الزوج وهو يكد ويكدح طوال النهار ليؤمّن حاجات زوجته وأسرته، ويعود آخر النهار كالأمن كده ومحملاً بالطعام والحاجات التي تطلبها زوجته... أنسمي ذلك خدمة للزوجة وننفخ في رأس الرجل أن يطالب بحريته واستقلاله وأن ينال حقوقه ويتخلص من خدمته لزوجته.

ما هكذا تورد يا سعد الأبل! وهذه تسمية للأمور بغير مسمياتها. وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، وللعلاقات عن مقاصدها ومعانيها.

٦- الأسرة تقوم على التعاون بين الزوجين:

إن الأسرة بناء اجتماعي أساسه الزوج والزوجة، وبناؤه يقوم على التعاون والتضحية والبذل من كل منهما، ورابطه المحبة والسكن، وثمرته الأبناء، وغايته تحقيق رسالة الحياة ومعنى الحياة.

فكل من الزوجين له دور يؤديه، والواحد منهما يتمم الآخر ومن هنا كانا زوجين، والتزاوج سنة الله في الكون والحياة ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وحديث أبي هريرة يحث الزوجة على طاعة الزوج وعبّر عن ذلك بقوله لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها. قال المباركفوري: «لكثرة حقوقه عليها، وعجزها عن القيام بشكرها، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها، فإن السجدة لا تحل إلا لله»[1].

أما حديث أم سلمة فإنه يحث الزوجة على إرضاء زوجها، وأنها إن ماتت وهو راض عنها دخلت الجنة.

وتحصيل رضا الزوج أعم من طاعته وإن كانت الطاعة مما يجلب رضاه، فقد يتعلق رضاه بأمور لا علاقة لها بأمره وطاعته فيما أمر، كأن يتعلق بسلوكها العام ومظهرها، ونشاطها، واهتمامها، وما شابه ذلك، فكلما كانت حريصة على عمل ما يرضيه نالت هذه المكانة الرفيعة، دخول الجنة.

وما كان الله ليرتّب دخول الجنة على رضا الزوج إلاّ لِمَا له من أثر عظيم في حياة الزوجين وبناء الأسرة ونظام المجتمع،لِمَا يسكبه من رضا ووفاق وسكينة تظهر آثارها في مختلف مجالات الحياة.

(١) المباركفوري، تحفة الأحوزي شرح الترمذي، ٢/ ٢٠٤.

٧- دخول الجنة بالأعمال:

وهذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي ترتب دخول الجنة على عمل من الأعمال، ليس على إطلاقه، وإنما المراد من ماتت وزوجها عنها راضٍ، وقامت بسائر الواجبات الشرعية وتحقق فيها الإيمان دخلت الجنة، وبهذا نجمع بين مثل هذا النص والنصوص الأخرى التي ترتب دخول الجنة على أعمال اخرى.

وإنما إختصت الأعمال بوصف أن فاعلها يدخل الجنة لعظيم شأنها، واهتماما بها، وترغيبا فيها.

قال المباركفوري: «دخلت الجنة لمراعاتها حق الله وحق عباده»[١].

إذا لا يقبل شرعا ولا يقبل عقلاً أن تدخل الجنة كافرة فاجرة ماتت وزوجها عنها راض، وإنما من ماتت وزوجها عنها راض، وهي مؤمنة قائمة بسائر الواجبات هي التي تدخل الجنة.

ويفهم من الحديث أن التي تموت وزوجها ساخط عليها تكون قد أتت فعلاً يمنعها من دخول الجنة، أو يؤخّر دخولها الجنة ، لأنها ارتكبت معصية كبيرة، لكنها على أي حال لا تخلّد في النار على مثل هذه المعصية، إذا لا يخلّد مسلم في النار على ذنب ارتكبه، ولا يكفرّ بذنب ارتكبه[٢].

٨- شبهات التغريب:

والصيحات التي نسمعها بين الفينة والأخرى، تتكلم عن حقوق المرأة واستقلالها، ومساواتها بالرجل، وعدم خضوعها له، هذه الصيحات يطلقها أناس مستغربون يرددون ما يسمعون عن الغرب دون دراية أو تمحيص، أو أناس مغرضون عابثون

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٠٤.

(٢) انظر العقيدة الطحاوية: ص٣٦٩ وما بعدها.

يريدون أن تتبذل المرأة وأن تكون معروضة في كل مكان لتصبح سهلة المنال، وهم بذلك يحطمون بناء المجتمع ونظامه عن قصد أو عن جهل.

٩- مكانة المرأة في الاسلام:

إن الإسلام قرر للمرأة حقوقها وأنزلها لها من فوق سبع سماوات قبل أن تفكّر فيها فضلاً عن أن تطالب بها، فجعلها مكلفة بالإسلام كالرجال، وحدد لها واجبات ومسؤوليات، فكانت المرأة أول من أسلم وأول شهيدة في الإسلام، وهاجرت المرأة وجاهدت وعلَّمت وتعلمت يوم أن كانت المرأة في الغرب رجس من عمل الشيطان، أو شر لابد منه، ويوم أن كانت المجالس الكنسية تبحث ما إذا كان للمرأة روح أو أنها بلا روح!!(١).

إن نظرة الاسلام للمرأة لا تقوم على أساس أنها منافس للرجل، ولا تقوم على أساس أنها في حالة صراع معه. إنما تقوم على الإعتدال والوسطية، حيث تقوم على أساس أن «النساء شقائق الرجال»(٢) وأن كلا منهما مكمل للآخر، وأن لكل منهما طبيعة وقدرات واستعدادات، وبالتالي فإن لكل منهما وظيفة تناسب طبيعته وقدراته واستعداداته، وهما معا يتكاملان، وعليهما معاً متكاملين يقوم بناء المجتمع وتتحق وظيفة الحياة.

والمرأة الغربية التي يريد البعض أن تكون قدوة للمرأة المسلمة، تعاني أضعاف أضعاف ما تعانيه المرأة المسلمة بالرغم من أن معاناة المرأة المسلمة اليوم ناشئة عن غياب الإسلام وبسبب الجهل والتغريب.

---

(١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي.

(٢) سنن ابي داود ١/ ١٦١ كتاب الطهارة باب ٩٥ ح رقم ٢٣٦.

وجامع الترمذي ١/ ١٨٩، كتاب الطهارة، باب ٨٢ ح رقم ١١٣.

إذ تسجل المحاكم الامريكية سنويا ما يزيد على مليون ونصف المليون قضية ضرب مبرح من الأزواج للزوجات، بل ومثلها للاطفال، كما تسجل نسبة طلاق تفوق كل تصور، فضلاً عن الخيانات الزوجية، وفضلاً عن تكليف المرأة بالإنفاق على نفسها وعلى أسرتها، وتحميلها مسؤوليات البيت جميعا . . . وغير هذا كثير.

ثالثاً: من أحكام الحديث:

١- عِظم مُقام الزوجية لما فيها من تماسك الأسرة وبناء المجتمع.

٢- الأجر العظيم للمرأة التي تحترم زوجها وتطيعه.

٣- أهمية الأسرة في الإسلام حيث وطّد أركانها لأن بها يقوم المجتمع المسلم.

٤- لا يُسجد لأحد إلا الله تعالى.

٥- الله عز وجل يرضيه أن تطيع المرأة زوجها بالمعروف لأهمية هذه الطاعة في صيانة الزوجين وسلامة الحياة.

٦- القوامة في الأسرة والبيت للرجل.

٧- أهمية الدور والمكانة التي تؤديها المرأة في المجتمع.

الحديث الثالث:

المرأة في عون زوجها

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت:

تزوجني الزبير ومالَه في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فَرَسه، قالت: فكنتُ أعلِفُ فَرَسَهُ وأَكْفِيه مُؤْونَتَهُ وأُسُوسُهُ، وأَدُقُّ النَّوى لِنَاضِحِهِ، وأَعْلِفُهُ وأَستقِي الماءَ وأَخْرُزُ غَرْبَهُ، وأَعجِنُ وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وكانَ يَخْبِزُ لي جَارَاتٌ لي مِنَ الأنصارِ، وَكُنَّ نِسوةُ صِدْقٍ. قالت: وكنتُ أَنْقُلُ النَّوى في أرض الزُّبَيْرِ التي أَقْطَعَهُ رسولُ الله ﷺ على رأْسي، وَهِيَ عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ.

قالت: فجئتُ يوماً والنَّوى على رأسي، فلقيتُ رسول الله ﷺ وَمَعَهُ نفرٌ من أَصْحَابِهِ فَدَعَاني ثم قال: «إخْ أخْ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، قَالَتْ: فاسْتَحْيَيْتُ وعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فقالَ: والله لَحَمْلُكِ النَّوى على رأسكِ أشدُّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ. قالتْ: حتى أَرْسَلَ إليَّ أبو بكرٍ بعدَ ذلك بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سياسةَ الفَرَسِ، فكأَنَّما أَعتقَتْني.

أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أحمد من حديث أسماء[1].

ثانياً: مفردات الحديث:

أدق النوى لناضحه: أكسر وأطحن بذور التمر طعاماً لناضحه وهو الجمل الذي يسقى عليه الماء.

أخرز غربة: أضبط واصلح دلوه.

(١) صحيح البخاري ٩/٣١٩ -بالفتح- التكاح ١٠٧ رقم ٥٢٢٤.
وصحيح مسلم، ٤/١٧١٦، كتاب السلام، باب ١٤ ح رقم ٢١٨٢ ومسند أحمد، ٦/٣٤٧.

الفرسخ: ثلاثة أميال شرعية وهي تساوي اليوم حوالي ٨٤٦٠م.

إخ، إخ: كلمات تقال للبعير ليبرك على الأرض.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

كان الزبير بن العوام رضي الله عنه فقيراً، لا يملك إلا فرساً وجملاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تقوم على خدمة زوجها وفرسه وناضحه، وكانت تبذل جهداً كبيراً في رعاية فرسه وإطعام جَمَلِه فكانت تنقل على رأسها نوى التمر لمسافات بعيدة. ورآها النبي ﷺ مرة وهو في جماعة من أصحابه فأشفق عليها. وأناخ البعير لتركب، لكنها بسبب حيائها واحترامها لتزوجها وما تعلم من غيرته لم تركب وآثرت أن تسير على قدميها مع ما تحمله على رأسها من النوى، فذكرت ذٰلك لزوجها، فأخبرها أن حملها على رأسها والمشقة التي تعانيها من ذٰلك أشد عليه من أن تركب مع النبي ﷺ، إذ لا يغار الزبير من النبي ﷺ وهي مُحرّمة عليه حرمة مؤقتة لأنها أخت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١ - الأسرة المسلمة:

في هٰذا الحديث صورة لأسرة مسلمة مع توضيح لبعض جوانب حياة هٰذه الأسرة. وهٰذه الأسرة مكونة من الزبير بن العوام أحد المبشرين بالجنة ومن أسماء بنت الصديق ذات النطاقين رضي الله عنهما.

وتنشأ هٰذه الأسرة فقيرة، إذ يتزوج الزبير وهو لا يملك شيئاً إلا فرساً يجاهد عليها وجملاً يسقى عليه الماء. وحتى الفرس والجمل إنما ملكهما في المدينة بعد أن كان فقيراً لا يملك شيئاً في مكة.

وتتأسس هٰذه الأسرة وتعيش وتبني نفسها مع الفقر، وليس في ذٰلك ما يعيب، وهٰذا نموذج من أُسَر الصحابة الكريمة ما منعهم الفقر من الزواج وبناء الأسرة واحتمال أعباء الحياة وتعاون الزوجين عليها.

وهٰذا المعنى قد غاب عن كثيرين في هٰذه الأيام بعد أن طغى سلطان المادة على النفوس فأصبحوا يبحثون عن مال الخاطب قبل أن يسألوا عن دينه وخلقه وشخصيته.

وما علموا أن المال يأتي ويذهب، والأهم منه الإنسان، وإنسانية الإنسان إنما تتحقق بدينه وخلقه وشخصيته. ولقد ورث أبناء سليمان بن عبد الملك مئات الآلاف وورث أبناء عمر بن عبد العزيز دريهمات، وكان الواحد من أبناء عمر بن عبد العزيز يجهز جيشاً في سبيل الله بعد أن أغناه الله، وكان أبناء سليمان بن عبد الملك يسألون الناس في الطرقات.

٢- المرأة تعين زوجها:

وفي قصة هذه الأسرة المسلمة نجد المرأة تعين زوجها وتضحي في بناء الأسرة فتقوم بأعمال الخدمة في البيت وخارج البيت، تبرعا منها وتضحية، مع أن ذٰلك ليس مطلوبا منها، وزوجها بالمقابل لم يكن كسولاً يتردد على المقاهي والدواوين ويكلف زوجته بأعباء الحياة كما نرى في كثير من أريافنا وبوادينا، لٰكنه كان في الجهاد والدعوة إلى الله عز وجل.

وعندما تقوم الأسرة على أساس من المحبة والتضحية والتعاون، فإننا نجد كلاً من الزوجين حريصاً على مساعدة صاحبه، أما عندما تقوم على أساس من الكِبْر والغرور وحرص كل منهما على إثبات وجوده، أو على أساس من الشروط والحدود، وكأنها شركة مالية، فإن النفوس ستخسر معنى المحبة والمنافسة على العون والتضحية، وسرعان ما تسوء العلاقات وتنقطع الروابط وقد تنتهي الأسرة، أو تستمر على دخن.

٣- عمل المرأة:

ومسألة عمل المرأة في البيت من المسائل التي اختلف العلماء في حكمها فالإمام النووي يقول: «هٰذا كله من المعروف والمروآت التي أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهٰذه الأمور المذكورة ونحوها من الخبز والطبخ وغسل الثياب وغير ذٰلك، وكله تبرع من المرأة وإحسان منها إلى زوجها وحسن معاشرة وفعل معروف، ولا يجب عليها شيء من ذٰلك، بل لو امتنعت من جميع هٰذا لم تأثم، ويلزمه هو تحصيل هٰذه الأمور لها، ولا يحل له إلزامها بشيء من هٰذا وإنما تفعله المرأة تبرعاً: وهي عادة جميلة استمر عليها النساء من الزمن الأول إلى الآن»[1].

وقال الحافظ ابن حجر: «واستُدِلَّ بهٰذه القصة على أَنَّ على المرأة القيام بجميع ما يحتاج إليه زوجها من الخدمة، وإليه ذهب أبو ثور، وحمله الباقون على أنها تطوعت بذٰلك ولم يكن لازماً، أشار إليه المهلب وغيره. والذي يظهر أن هٰذه الواقعة وأمثالها كانت في حال ضرورة كما تقدم فلا يطَّرد الحكم في غيرها ممن لم يكن في مثل حالهم. وقد تقدم أن فاطمة سيدة نساء العالمين شَكَتْ ما تلقىٰ يداها من الرحى وسألت أباها خادما فدلها على خير من ذٰلك، وهو ذكر الله تعالى. والذي يترجح حمل الأمر في ذٰلك على عوائد البلاد فإنها مختلفة في هٰذا الباب»[2].

وإذا كان الأمر يرجع إلى العادات والظروف فإن ظروف غالبية الناس في هٰذه الأيام أن عمل الرجل يستغرق سائر النهار وأن متوسط الدخل لا يغطي حاجات الأسرة فلا يستطيع الرجل أن يقوم بأعمال البيت ولا يستطيع أن يستأجر خادمة، فسواء أكان العمل في البيت واجباً على المرأة أو تطوعاً، فإنها تجد نفسها مضطرة إليه في ظل ظروفنا الحاضرة، وأساس الحياة التعاون والتضحية قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٦٤-١٦٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ٣٢٤.

٤- صورة من العلاقات في المجتمع المسلم:

ونجد في قصة هٰذا الحديث صورة عن العلاقات الإجتماعية خارج حدود الأسرة فهٰذه أسماء تستعين بجاراتها فيما لا تتقنه من الأعمال، بعيداً عن الغرور والتكلف والنفاق، الذي نراه في أيامنا هٰذه وخاصة في محيط النساء، حيث تبقى المرأة جاهلة لأمور كثيرة ولا تطيق أن تسأل عنها لئلا يقال إنها لا تعرف كذا أو كذا من الأعمال.

ويتجلى الصدق والوضوح والتعاون في المجتمع الإسلامي فجاراتها يساعدنها بصدق وتصفهن بأنهن نسوة صدق. وخاصة نساء الأنصار، إذ هٰذه القصة تتضمن منقبة من مناقبهن رضي الله عنهن.

٥- قطائع الإمام للرعية:

وفي هٰذا الحديث ذكر لنظام القطائع الذي جاء به الإسلام وهٰذا النظام يقوم على أساس أن يمنح الإمام قطعة من أرض الدولة لأحد الأشخاص ليستثمرها ويعمرها، وهٰذا الشخص يأخذ ريع هٰذه الأرض، لٰكن الأرض تبقى ملكاً للدولة.

وفي هٰذا النظام مساعدة للفقراء وحل لمشكلة البطالة وإنعاش للاقتصاد وإصلاح للأرض دون أن تخسر الدولة شيئاً. ومثل هٰذا النظام نظام إحياء الموات مع الفارق بين النظامين فإن إحياء الموات لا يتوقف على إذن السلطان وإنما يتوقف على استصلاح الأرض واستثمارها، وكذٰلك في حال إحياء أرض ميتة فإنه يملكها، على خلاف بين العلماء في ذٰلك.

والأصل في ذٰلك حديث الرسول ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[1].

---

(١) جامع الترمذي ٣/ ٦٥٣، الأحكام باب ٣٨ ح رقم ١٣٧٨ وسنن أبي داود ٣/ ٤٥٣ كتاب الخراج، باب احياء الموات ح رقم ٣٠٧٣.

٦- بالمؤمنين رؤوف رحيم:

وفي هٰذا الحديث يتجلى إشفاق النبي ﷺ على رعيته ورحمته بها وعلى المرأة بخاصة، فإنه عندما رأى أسماء على هٰذه الحالة، أناخ لها بعيره لتركب.

٧- حكم أرداف المرأة الأجنبية:

وأسماء رضي الله عنها فهمت من إناخة البعير ودعوتها للركوب أن النبي ﷺ يريد أن يركبها خلفه، لٰكن ليس في فعل النبي ﷺ وقوله ما ينص على ذٰلك فلعلها فهمت ذٰلك وأن النبي إنما أراد أن تركب وهو يركب دابة أخرى أو مع بعض أصحابه، وقد ذهب إلى هٰذا ابن حجر رحمه الله في شرح هٰذا الحديث[١].

أما الإمام النووي فقد جعل الأرداف عنوانا للباب فقال: «جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق»[٢].

وقال الإمام النووي في شرحه للحديث: «وفيه جواز إرداف المرأة التي ليست محرماً إذا وجدت في الطريق قد أعيت لا سيما مع جماعة رجال صالحين، ولا شك في جواز مثل هٰذا. وقال القاضي عياض: «هٰذا خاص للنبي ﷺ بخلاف غيره، فقد أمرنا بالمباعدة بين أنفاس الرجال والنساء، وكانت عادته ﷺ مباعدتهن لتقتدي به أمته؟ وقال: «وإنما كانت هٰذه خصوصية له لكونها بنت أبي بكر وأخت عائشة وامرأة الزبير، فكانت كإحدى أهله ونسائه مع ما خص به ﷺ أنه أملك لإربه»[٣].

---

(١) فتح الباري ٩/ ٣٢٣.

(٢) صحيح سلم بشرح النووي ١٤/ ١٦٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٦٦.

وترد هٰذه الأقوال على السيارة اليوم، فالأصل أن ركوب المرأة وحدها مع سائق أجنبي أنها لا تجوز لأنها مظنة الفتنة وشبه خلوة، أما إذا كانت مع صحبة صالحة من النساء أو الرجال، وكذا إذا أمنت الفتنة والخلوة بسيادة الأمن فإن القول بالجواز ضرورة، على ألا يُتَـوسع في ذٰلك ما أمكن. واجتناب مواطن الشبهات هو الأحوط والأسلم والأكرم.

وحتى إذا ركبت المرأة المسلمة مع سائق اجنبي فعليها أن تحافظ على سترها وغض بصرها وعدم الخضوع بالقول واجتناب كل ما من شأنه أن يفتح باب الفتنة وطمع من في قلبه مرض.

ولا شك أن الحكم يتفاوت حسب سن المرأة وحسب الطريق ومدى الأمن فيه.

٨- نموذج المرأة المسلمة:

وفي قصة هٰذا الحديث ما كانت عليه أسماء رضي الله عنها من الحياء، والحياء شعبة من شعب الإيمان، والحياء لا يأتي إلا بخير، وهي هنا المرأة المتزوجة تستحيي من رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة مع أنها معروفة لديهم لشهرتها ومكانة أبيها ومكانة زوجها ومكانة أختها أم المؤمنين.

وفي الحديث معرفة هٰذه المرأة لطبيعة زوجها وأنها تعرف شدة غيرته، واحترامه في ذٰلك حتى في أمر لا يغار منه، كما بين لها فيما بعد، لٰكنه من الوفاء والإخلاص لزوجها تراعي حقوقه وتحفظ غيرته. في حضوره وغيابه، وتحرص على تجنب كل ما لا يُرضيه.

٩- مروءة المسلم:

والقصة تظهر مروءة الزبير رضي الله عنه وأنه يحترم زوجته ويغار عليها وأن من مروءته أنه يفضل لها أن تكون قد ركبت خلف النبي ﷺ وهو مع أصحابه من أن تقوم بحمل هٰذا النوى على رأسها هٰذه المسافة البعيدة.

ما أجملها من مشاعر بين الزوجين هي تؤثر احترام مشاعره وغيرته على راحتها فتتعب حفاظاً عليه. وهو يتألم لذٰلك ويفضّل لو أنها ركبت ولم تتعرض لهٰذا العناء والتعب.. هٰكذا تكون ثمرة المحبة والتعاون والتضحية، فكل منهما حريص على صاحبه يؤثره على نفسه.

وفي هٰذه القصة تبدو شفقة أبي بكر على ابنته، ومساعدته لزوج ابنته الفقير، بأن يقدم لهما هدية هي خادمة تخفف عن أسماء من معاناتها بأعمال البيت داخل البيت وخارجه، ومما يدل على حجم هٰذه المعاناة أن أسماء تعبّر عن ذٰلك بقولها «فكأنما اعتقتني».

خامساً: من أحكام الحديث:

١- حث أهل الفتاة على أن يزوجوها لصاحب الدين والخلق لأنه إن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

٢- وجوب التضحية والتعاون بين الزوجين لإنشاء الأسرة المسلمة وبالتالي ينشأ المجتمع المسلم السعيد.

٣- اختلاف العلماء في حكم عمل المرأة في البيت فمنهم من ذهب إلى أنه تطوع منها، ومنهم من ذهب إلى أنه واجب عليها.

٤- تحكيم العادة ما دامت لم تخالف قاعدة من قواعد الشرع.

٥- إن نظام إحياء الموات من أعظم النظم الإقتصادية التي تساهم في الإستثمار ومكافحة البطالة وحل مشكلة الفقر والتعاون في بناء المجتمع.

٦- جواز إرداف المرأة الأجنبية للضرورة.

٧- يُندب للمرأة المسلمة أن تحافظ محافظة تامة على شعور زوجها حتى في أقل الأمور.

٨- إشفاق الرجل المسلم زوجاً أو أباً على النساء وعدم تحميلهن مالا يُطقن.

الحديث الرابع:

من بات زوجها غضبانَ عليها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأت فبات غضبانَ عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هٰذا الحديث البخاري ومسلم والدارمي وأحمد من حديث أبي هريرة، وهو مروي بوجهين، هٰذا اللفظ أحدهما، وهو عند مسلم وأحمد، والثاني: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح أو حتى ترجع». وهٰذا عند البخاري ومسلم وأحمد والدارمي(١).

ثانياً: مفردات الحديث:

إلى فراشه: كناية عن الجماع.

لعنتها: **اللعن: الطرد من رحمة الله.**

ثالثاً: المعنى الإجمالي للحديث:

حفاظاً على نظام المجتمع حرص الإسلام على رعاية الأسرة وشَرَع لها من التشريعات وحدّد من الحقوق والواجبات لطرفيها ما يحافظ عليها ويصونها، ومن حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه في غير معصية. ومما تطيعه فيه أن تستجيب إذا دعاها إلى الجماع، ولما لقضاء الشهوات من دور في الإستقرار النفسي وتوثيق عرى المودة وتحقيق السكن

(١) صحيح البخاري ٩/ ٢٩٣ -النكاح- باب ٨٥، رقم ٥١٩٣، ٥١٩٤.
صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٠ -النكاح- باب ٢٠، رقم ١٤٣٦ من طرق.
سنن الدارمي ٢٠/ ١٥٠ -النكاح- باب حق الزوج. أبو داود ٢/ ٦٠٥ نكاح ٤٠، رقم ٢١٤١.
مسند أحمد ٢/ ٢٥٥- ٣٤٨، ٣٨٦، ٤٦٨، ٥١٩، ٥٣٨.

الذي هو شعار الحياة الزوجية ولما فيه من إعفاف لهما، وخاصة للرجل الذي يتعرض بحكم وظيفته خارج البيت إلى كثير من أسباب الإثارة، فإن الملائكة تغضب لغضب الزوج وتلعن هٰذه المرأة الناشز حتى تصبح أو حتى ترجع إلى طاعة زوجها.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١ - مكانة الأسرة:

نظام المجتمع يقوم على أساس وحدة الأسرة، والأُسرة لِمَا لها من دور عظيم في حياة الأفراد وبناء المجتمع كانت محل رعاية الإسلام واهتمامه، وحديثنا هٰذا يتناول جانباً من الجوانب التي تساهم في صيانة بناء الأسرة وبالتالي سلامة بناء المجتمع ونظامه.

والإسلام في تناوله لنظام الأُسرة كان واضحاً وحاسماً وعادلاً في تشريعاته وتوجيهاته، لم يحاب طرفاً على طرف، ولم يدغدغ مشاعر طرف دون طرف، ولم يخضع لضغط طرف على طرف.

والإسلام في وضوحه وحسمه وعدله فيما يتعلق بأحكام الأُسرة وتشريعاتها صدر عن علم يقيني إلٰهي، عن علمِ خالقِ الإنسان ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، وانطلق من طبيعة هٰذا الإنسان وإمكانياته واستعداداته، ومن وظيفته الإجتماعية، ويمكن أن يُلحظ هٰذا الأساس في كل تشريع بين الزوجين وفي موضوع الأُسرة.

أما الذين استعبدوا المرأة يوم أن كانت جاهلة ضعيفة، واحترموها وساوَوْها بالرجل يوم أن تنبهت وشكّلت الإتحادات والجمعيات والأحزاب، وتركوا لها العنان والحبل على الغارب يوم أن تبذّلت وتبرجّت.. هٰؤلاء لا يحترمون المرأة وإنما هم تجار يتحركون مع اتجاه السوق...

٢- قوامة الرجال:

من هٰذا التصور كان للرجل حقوق وعليه واجبات، وكان للمرأة حقوق وعليها واجبات، هٰذه الحقوق وهٰذه الواجبات تتناسب مع طبيعة كل منهما ومع وظيفة كل منهما في الحياة.

والأُسرة مؤسسة هامة بحاجة إلى مسؤول، وهٰذه المؤسسة يؤسسها الرجل باختياره ونفقته، كما تساهم فيها المرأة باختيارها وبما تبذله من جهد ورعاية للزوج والأسرة. فكان الرجل هو رئيس المؤسسة ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وهٰذه الرئاسة أو القيادة أو القوامة -أي القائم على أمر الأُسرة وشؤونها- تجعل للرجل حق الطاعة على زوجته، كما تجعل عليه واجب الإنفاق والعمل والسهر لحفظ الأسرة وتأمين كل احتياجاتها. فإذا طلب منها أمراً لا معصية فيه، فيجب عليها أن تطيعه.

ولَمّا كان الرجل بحكم وظيفته خارج البيت -غالباً- فإنه يتعرض للإثارة والفتنة أكثر من المرأة، إلا إذا كانت تمارس وظيفة خارج البيت فعندئذ يستويان.

فلهٰذين المعنيين أوجب الإسلام على المرأة أن تطيع زوجها فيما لا معصية فيه، وفي هٰذا الحديث يأمر بطاعته في أمر الجِمَاع.

والإسلام وهو يضع التشريعات ويصدر التوجيهات في مثل هٰذه الأمور الصغيرة نسبياً، إنما ليدل على أهمية هٰذه الأمور في حفظ النفس وصيانتها من القلق ومن الفاحشة، وأهميتها في الحفاظ على الأسرة ودودا وسكناً، وأهميتها في صيانة بناء المجتمع ونظامه. إذ بدون هٰذه التشريعات والتوجيهات، يتصدع بناء المجتمع، وتتمزق الأُسَر والبيوت ويتشرد الأطفال، فيتهدد نظام المجتمع والأمّة.

٣- طاعة الأزواج:

من هنا ندرك لماذا أوجب الإسلام على الزوجة طاعة زوجها، وألزمها بطاعته بشكل خاص في أمر الجِمَاع إذا دعاها أن تستجيب وإلا باتت في سخط الله.

والحديث يبين أن من تستحق اللعنة هي الزوجة التي يدعوها زوجها إلى الجِمّاع فترفض فيغضب عليها، أما إذا لم يغضب بأن أقنعته أن يعدل عن طلبه لسبب من الأسباب فاقتنع وعَذَرها، ولم يغضب، أو إذا كان هو البادىء في هجرها، ففي هٰذه الحالات وأمثالها لا تلحق اللعنة بالمرأة ولا يصيبها هٰذا الوعيد.

وإذا كان المعول عليه هو غضب الزوج، فإن في هٰذا بيان لأهمية طاعة الزوج وتحقيق رضاه، وفي غضبه -بالحق- سخط الله سبحانه. فإن المرأة المسلمة العاقلة تتفهم هٰذا المعنى، وتدرك قيمته فتحرص على رضا زوجها وعدم مخالفته. وفي هٰذا سعادتهما وحماية المجتمع والأمة.

ومن هٰذا المعنى أيضاً على المرأة أن تعمل على محاورة زوجها وإبداء عذرها حتى لا يغضب عليها أو حتى يزول غضبه، ليس فقط في أمر الجماع، وإنما في كل أمور الأسرة والحياة الزوجية. وبهٰذا نحافظ على السكن الودود ولا نعرضه للاهتزاز.

وإذا كان الحديث يوجب على المرأة أن تطيع زوجها إذا دعاها إلى فراشه، فإن عليها أن تحرص ابتداء على ما يَسرُّهُ من منظر طَيبٌ وريحٍ طَيبٌ وحسن كلام، وبهٰذا تحقق المرأة في نفسها ما ذكره النبي ﷺ في حديثه **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من امرأة صالحة إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»**(١) وتحقق أيضاً حسن التبعل لزوجها.

---

(١) سنن ابن ماجه ٥٩٦/١ كتاب النكاح باب ٥ ح رقم ١٨٥٧ وهو ضعيف وله شاهد عند النسائي ٦٨/٦ كتاب النكاح باب ١٤.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن غضب الزوج المقبول شرعاً هو الذي يكون بناء على التقصير في أي حق من حقوقه، أما إذا كان الزوج يغضب بلا وجه حق، بل ظلماً للمرأة، فهٰذا الغضب لا قيمة له في ميزان الله، ولا تستحق الزوجة في هٰذه الحالة غضب الله. وهٰذا يغيب عن الكثيرين من الأزواج، فتجدهم يغضبون بالباطل ولأتفه الأسباب ويجعلون غضبهم سيفاً مسلطاً على المرأة، يهددونها بغضب الله لغضبهم.

ومع ذٰلك فلا بد من أن يلاحظ الزوجان طبيعة الحياة الأُسرية والعلاقات الزوجية وطبيعة النفس الإنسانية، إن النفس الإنسانية كالزجاجة إذا كُسِرَت أو شُعِرَت لا يجبرها شيء، فينبغي أن يحرص الطرفان على المودة بينهما والسكن في أسرتهما، وأن لا يتعاملا مع المشاعر والنفوس تعاملاً مادياً جافاً يتعامل مع الحقوق والواجبات بحرفية تُذهب المودة والسكينه.

٤- غضب الله:

والحديث يخوّف المرأة ويرهبها بأن الملائكة تلعنها حتى تصبح إذا ما أغضبت زوجها. ولفظ تلعن معناه اللغوي: الطرد من رحمة الله، والملائكة تدعو الله أن يطردها.

أما المعنى الإصطلاحي فهو مطلق السب. والأوضح أن المعنى الثاني هو المراد هنا، لا المعنى الأول، لأن ارتكاب معصية غير كاف في الطرد من رحمة الله[1].

والملائكة تلعن هٰذه المرأة العاصية أي تدعوا عليها باللعنة طوال الليل حتى تصبح، أو حتى ترجع إلى طاعته كما في بعض الروايات.

وفي قيام الملائكة بهٰذا الدور إشارة إلى طبيعة الملائكة ووظيفتهم وأن منهم المرافقين للإنسان، والأرجح أن هٰؤلاء هم الذين يلعنون. وقد ورد في النصوص أيضاً أن الملائكة

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ٩/ ٢٩٥.

تدعو للمؤمنين الصادقين كذلك ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩].

خامساً: من أحكام الحديث:

١- اهتمام الإسلام بالأسرة والعلاقات بين الزوجين لما لذٰلك من قيمة عظيمة في حفظ النفس والمجتمع.

٢- الرجل هو صاحب القوامة في الأسرة وعليه واجبات وله حقوق، وكذٰلك المرأة لها حقوق وعليها واجبات، وقوامته ليست على حساب حقوقها، بل لرعاية هٰذه الحقوق.

٣- يجب على المرأة أن تطيع زوجها، وفي هٰذه الطاعة التي هي من واجبات المرأة تجاه الرجل انتظام الأسرة وتحقيق روح المودة والسَكَن فيها.

٤- يجب على المرأة أن تجيب زوجها إذا دعاها إلى فراشه مالم يكن عندها عذر مقبول.

٥- الأدب النبوي الإسلامي في استخدام أسلوب الكناية عند ذكر الأمور الخاصة والتي يستحيا منها، فهٰنا كنّى بالفراش عن الجِمَاع، وهٰذا كثير في الكتاب والسنة.

٦- على المرأة أن تحرص على منع غضب الرجل، لأنه إن غضب بحق فإنها بذٰلك تغضب ربها، وإن غضب بباطل ينغص عليها حياتها.

٧- أساس العلاقات الزوجية التطاوع والتفاهم وبهٰذا تتحقق المودة ويتحقق السَكن وهما شعار الزوجية.

٨- في عِصيان الزوج معصية الله، تَنْفُرُ منها الملائكة فتلعن الزوجة إن كانت هي السبب في ذلك وبدون عذر مشروع.

٩- في الحديث ترهيب شديد من مخالفة أمر الزوج، لأهمية رضا الزوج في دوام الحياة الزوجية، وبناء المجتمع.

الحديث الخامس:

أسرار البيوت

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ أشرِّ الناس عند الله منزلةً يومَ القيامةِ الرجلُ يُفْضِي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يَنْشُرُوها**».

أولاً: تخريج الحديث:

هٰذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد من حديث أبي سعيد الخدري[١].

ثانياً: مفردات الحديث:

مِنْ أشرِّ: ورد في الأحاديث أشر بالألف وبدونها، وهٰذا شاهد لغوي على جوازها[٢].

يُفْضِي إلى امرأته: أصله ينتهي إليها، وهو كناية عن الجِمَاع وما يكون بينهما من قول أو فعل عنده[٣].

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١ - ذمُّ الفُحْش:

الإسلام دين العفة والطهر، جاء يَنْهى عن الفُحش سواء أكان فُحْشَ الفعل أو فُحْشَ القول ومن هنا قال ﷺ: «**إن الله لا يحب الفاحش المُتَفَحِّش**»[٤] وقال: «**إن الله ليبغض الفاحش البذيء**»[٥].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٠ -النكاح- باب ٢١ - رقم ١٤٣٧. سنن أبي داود ٤/ ٢٦٩ -الادب- باب ٣٢ حديث رقم ٤٨٧٠. ومسند أحمد ٣/ ٦٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ٨.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ٨.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ١٤٥-١٤٦ -الأدب- باب ٦ - رقم ٤٧٩٢.

(٥) جامع الترمذي ٤/ ٣٦٨ -البر- باب ٦٢ رقم ٢٠٠٢.

وإذا كان الفعل الفاحش مستقذراً تنبو عنه النفوس بفطرتها وإيمانها، فإن الكلام عن الفُحش يُعَدُّ فحشاً كذٰلك، لأنَّ ذِكْرَ الفُحْش دعوةٌ له وتزيين وإذا ما اعتادت عليه الأسماع والألسنة فإنّ إنكاره وكراهيته تضعف في النفوس.

٢- مسؤولية الكلمة:

وإن الكلمة في دين الله مسؤولة وصاحبها مسؤول ولا يجوز إطلاق اللسان في الكلام بلا انضباط ولا حدود **«وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم -أو قال على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم»**[(١)] وقال عليه الصلاة والسلام **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلْقِي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد يتكلم بالكلمة من سَخَط الله لا يُلْقِي لها بالاً يهوي بها في جهنم»**[(٢)] والله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

٣- حُرمُات البيوت:

وفي هٰذا الحديث حفِاظٌ على أعراض الناس وأسرارهم وحُرُماتهم، ولا يجوز لأحَدٍ كائناً من كان أن يُفضي بأسرار الناس، حتى لو كان زوجا أو زوجة أو قريباً، لأن لأسرار الناس حُرْمة في دين الله ينبغي أن تُصان.

والزوجان أكثر اثنين يتناجيان ويُفْضِي كل منهما إلى صاحبه بكل شيء، فالعلاقة التي بينهما ليست بين أحد سواهما، حتى ولا بين الولد ووالديه أو البنت وأمها؛ فهما زوجان من شيء واحد، جزءان لكائن واحد، كل منهما يُكَمِّل الآخر، كالحبة ذات الفلقتين، بهما تمام أمر كل منهما؛ ولهٰذه العلاقة الخاصة أسرارها ومناجاتها التي ينبغي أن تُصَان حفاظاً على دوام هٰذه العلاقة ومتانتها.

---

(١) جامع الترمذي ج٥/ ١٢ كتاب الإيمان باب ٨ ح رقم ٢٦١٦.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٠٨ كتاب الرقاق باب ٢٣ ح رقم ٦٤٧٨.

وفي إفشاء أسرار الزوجية من أحد الزوجين خيانةٌ للآخر بعدم الحفاظ على أسراره، وربما ينشأ عنها خلاف يعصف بالمودة التي بينهما أو يعصف بكل الأُسرة. زيادة على ما فيه من فُحشٍ وبذاء ونشر للفاحشة بين المؤمنين إذا كان خاصاً بأسرار الجِمَاع وصفات كل منهما التي ينبغي ألا يعلم بها أحد من الناس.

والزوجان قد يختلفان ويتخاصمان، وهٰذا مما لا يخلو منه بيت، لٰكنه طارىء بالنسبة للبيوت المؤمنة المستقرة سرعان ما يزول لتعود الحياة إلى صفائها وجمالها؛ فإذا غفل أحدهما عن هٰذا الأدب الإسلامي الرفيع في صيانة أسرار صاحبه، وانطلق يتحدث عنه تحت تأثير انفعال الغضب الطارىء، فإن ذٰلك يُعَدُّ كُدُورة في الحياة الزوجية فيما بعد يؤخِّر الصفاء أو يهدده باستمرار، فليحرص الزوجان على مراعاة الحفاظ على ما بينهما في كل الظروف، وفاءً وأدباً والتزاماً بأحكام الإسلام، وبهٰذا يُحاط بناءُ الأُسرة بسياج يُحَصِّنه ويحفظه باستمرار.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- خصوصية العلاقة بين الزوجين.

٢- الحرص على أسرار الأسرة بعامة والأسرار الزوجية بخاصة.

٣- تجنب الفحش والقول الفاحش.

٤-كراهية إشاعة الفاحشة في المؤمنين.

٥- حُرمة الأسرار وضرورة الحفاظ عليها وعدم فضحها.

٦- من الأدب أن تُذْكرَ الأمور التي يُخْجلَ من ذكرها بالكناية، دون التصريح بما فيه فحش أو يُجانب الحياء.

الحديث السادس:

التغليظ في الغيبة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، حسبك من صفية قصرها.

قال: «لقد قلتِ كلمة لو مُزج بها البحر لمزجته» قالت: وحكيت له على إنسان فقال: **«ما أحب أني حكيت على إنسان، وإن لي كذا وكذا».**

أولا: تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد والبيهقي من حديث عائشة[1].

ثانياً: مفردات الحديث:

حسبك من صفية قصرها: يكفيك ما فيها من القصر إذ لم تكن طويلة رضي الله عنها. وصفية هي أم المؤمنين بنت حيي بن أخطب اليهودي، سيد بني النضير، كانت في سبي بني النضير، فاعتقها النبي ﷺ، وتزوجها، وتعرف بين أمهات المؤمنين بأنها كانت عاقلة حليمة فاضلة.[2]

لو مزج بها البحر لمزجته: أي إن هذه الكلمة التي قلتيها غيبة لصفية فيها من الأثم والشر والفساد، ما يفسد البحر لو اختلط به. وهذه كناية عن خطورة هذه الكلمة.

وإن لي كذا وكذا: من ألفاظ العرب التي تطلق ويراد بها الكثرة، لو كان له بذلك من المال أو الأنعام الشيء الكثير، الذي لكثرته كانه لا يعد ولا يحصى.

---

(١) سنن ابي داود، حـ٥/ ١٩٢ كتاب الادب، باب ٤٠ ح رقم ٤٨٧٥ وجامع الترمذي٣/ ٦٦٠ كتاب صفة القيامة، باب ٥١، ح رقم ٢٥٠٢، ٢٥٠٣حسن صحيح. ومسند أحمد ٦/ ١٨٩. وسنن البيهقي: ١٠/ ٢٤٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الإصابة ٧/ ٧٤١.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١ -غيرة النساء:

الحديث يبين صفة من الصفات الطبيعية في النساء، وهي الغَيْرَة، والغَيْرَةَ هي كراهية المشاركة في حق من الحقوق، وهي هنا كراهية المشاركة في الزوج، وما ينتج عن ذلك من إنفعال[1] وقدْر منها طبيعي لا تستطيع المرأة دفعه أو التخلص منه، وقدْر آخر زائد على الحد الطبيعي الفطري مما ينبغي أن يوضع له حد.

فإذا أحبت المرأة لنفسها الخير، وأحبت أن تتفوق فيه على من تغار منها، وتضايقت من أن يوجد عند غيرها ما تفتقده، ثم حُصِرَ هذا كله في دائرة النفس والمشاعر، فهذا مما يحتمل، ومع ذلك على النفس المؤمنة أن تسعى للترفع عن ذلك، وفي هذا مجال لمجاهدة النفس.

أما أن تذم الأخريات وتتطاول عليهن وتؤذيهن بقولها أو فعلها، أو أن تتجاوز حدودها بشكل عام وتخوض في الأخريات فهذا مما لا تُقَرُّ عليه، يَحْرُم ذلك شرعا صيانة لنفوس الأخريات وحقوقهن.

ولقد عُرفت أم المؤمنين عائشة بشدة غيرتها، مع أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه بعد خديجة، وهي لم تدرك خديجة في بيت النبوة، أي أنها أحب أزواجه اليه من الأحياء، ومع ذلك كانت شديدة الغيرة رضي الله عنها، وقد ورد الكثير من القصص مما وقع لها من الغيرة في كتب الحديث.

والمرأة أشد ما تكون غيرتها من ضَرَّتها، وقد تغار من أم الزوج أو أخواته أو قريباته أو تغار من زميلاتها وجاراتها ومعارفها.

---

(١) انظر مشارق الأنوار ٢/ ١٤١ والتعريفات ص١٦٣.

وفي هذا الحديث نموذج من الغَيْرَة التي تجاوزت فيها عائشة رضي الله عنها حدودها، ومست بحدود الأخريات، حيث ذمّت أمَّ المؤمنين صفية ـ ضَرَّتَها ـ بأنها قصيرة، تريد أن تنفر النبي ﷺ منها، وأن تقول له: إن هذه التي تحبها قصيرة يعيبها القصر.

والنبي ﷺ في معالجته لحالات الغَيْرَة بين نسائه، كان لا يسمح لواحدة منهن أن تخرج في غَيْرَتها عن حدودها، فهو هنا يعظ عائشة رضي الله عنها ويحذرها وينذرها من هذه الكلمة التي قالتها في حق صفية، ويبين أن شأن هذه الكلمة التي صدرت عنك خطير، وأنها تفسد البحر، وبالتالي يُخشى أن تفسد أعمالك ودينك، وهذا البيان من النبي عليه الصلاة والسلام، له في نفس عائشة رضي الله عنها شأن، كيف وهي المؤمنة التي تعيش لإيمانها، وتبذل كل ما تستطيع في سبيل إيمانها، ولا تقبل أن تمس في إيمانها ودينها.

وفي صُوَرٍ أخرى من الغَيْرَة، الغَيْرَة الفطرية الطبيعية نجد النبي ﷺ يحتملها ويقبلها ويمر عليها مرور الكرام، لعلمه ﷺ أنها من خصائص فطرة المرأة وطبيعتها ومن ذلك أن عائشة رضي الله عنها غارت ذات مرة من إحدى أمهات المؤمنين أرسلت إلى النبي ﷺ وهو في حجرة عائشة وعنده عدد من الصحابة شيئاً من الطعام أهدي إليها، فما كان من عائشة رضي الله عنها: إلا أن أرسلت جارية لها فكسرت الصحن وتناثر الطعام، فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن ضحك واستغرق في الضحك حتى استلقى على قفاه ثم جمع الطعام وقال لأصحابه كلوا فقد غارت أمكم، وأمر عائشة رضي الله عنها باحضار صحن بدل الذي كسرته وأعطاه للأخرى(١).

ففي هذا الأسلوب في المعالجة، نجد النبي ﷺ، يحتمل ذلك، ويضحك له، وفي نفس الوقت يقرر أنه أمر فطري «فقد غارت أمكم» ويحفظ الحقوق، لذلك يكلف عائشة رضي الله عنها أن تأتي بصحن بدل الذي كسرته، فإذا عبَّرت رضي الله عنها عما يجول

---

(١) انظر القصة في سنن النسائي كتاب معاشرة النساء باب الغيرة جـ٧/ ٧٠.

في صدرها من غَيْرَة فطرية لا تستطيع دفعها، فليس لها أن تؤذي غيرها، ولذلك غُرِّمت صحنا بصحن.

٢- التشديد في أمر الغِيبَة:

والحديث فيه تغليظ القول وشدة النكير على غِيبة الآخرين ولمزهم في صفاتهم، والغيبة كما فسرها النبي ﷺ عندما سئل ما الغيبة قال: «ذكرك اخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(١).

والإسلام يحافظ على كرامة المسلم فيحفظه في حضرته وفي غيبته، في حضرته بعدم تعييبه أو لمزه أو مخاطبته بما يكره أو سوء الظن به، وفي غيبته بعدم الخوض فيه بما يكره، وبلغ من تشديد الإسلام في الحفاظ على كرامة المسلم أن جعل غيبته، كأكل لحمه متيا قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ولقد أنزل الله سبحانه في هذه المعاني، من الحفاظ على كرامة المسلم، والتأدب معه غائبا وحاضراً سورة من القرآن هي سورة الحجرات، التي يُعتبر موضوعها الرئيس هو الأدب الاجتماعي الذي ينبغي أن يتأدب به المسلم.(٢)

٣- ذم التعييب بالخِلْقَة:

وفي الحديث ذم التعييب بالأمور الخِلْقية، وهذا لأن التعييب بها اعتراض على خَلْق الله سبحانه، إذ هو الذي خَلَق الطويل طويلا، والقصير قصيراً، والأعمى والمبصر،

(١) أخرجه مسلم،جـ٤/ ٢٠٠١ البر، باب تحريم الغيبة حديث ٢٥٨٩، والترمذي جـ٤/ ٣٢٩ في البر ـ باب في الغيبة حديث ١٩٣٤ وأبو داود في حـ٥/ ١٩١، الأدب ـ باب في الغيبة حديث ٤٨٧٤ وهذا لفظ أبي داود.

(٢) انظر مقدمة تفسير سورة الحجرات من كتاب في ظلال القرآن ـ لسيد قطب حـ٢٦/ ١٢٣.

والسوي والأعرج. . وغير ذلك فمن الأدب مع الله عز وجل أن لا نخوض فيما خَلَق بالانكار والتعييب، بل بإدراك حكمته فيما خَلَق، وأن نشكر الله سبحانه على ما أنعم علينا من النعم دائماً، وبشكل خاص عندما نرى إنسانا مبتلى، ومن هنا علمنا النبي ﷺ أن نقول إذا رأينا إنسانا مبتلى «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به»(١).

ثم إن الانسان لا يُعيَّب بأمر لا يملكه، كما أنه لا يفاخر بما لا جهد له فيه؛ فيعاب في الإنسان أخلاقه الذميمة وعاداته السيئة وسلوكه الفاسد، وبالمقابل يمدح الإنسان باخلاقه الحميدة وعاداته الحسنة وسلوكه الطيب، على أساس أن هذا من جهد الإنسان وكسبه، أما خِلْقته وما وهبه الله من الصفات والقدرات وما ورثه من مال أوجاه أو سلطان، فهذا كله ليس من جهده ولا من كسبه فلا يفاخر فيه الآخرين، ولا يذم الذين لم يقدّر الله لهم مما وهبه إياه سبحانه وتعالى.

ومن هنا فإن الإنسان الفاجر الفاسق المجاهر بالمعصية يضاعف عليه الإثم، إذ عليه إثم المعصية، وإثم المجاهرة، وهو عندئذ يفقد كرامته في عدم غيبته، وفي غيبته تحذير للناس من شره. وقد استثناه العلماء فيمن تجوز غيبتهم.(٢)

والإسلام وهو يحرم الغيبة إذ يصون أعراض الناس وحرماتهم، فهو في نفس الوقت يريد أن ينشغل المسلم بما ينفعه من عمل أو علم أو عبادة، ولا يضيّع وقته في الخوض في الآخرين وفي القيل والقال.

والإسلام في نفس الوقت يجعل الكلمة مسؤولة فلا يُلقي المسلم الكلام على عواهنه.

دون مراعاة لحقوق العباد وحرماتهم ولا مراعاة للقاء الله وحسابه.

---

(١) جامع الترمذي جـ٥/٤٩٣ الدعوات باب ما يقول إذا رأى متلى حديث ٣٤٣،وابن ماجة جـ ٢/١٢٨١ كتاب الدعاء ب٢٢، رقم ٣٨٩٢ .

(٢) انظر كلام النووي فيما نقله اللكنوي في كتاب الرفع والتكميل في الجرح والتعديل في مقدماته الأولى. وما يروى من قولهم «لا غيبة لفاسق، لا يصح كحديث، وقد روى من طرق جيدة من كلام التابعي الحسن البصري نحوه ومن كلام سفيان بن عيينة، والعلماء يفرقون بين الفاسق المجاهر وبين غير المجاهر. انظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٢٤١-٢٤٢.

٤- أمن النفس وأمن المجتمع:

وعندما يراعي أفراد المجتمع الإسلامي هذه المعاني، فإنه يسوده جو من الألفة والمحبة والتعاون والثقة، فيتحقق الأمن النفسي والأمن الاجتماعي في المجتمع المسلم. هذا الأمن الذي تعجز كل الوسائل والأجهزة أن تقيمه في النفس والمجتمع. وهذا الجانب من الأمن أهم من كل جوانب الأمن الأخرى، بل الجوانب الأخرى أثر من آثار هذا الجانب. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- مسؤولية الكلمة وخطورتها واننا مآخذون على ما نتكلم به.

٢- حرمة المؤمنين في غيبتهم.

٣- الغيرة بين الناس وبين النساء خصوصا أمر فطري لكن لا يجوز أن يتجاوز حدود الشرع ويتعدى على حرمات الناس.

٤- خطورة الغيبة والتغليظ في ذمها وتحريمها.

٥- ما كان عليه النبي ﷺ من خلق رفيع وأنه القدوة للمسلمين.

٦- مسؤولية الزوج والأب والمعلم وكل راع في وعظ رعيته ومنعهم من إتيان ما حرم الله.

الحديث السابع:

الحداد على الزوج والقريب

عن حميد بن نافع قال: أخبرتني زينب بنت أبي سلمة بهذه الأحاديث الثلاثة: **قالت:**

دخلت على أم حبيبة زوج النبي حين توفي أبو سفيان بن حرب، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة وخَلُوق أو غيره، فدهنت به جارية ثم مستها بعارضيها ثم قالت: والله ما بي بالطيب من حاجة؛ إني سمعت رسول الله يقول: **«لا يحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على مَيِّت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا»**.

قالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدَعتْ بطيب فمست منه ثم قالت: «أما والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر... الحديث» أو ذكرت نحوه.

وقالت: سمعت أمي أم سلمة تقول: جاءت امرأة إلى النبي فقالت: إن ابنتي توفي عنها زوجها، وقد اشتكت عينها، أَفَنَكْحُلُهَا؟ فقال: «لا»، مرتين أو ثلاثا، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشرا، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول».

قالت زينب: كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها دخلت حِفْشاً ولبست شر ثيابها حتى تمر عليها سنة، ثم تؤتى بحيوان، حمار أو شاة أو طير، فتفتض به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج، فتعطى بعرة، ثم ترمي بها، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره. قال مالك: تمسح به جلدها.

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث بهذه الرواية خرجه البخاري والترمذي في جامعه، وعبد الرزاق في مصنفه[١] وقد روي من طرق اخرى عند البخاري ومسلم واحمد وغيرهم.[٢]

ثانيا: مفردات الحديث:

الطيب: ما يُتَطيب به مما له رائحة طيبة من عطر وغيره.

الخَلُوق: طيب معروف مركب، يتخذ من الزعفران وغيره، وتغلب عليه الصفرة أو الحمرة وهو من طيب النساء قد ورد النهي عنه للرجال.[٣]

تُحِد: حَدّت المرأة على زوجها: إذا حزنت عليه، ولبست ثياب الحزن، وتركت: الزينة.[٤]

حِفْشاً: الحفش: البيت الصغير الذليل القريب السمك، سمي به لضيقة.[٥]

ثالثاً: في ظلال الحديث:

هذا الحديث النبوي أيضا من أحاديث الأحكام، وهو إذ يبين حكم عِدّة المرأة إذا توفي زوج او قريب، إلا أنه يتضمن كذلك صورة للمجتمع المسلم، والبيت المسلم، والمرأة المسلمة، في الإلتزام بأحكام الإسلام، والتقيد بسنة النبي ﷺ وهديه.

(١) صحيح البخاري- مع الفتح- ٩/ ٤٨٤ كتاب الطلاق باب ٤٥ ح رقم ٥٣٣٤ وما بعده و جامع الترمذي جـ٣/ ٤٩١-٤٩٢ كتاب الطلاق، باب رقم ١٨ ح رقم ١١٩٥-١١٩٧، كتاب الطلاق.

(٢) صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ جـ١/ ٤١٣ كتاب الحيض باب ١٢ ح ٣١٣ عن ام عطية. وصحيح مسلم ٢/ ١١٢٣، كتاب الطلاق باب رقم ح٥٨. وسند أحمد ٦/ ٣٧ وغيرها عن عائشة. وصحيح ابن حبان جـ٦/ ٤٢٦ ح ٤٢٨٧.

(٣) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧١.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٥٢.

(٥) المصدر السابق ١/ ٤٠٧.

أما عن أَحكام العِدَّة فقد بيّن القرآن عِدَّة المتوفى عنها زوجها بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وبينت السنة النبوية المطهرة في هذا الحديث وغيره أن عِدَّة المرأة إذا توفي أحد أقاربها ثلاثة أيام، وأن عدتها إذا توفي زوجها أربعة أشهر وعشر، وعلى هذا إجماع علماء الإسلام.

١- مقام الزوجية:

إن هذا الحديث بما يتضمنه من حكم الإحداد على الزوج وهو الإمتناع عن الزينة ودواعي الشهوة طوال فترة العِدَّة، إنما يدل على شأن الزواج العظيم، وعلى مكانة العلاقة التي ينشئها الزواج بين الزوجين مما يقتضي هذا الحُكْم، وإن كان لرابطة الزواج مكانتها عند الزوجين، لكن مقام الزوج وحقوقه تتجلى في هذا الحديث حيث تُحِدُ الزوجة ولا يُحِدُ الزوج.

وفي هذا الحُكم يبدو الوفاء وحفظ الحقوق للزوج المتوفى ولأهله فيما يبدو على المتوفى عنها زوجها من الحزن والابتعاد عن مظاهر الزينة طوال فترة العدة.

٢- نقاء الإنساب وطهارة الأرحام.

وفي هذا الحديث يبدو معنى آخر وهو أن في امتناع الزوجة عن الزواج طوال فترة العدة حرص على الأنساب وعدم اختلاطها والحرص على طهارة الأرحام وبرائتها من أن تختلط فيها الأنساب، فلعل هذه المرأة تكون حاملاً من زوجها المتوفى، فإذا تزوجت سيكون هذا الحمل وما يتتجه من ولد منسوبا للزوج الآخر الجديد، فيقع المحظور الذي يحرص الإسلام على عدم وقوعه، وبهذا المعنى ندرك بشكل أوفى لماذا تَعْتَد المرأة وتُحِدُ ولا يَعْتَد الرجل ولا يُحِدُ، إن الحزن والوفاء يمكن أن يكونا في القلب والسلوك فيما عدا الزواج، لكن الحفاظ على الأنساب لا يتحقق إلا بالامتناع عن الزواج، وهذا محله المرأة، فكان عليها أن تَعْتَد وعليها أن تُحِدَ، لما في الحِدَاد من إغلاق الباب أمام الشهوة، التي تدعو الى الزواج، زيادة على ما في ذلك من الحزن على فراق الزوج.

٣- صورة وضيئة من التزام نساء السلف بالإسلام:

وفي هذا الحديث تبدو هذه الصورة الوضيئة لنفر من نساء السلف في التزامهن بالإسلام، وهدي الإسلام، وسنة النبي ﷺ.

فهؤلاء ثلاثة من النساء: أم المؤمنين أم حبيبة يُتوفى أبوها، وزينب بنت جحش يتوفى أخوها[1]، وأمرأة ثالثة لم يُذكر اسمها يُتوفى عنها زوجها.

ثلاثتهن يلزمن الأمر النبوى، على ما فيهن من مصاب، وفقدان الأب أو الأخ أو الزوج شديد محزن للنفس، وهم أعز من يحرص عليهم ويمزن على فقدانهم، ومع ذلك يبدو الإلتزام الإسلام في ذلك.

أم حبية امرأة كبيرة، إذ توفي أبوها ـ أبو سفيان ـ عام ٣٦هـ، ومتوفى عنها زوجها النبي ﷺ قبل دواه أبيها بقرابة ربع قرن، لا تحتاج والحالة هذه الى الطيب والتزين، امكنها بعد مرور ثلاثة أيام من وفاة أبيها. تتطيب عن غير حاجة، إلا الإلتزام بالسنة، وقطع مدة الاحداد التزاما بما بين النبي ﷺ.

وكذلك كانت زينب بنت حجش، كبيرة، قد توفي عنها رسول الله ﷺ قبل وقاه أخيها بسنين، نبي كما قالت ليست بحاجة الى الطيب ـ وهو العطر لطيب ريحه ـ إلا الإلتزام بما أخبر به النبي ﷺ، من أن حداد المرأة ثلاثة أيام، إلا على زوج...

والمرأة الثالثة، لم يرد اسمها في الرواية، مريضة في عينيها، تحتاج إلى الكحل للعلاج لا للزينة، فيبين النبي ﷺ لامها عدم جواز ذلك، فتلتزم الأمر، وفي الحديث منقبة لامها، التي جاءت تراجع في أمر ابنتها، فعادت إليها بحكم النبي ﷺ.

(١) أورد ابن حجر تحقيقا حول أي أخوتها المتوفى، وورجح أن يكون عبد الله ٩/ ٤٨١.

إن المرأة بطبيعتها رقيقة المشاعر، قوية العاطفة، فتأثرها بفقد عزيز عليها يورثها حزنا وألماً شديدين، يفوق ما يجده الرجل، ومع ذلك يأمرها الإسلام أن تجعل لحزنها حدا، ولألمها حدا، فتلتزم بذلك، فتأتي أفعال الزينة والطيب التي تخالف أفعال الحزن والحداد، إنها بهذا تأتي منقبة عظيمة، وتبلغ درجة عالية في ميزان الله، فهي تواجه الحزن، وتواجهه على ما فيها من رقة وقوة عاطفة وشدة أنفعال..

٤- عمارة الحياة وقيمتها:

والإسلام وهو يقرر الأحكام التي توافق حاجات الفطرة من الحزن على العزيز المفارق أو الزوج المتوفى، لا يريد لهذه المشاعر أن تتجاوز حدها، وأن تأخذ أكثر من مساحتها. فكما أن الحزن ضرورة وحاجة، فإن عمارة الحياة واستمرارها ضرورة أكبر وحاجة أعظم، وسنة من سنن الله أحكم، فلا يجوز أن تُعطَّل الحياة لموت أحدٍ أيا كان، سواء أن نعطِّلها في حياة الفرد فيعيش محزونا متألما يائساً منقطعا عن الحياة، أو أن نعطِّلها في المجتمع بخسارة مجموعة من الناس الذين أصيبوا بفقدان أحد أقاربهم أو أحد الأزواج، فيحُرم المجتمع من نشاطهم وعطائهم، سواء أكانوا رجالا أم نساءً.

ولذلك كان حكم الإسلام حازماً ما في هذه المسألة، لتحرير النفس الإنسانية من الإستسلام لليأس والحزن، ولتحرير المجتمع من أن تُعطَّل بعض طاقاته عن المشاركة والعطاء والإنتاج، ثم لتحرير المجتمع من قَدْر من الأمراض النفسية والعقد النفسية التي تسوده إذا ما انتشرت مثل هذه السلبيات، وسادت الأحزان في قلوب وبيوت جماعات من الناس، لا سيما وإن ظاهرة الموت، لا يخلو منها بيت[1].

(١) يروى أن امرأة توفي لها ولد فحزنت عليه حزنا شديدا، وجاءت لحكيم تطلب منه أن يعيد لها ولدها، فقال لها أحضري قدرا من بيت لم يمت فيه أحد، فذهبت تبحث، فكلما سألت بيتا قالوا لها قد مات أحد، فلما لم تجد، فهمت المعنى الذي أراده الحكيم، فعادت الى بيتها وصبرت على فقيدها.

٥- سُنَّة الحياة والموت:

إن الله سبحانه خلق الموت وخلق الحياة، هذا في الدنيا، لتحقيق ابتلاء هذا الإنسان وفحصه واختباره أيُحسن في حياته أم يُسيء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

ونظرة المسلم للموت تنبثق من تصوره عن الحياة، فالحياة في التصور الإسلامي ليست مقصورة على الحياة الدنيا، وإنما مستمرة لحياة البرزخ في القبر ثم الى الحياة الأخرى الخالدة المستمرة، ومن هنا فإن الموت في حس المسلم وعقيدته أقل خطراً مما هو عند الآخرين الذين يعتبرون الحياة الدنيا نهاية المطاف، فإذا مات الإنسان فقد خسر كل شيء لأن الحياة الدنيا هي الجولة الأخيرة، فيكون الموت عند هؤلاء مخوفاً أكثر بكثير مما هو عند المسلم، ومن هنا وصف الله اليهود بأنهم يحرصون على أية حياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ولئن كان الإنسان يحزن لفراق عزيز يفتقده بالموت، إلا أن الحياة مستمره ولها قيمتها التي ينبغي أن تحقق، فلا يجوز أن يطغى الشعور بالحزن وألم الفراق على معنى الحياة وقيمتها وعمارتها.

٦-أخلاق الجاهلية ومفاسدها:

وفي هذا الحديث، يذّكر النبي ﷺ النساء المخاطبات، بما كان من أمر الجاهلية في معاملة المتوفى عنها زوجها، حيث كانت تحبس في مكان ضيق تنزوي فيه عن الناس، تلبس شر الثياب وتمكث سنة على هذا الحال، وبعد مرور سنة تمسح جسدها بحيوان، حمار أو كلب أو طائر، ثم تُعطى بعرة - وهي روث الإبل - فترميها، ثم تخرج بعد ذلك؟!!.

عجيب أمر الجاهلية. . .وعجيب أمر الناس في ظل الجاهلية. .أية جاهلية ما هذا التحكم، وما هذه العادات التافهة الفارغة، وكيف يُقِّر بها عقل أو يخضع لها مجتمع؟!.

هذه صورة عن جاهلية غابرة، لكنا ما زلنا نسمع عن رجل يمتنع عن الزواج مدى الحياة لفقده زوجته، بل لحرمانه من التزوج بفتاة يرغب في زواجها، ونسمع مثل هذا عن نساء وفتيات.

ولا زلنا نسمع عن امرأة تنتحر أو رجل ينتحر إذا مات زوج أحدهما أو اذا تعذر على أحدهما الزواج. من الآخر.

ولا زلنا نسمع عن امرأة تحرق نفسها إذا مات عنها زوجها، وهذا شائع في الهند إلى يومنا هذا، وتفلسف الجاهلية هذا السلوك وتبتدع له المررات!!.

إن الانسان لا بد له من نظام ينظم حياته وسلوكه يُعبرِّ من خلاله عن حاجاته واستعداداته فإن كان هذا من عند الله فهو الحق والخير والرشد، وإن كان من عند غير الله فهو الانحراف والتحكم والسفة، وهذا لون من أولانه يذكرنا به النبي ﷺ.

إن أَتباع الجاهلية يتحملون من الأعباء ويبذلون من الجهود والتكاليف، أضعاف أضعاف ما يتحمله المستقيمون على شرع الله وهدي رسوله، إنهم بحاجة الى جهود ضخمة وأموال عظيمة كي يصنعوا من آلهتم المُدّعاة ما يملأ الفراغ الذي يحدثه كفرهم بالله عز وجل. .[1].

والجاهلية التي تجعل من شرف المرأة وجمالها سلعة تتاجر بها، بل وسيلة لترويج السلع. حتى صارت صورة المرأة على كل سلعة، وتجعل من المهن والأعمال التي تمارسها المرأة وتفضَل فيها على الرجال كالمضيفات في الفنادق والمطاعم والطائرات. . .ومما يمارس من انحرافات في السهرات والحفلات باسم الفن والجمال

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ٨/ ٢٠٠ وما بعدها،طريق الدعوة في ظلال القرآن ص٣٤.

هذه الجاهلية تبرر هذا الخناكله وتعمل على جعله عرفا للمجتمع... وفي سبيل ذلك تهدر الملايين على وسائل الإعلام والتبرج والتعري وأدوات الزينة والأزياء... في الوقت الذي يموت الملايين جوعاً في ظل الجاهلية إياها ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٦].

والجاهلية هي الجاهلية، تعددت الأسماء والاشكال، والجاهلية، واحدة، يعاني الإنسان في ظلها ما يعاني، ضريبة لإنحرافه عن منهج الله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

٧-المرأة في الإسلام:

واذا كان هذا الحديث النبوي يبين حكم حالة محدودة من الأحكام المتعلقة بالمرأة وبعض جوانب الحياة الزوجية ومتعلقاتها، إلا أنه يفتح لنا نافذه نطل من خلالها إلى نظرة الإسلام للمرأة ومكانتها في التصور الإسلامي.

لقد كانت المرأة تعامل في حالة وفاة الزوج في ظل الجاهلية بما عرفناه من خلال هذا الحديث الشريف، وكانت المرأة ساكتة خاضعة لهذه الأحكام الجائرة، ما رفعت في ردها أو تعديلها رأساً ولا صوتا، فيجيء الاسلام، رسالة الله لتحرير العباد، تنزل بهذه الأحكام، هدية من الله ورحمة ولطفا بالمرأة، من غير مطالبة منها، بل ربما من غير تفكير منها في حريتها وحقوقها[١].

وهذا مفرق الطريق بين شريعة الله وشرائع البشر الوضعية، فالحق في شريعة الله أصيل قديم مجرد فالله هو الحق، وهو بالتالي لا يأتي بناء على ظروف وحاجات ومطالبات، فان عجز أصحاب الحق عن المطالبة به، أو لم تمكنهم الظروف الجاهلة من معرفته والوصول اليه فلا يضيع، لأنه ثابت وأصيل وقديم.

---

(١) انظر: محمد قطب، جاهلية القرن العشرين.

وانظر في حقوق المرأة بين الاسلام والانظمة الأخرى د.مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون.

أما في شرائع البشر الوضعية، فالحق نسبي، تقرره ظروف أصحابه وقوتهم ووعيهم، فإذا غفلت المرأة عن حقها فإنها توظف بنصف أجر الرجل ولا ترث لأن الميراث للذكر الأكبر من الأولاد، فإذا انتبهت المرأة، وعضتها الحاجة بأسنانها فقامت تمارس الاضرابات والاعتصامات، وتؤسس الأحزاب والجميعات تطالب بإنصافها وحقوقها المهضومة، تأت التشريعات الغربية ببعض الحقوق للمرأة، ثم تأخذ المرأة الغربية بالإفتخار بما أنجزت من حقوق، وتأخذ النظم الغربية الوضعية تتباهى بحقوق المرأة ومساواتها بالرجال. . . وهي نفسها التي حرمتها طويلا من هذه الحقوق!.

ولا تزال المرأة الغربية المفتونة بما نالت من حقوق والانظمة الغربية المفتونة بما تدعيه من ديموقراطية ومساواة، ما تزال الى يومنا هذا لا تورث المرأة!.

٨- تميز المرأة المسلمة:

ومن هنا فإن المرأة المسلمة متميزة باحتكامها للشرع، وعدم خضوعها للأهواء، أو استسلامها للحظات الضعف، وعدم انقيادها لأعراف المجتمع لأنها أعراف للمجتمع، وإنما هي مَعْلَم على الإلتزام بإسلامها، ولها شخصيتها التي تواجه لحظات الضعف وهوى النفس وضعفها، وضغط المجتمع بأعرافه وعاداته.

والمرأة المسلمة اليوم مدعوة أكثر من أي وقت آخر لإظهار أحكام الإسلام وتطبيق سننه فإن إحياء هذه السنن والأحكام الشرعية في هذا الزمن الذي ابتعد فيه الناس عنها من أوجب الواجبات ومن الجهاد في سبيل الله.

ولئن كانت المرأة الجاهلية تمضي في جاهليتها تمارس باطلها وتدعو إليه، فمن للإسلام يا نساء الإسلام، أين التي تسن السنة الحسنة في مجتمعها باتباع سنة النبي ﷺ فلها أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة.

وإياك أختاه من أن تكوني ممن يمارسن السنة السيئة فتقتدي بها النساء فيكون عليها وزرها ووزر من عملت بها إلى يوم القيامة.

«من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيء ومن سنن في الاسلام سنة سئية كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

فإلى إحياء سنن الاسلام، وإعلاء رايته من جديد، أختاه أيتها الأمل كونى طليعة الهدى ورافعه لواء السنة، وحفيدة لسلفك من المؤمنات الرائدات على طريق الإسلام العظيم.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- نظرة الاسلام للحياة والموت، وأن الحياة لا تتوقف لموت أحد.

٢- مكانة الزوج وعظيم قدْره، واحترام المرأة المسلمة لرابطة الزوجية.

٣- احترام الروابط والعلاقات الإجتماعية والمشاعر النفسية.

٤- الحفاظ على نقاء الأنساب وسلامة النسل.

٥- الإلتزام بالشرع عند الرعيل الأول.

٦- فساد أخلاق الجاهلية وأعرافها وفضل الإسلام في تحرير البشرية منها.

---

(١) رواه الامام مسلم في صحيحه ـ واللفظ له ـ كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة. ٢/ ٧٠٤ ح٦٩، وكتاب العلم/ باب من سنن سنة حسنة أو سيئة. ٤/ ٢٠٥٩ ح ١٥ ورواه النسائي في سننه كتاب الزكاة/ باب التحريض على الصدقة ٥/ ٧٥ ح ٢٥٥٤ ورواه ابن ماجة في سننه كتاب المقدمة/ باب من سن حسنة أو سيئة ١/ ٧٤ ح ٢٠٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. =

تاسعاً: في الطفولة.

١ - أحب الاسماء إلى الله.

٢ - العاب الأطفال.

٣- لا يجوز الكذب على الأطفال.

٤- البنات حجاب من النار.

٥- الخالة بمنزلة الأم.

الحديث الأول:

أَحَبُ الأسماءِ إلى الله

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبَّ أسمائِكم إلى الله: عبدُ الله وعبدُ الرحمٰن**».

أولاً: تخريج الحديث:

هٰذا الحديث رواه الإمام مسلم من حديث ابن عمر ورواه الترمذي كذٰلك.

ورواه الإمام أحمد بزيادة «وأصدقُها الهمام والحارث، واقبحُها حرب ومرةُ»(١).

ثانياً: في ظلال الحديث:

١- الإسم عنوان صاحبه:

الأسماء هي عناوين الأشياء، التي تعرف بها خصائص الأشياء، ومن هنا كانت العرب تقول «لكل شيء من اسمه نصيب» تعبيراً عن العلاقة بين الإسم والمسُمى، ودلالة الإسم على المسمى من وجه من الوجوه.

والإسلام الذي نظمَّ كل جوانب الحياة، وأصلح كل شأن من شئون الناس، يهتم بالأسماء وحسن اختيارها، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الحث على أحسن الأسماء والنهي عن سيئها، وتغيير الأسماء السيئة واستبدالها بأسماء حسنة.

٢- عبد الله وعبد الرحمٰن:

وهٰذا الحديث يخبرنا أن أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن. وذٰلك لما يتضمنا من اسمين عظيمين لله تعالى، مما اختص بهما الله سبحانه وهما الاسم الأعظم

(١) صحيح مسلم ج٣/١٦٨٢ كتاب الأدب باب ١ ح رقم ٢ وجامع الترمذي ١٣٣/٥، كتاب الأدب، باب ما يستحب من الأسماء ح رقم ٢٨٣٤ ومسند أحمد ٣٤٥/٤.

«الله» و«الرحمٰن» فالاسم الذي يُذَكِّر بهٰذين الاسمين لله عز وجل، له شأنه في ميزان الله ولذٰلك كان هٰذان الإسمان أحبَ الأسماء إلى الله تعالى.

ولَمّا كان الاسم ملازماً لصاحبه، ويتردد ذكره على سمع صاحبه فإنه يطبع صاحبه في الغالب بالمعنى الذي يتضمنه الإسم، أو على الأقل يجعله يحب بهٰذا الاسم من الفضلاء كالصحابة وغيرهم؛ فكأنما يضع الاسم لصاحبه أُنموذجاً من العلماء يقتدي بهم.

وقد ورد في بعض روايات الحديث: «وأصدقها الهمام والحارث» وهذان الإسمان وصفا بالصدق لأن الهمام دائم الهمة بالعمل والسعي، غير كسلان ولا متردد، وإنما صاحب هم وهمة. وكذلك الحارث لما فيه من معنى العمل والعمل النافع الذي يبشر بالخير وهو الزراعة لما فيه من بركة السماء وعطاء الله عز وجل.

٣- إحسان التسمية:

وبهٰذاالمعنى نفهم لماذا كان النبي ﷺ يغير الأسماء النافرة المثيرة، الداعية إلى الفساد والشر، بأسماء طيبة تدعو إلى الفضيلة وتذكِّر بالآخرة.

وإذا كان للاسم معناه وله دلالته وأثره على صاحبه فينبغي أن نبتعد عن الأسماء القبيحة التي تحمل معنا سيئا وعن الأسماء التي لا تحمل معنا ولا دلالة، وأن نختار الأسماء التي تحمل معاني الفضيلة والخير لتحث عليه والتي تُذَكِّر بقدوة من السلف له أعماله الصالحات لتدعو المسلم إلى الاقتداء به وجعله المثل الأعلى له.

فإذا سمَّينا الولد عبد الله أو عبد الرحمٰن أو مثل ذٰلك من الأسماء، فإننا نذكره بإيمانه بالله وصلته مع الله وانتسابه إلى الله مما سيكون له أثر كبير على تربيته وسلوكه، ويحسن مع ذٰلك أن نبين له لماذا اخترنا له هٰذا الإسم وما معناه ودلالته، ليفطن إلى ذٰلك، ويعيش هٰذا المعنى.

وإذا سمينا الفتاة خديجة أو عائشة أو فاطمة أو سمية أو نسيبة أو الخنساء، وكنيناها بكنى هٰؤلاء الصالحات المؤمنات المجاهدات فإننا بهٰذا كله نجعل للولد أو البنت قدوة عليا ومثلاً أعلى يقتدي به، وكأنه كلما نودي باسمه تذكر مَنْ ينبغي أن يكون، وبمَنْ ينبغي أن يقتدي.

وفي هٰذه المعاني التي نتعلمها في ظلال هٰذا الحديث النبوي نُذَكِّر الذين يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، كمظهر من مظاهر التغريب، وإدعّاء الرقي الذي هو في الحقيقة تعبير عن الخواء في قلوبهم وعن الهزيمة النفسية التي تحياها نفوسهم.

ما القيم والمعاني التي نريد ان نغرسها في نفوس أبنائنا وبناتنا في هذه الحالة، انجعلهم يتشبهون ويقتدون بالاعداء الذين فعلوا بنا وبأوطاننا الأفاعيل.. هل يستحق هؤلاء أن نتشبه بهم، وكل مآسينا من فعل أياديهم ومكائدهم.

٤- تميز المسلمين:

إن الإسلام يريد لنا أن نكون أمة متميزة مستقلة، لها هويتها وشخصيتها المستمدة من دينها وتراثها وحضارتها وتاريخها في ماضيها وحاضرها، تعتز بذٰلك وتفاخر، وتحرص على إظهاره في العالمين.

فالأسماء ليست ترفاً أو كلمات بلا مدلول، وإنما هي تعبير عن ثقافة الأمة وشخصيتها وهي شارة من شاراتها التي تميزها وتؤكد استقلالها وكيانها.

ولقد مَنَّ الله سبحانه على الإنسان وأسجد له ملائكته وفضَّله عليهم بأمور منها القدرة على إطلاق الأسماء على الأشياء، الأسماء التي تترجم معاني الأشياء وتعرف بها فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

وبمناسبة حديثنا عن الأسماء ننبه إلى أن ما يشاع بين الناس من أن أحب الأسماء ما حمّد وعبّد هٰذا ليس بحديث ولا أصل له في الإسلام.

وقد ورد في وقت التسمية روايات كثيرة بعضها تحدد وقت الولادة وبعضها في اليوم الثالث وبعضها في اليوم السابع مع عقيقته(١).

ومع إحسان التسمية ينبغي إحسان الكنية ويجوز أن يكنى الطفل وهو صغير كما يجوز أن يكنّى من لا ولد له أو قبل أن يولد له.

٥- النهي عن أسماء معينة:

وكما ورد في السنة حسن التسمية فقد ورد النهي عن أسماء بعينها: منها كل اسم يُعبَّد لغير الله تعالى كعبد العزى وما شابه ذٰلك.

كما ورد في صحيح مسلم من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ: «**لا تسمينَّ غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجاحاً ولا أفلح، فإنكَ تقول أثَمَّ هو؟ فلا يكون فيقول: لا. إنما هن أربع لا تزيدنَّ علي**»(٢).

ومنها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «**إن أخنع اسم عند الله رجل يُسمَّىٰ ملك الملوك**»(٣).

قال ابن القيم: «وكذٰلك تحرم التسمية بسيد الناس، وسيد الكل، كما يحرم سيد ولد آدم، فإن هٰذا ليس لأحد إلا لرسول الله ﷺ وحده»(٤).

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود ص٨٢ وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم، ج٣/ ١٦٨٥ -كتاب الأدب- باب ٢ ح رقم ١١، ١٢

(٣) صحيح البخاري -مع الفتح- ١٠/ ٥٨٨ كتاب الأدب باب ١١٤ ح رقم ٦٢٠٥.
صحيح مسلم ٣/ ١٦٨٨ كتاب الأدب باب ٤، ح رقم ٢٠، ٢١.

(٤) تحفة المودود ص٩١.

وكان النبي ﷺ يُغَيِّر الأسماء القبيحة أو الأسماء التي تحمل معنى الشر[١] فقد غير اسم عاصية إلى جميلة والصرم إلى سعيد، وغراب إلى مسلم، وشهاب إلى هشام، والعاص إلى مطيع.

وهٰذا نوع من الفأل الحسن والتمني الجميل وحسن المنطق والقول، ففيه منفعة ودفع لشر فقد قال عليه الصلاة والسلام «البلاء موكل بالقول»[٢] وقد كان أبو بكر الصديق يتمثل بهٰذا البيت:

احذر لسانك أن تقول فتبتلي ... إن البلاء موكل بالمنطق

وفي هٰذا المعنى ما رواه الشعبي قال: جاء رجل من جهينة إلى عمر بن الخطاب فقال: ما اسمك؟ قال: شهاب. قال: ابن من؟ قال: ابن جمرة. قال: ابن من؟ قال: ابن ضرام. قال: فمن من؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك قال: بحرة النار. قال: ويْحَك! أدرك أهلك ومنزلك، فقد أحرَقْتَهم. قال: فأتاهم، فألفاهم قد احترق عامتهم»[٣].

ومن ذٰلك أن النبي ﷺ قال لجماعة من الناس: «من يوسق لنا ابلنا فتقدم أكثر من رجل يسأل كلاً عن اسمه ثم يقول له اجلس حتى قال أحدهم اسمي ناجية فقال له: النبي ﷺ «انت لها فسقها»[٤].

ثالثاً: من أحكام الحديث:

١- إن للأسماء قيمتها وأهميتها لما لها من معان ودلالات.

٢- إن الأسماء متفاوتة في فضلها وأهميتها.

٣- إن أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن.

٤- الإسلام ينظم كل شؤون الحياة وحاجات الناس، ما ترك شيئاً إلا بينه حتى الأسماء.

---

(١) المصدر السابق ص١٠٢ وما بعدها.
(٢) البخاري، الأدب المفرد ص٢١٠ - ٢١١.
(٣) تحفة المودود ص٩٦.
(٤) البخاري، الأدب المفرد ص٢٠٨.

الحديث الثاني:

العاب الأطفال ورفق النبي ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنتُ ألعبُ بالبَنات عند رسول الله، وكانت تأتيني صواحبي، فينقمعْنَ من رسول الله، وكان يُسَرِّبُهن إليّ فيلْعبن معي».

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد، من حديث عائشة رضي الله عنها، كلهم من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، مع اختلاف يسير في الألفاظ، والمعنى واحد.(١)

ثانيا: ألفاظ الحديث:

كنت ألعب بالبنات: أي بالدمى أو اللُّعب، وكانت تصنع اللعب من القماش للصغار يلعبن بهن.

فينقمعن من رسول الله: أي يتغيبن ويختفين حياء منه إذا دخل عليهن.

وكان يسربهن إليّ: أي يرسلهن ويدخلن إليّ للعب معي.

وقال ابن حجر: أَصله من قمع الثمرة اي يدخلن في الستر كما يدخلن التمرة في قمعها.(٢)

---

(١) صحيح البخاري ـ بالفتح ـ ١٠/٥٢٦ الأدب ـ باب الانبساط الى الناس حديث رقم ٦١٣٠ صحيح مسلم ٤/١٨٩٠ فضائل الصحابة ـ فضائل عائشة حديث رقم ٢٤٤٠ وسنن أبي داود ٥/٢٢٦ الادب ـ باب في اللعب بالبنات رقم الحديث ٤٩٣١ وسنن النسائي ٦/١٣١ النكاح ـ باب البناء بابنة تسع رقم ٣٣٧٨ وسنن ابن ماجه ٢/٦٣٧ النكاح ـ حسن معاشرة النساء حديث رقم ١٩٨٢ ومسند الامام أحمد حـ٦/ص٥٧، ٢٣٤، ١٦٦، ٢٣٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري حـ ١٠/٥٢٧.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- حسن المعاشرة:

في هذا الحديث بيان لما كان عليه النبي ﷺ من انبساط الى الناس وملاطفة لأهله، كما ترجم له الإمام البخاري في صحيحه، فهو يسمح لعائشة أن تلعب، ولا يَضَيقُ ذرعا بلعبها ولا بصاحباتها، بل يرسل صاحبتها الى اللعب معها إذا هن استترن واختفين عند رؤيتهن للنبي ﷺ.

إنه لخلق عظيم، ورفق كريم مع الناس، ومع زوجته عليه الصلاة والسلام، وفيه من حسن المعاشرة للزوجة والرفق بها مافيه، وحسن المعاشرة للزوجة وملاطفتها والرفق بها أساس العلاقة الزوجية الكريمة، التي تحقق السَّكَن في جو الأسرة.

وقد ورد الكثير من الأحاديث في هذه المعاني عن الرسول ﷺ:

كقوله عليه الصلاة والسلام: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(١).

وكان النبي ﷺ على ما هو عليه من الجد، وعظيم المسؤولية، والجهاد والدعوة، وبناء المجتمع وقيادة الدولة، كان مع كل هذا يجد فسحة في وقته ونفسه لملاطفة أهله والرفق بنسائه، فكان يتسابق مع عائشة فكانت تسبقه وهي صغيرة، ثم كان يسبقها لما كبرت وكثر عليها اللحم والسمنة، ويقول لها: «هذه بتلك».(٢)

وكان يقف أمامها يسترها وهي تنظر الى الحبشة يلعبون بالسيوف داخل المسجد(٣) وغير هذا كثير.(٣)

---

(١) أخرجه الترمذي انظر جامع الترمذي دار الكتب العلمية ط/١. ١٩٨٧ ٥/ ٦٦٦ رقم الحديث ٣٨٩٥. وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري ما أقل من رواه عن الشوري.

(٢) سنن ابي داود حـ٣/ ٦٦ كتاب الجهاد باب ٦٨ ح رقم ٢٥٧٨ ومسند احمد ٦/ ٢٦٤.

(٣) صحيح البخاري - مع الفتح - ١/ ٥٤٩ كتاب الصلاة باب ٦٩ح رقم ٤٥٤.

نقول هذا لرجال اليوم، الذين إذا ما شغل الواحد منهم ببعض المشاغل البسيطة، يعود الى بيته متوتر الأعصاب، مقطِّب الجبين، لا يُطيق أن يكلمه أحد، وهو إن ظن أنه بهذا السلوك يُهوِّن عن نفسه، ويجعل مَنْ في البيت من الزوجة والأولاد يشعرون معه، إن ظن هذا فهو مخطىء لأنه بذلك يجعل التوتر يصيب مَنْ حوله، حتى يصير سمة الحياة في هذا البيت.

إن الرجل ـ على الرغم من كل المشاق التي يعانيها ـ يملك أن يجعل في حياته فسحة ورفقاً وجمالاً، إذا ما أدخل السرور على أهله، بالابتسامة والرفق، ويزداد سروره ويتأكد أذا رأى مَنْ حوله مسرورين.

لكن هذا لا يعفي المرأة من أن تعين زوجها على تحمل مشاق الحياة، بما تهيئه في بيتها من راحة وسكينة وهدوء وجمال، ولتحذر من الإكثار من التبرم والشكوى مما تعانيه في البيت من أعمالها ومن أولادها، فتزيد هموم الرجل وتوتره فتشقى وتُشقي مَنْ حولها، وإذا كان لابد من ذلك فلنحسن اختيار الوقت المناسب لذلك.

وهذا اللعب من عائشة رضي الله عنها، كان وهي صغيرة ومعلوم أن النبي ﷺ بنى بها وهي بنت تسع سنين، وقد أورد الإمام النسائي هذا الحديث تحت ترجمة تحمل هذا المعنى، وجمع في لفظ الحديث بين زواجها وهي بنت تسع، وبين لعبها بالبنات، وهذه الرواية تدل على أن هٰذا اللعب إنما كان في الصغر ولفظ رواية الإمام النسائي: قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست ودخل علي وأنا بنت تسع سنين، وكنت ألعب بالبنات»[1].

---

(١) سنن النسائي ٦/ ١٣١ كتاب النكاح ـ باب البناء بابنة تسع حديث رقم: ٣٣٧٨ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٢-اللعب بالدُمىٰ للأطفال:

وفي هذا معنى تربوي إذ الصغار بحاجة إلى اللعب، ثم إن هذا اللون من اللعب يُنمي عند البنت روح الأمومة، ومعاني فطرتها كأم وزوجة، ومن هنا فإن الألعاب التي هي صور ودُمىٰ لأحياء أجازها الإسلام في هذا المقام، ويقاس عليها ما فيه تربية وصلاح قال القاضي عياض:

«فيه جواز اللعب بهن، وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن. . .»[1].

وإذا كان الإسلام قد حرَّم التصاوير والتماثيل، فإنه في هذا المقام يبيحها كرخصة خاصة، عناية منه بالأطفال، واهتماما بوسائل تربيتهم وتنمية مهاراتهم وقدراتهم.

ولذلك فإن جمهور العلماء يبيحون الدمى والتماثيل للأطفال، ويبيحون بيعها وشراءها إذا كانت لُعَبا يلعب بها الأطفال، وهم متفقون على حرمة التماثيل في غير هذا الميدان.

هكذا فهم جمهور العلماء هذا الحديث، وبعض العلماء حمله على النسخ، أي أن هذا كان قبل تحريم التماثيل والتصاوير، لكن رأي الجمهور أقوى وأحرى بالصواب.

قال القاضي عياض:

«ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن، وقالت طائفة: هو منسوخ بالنهى عن الصور»[2] قال الخطابي:[3]

«في هذا الحديث أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد، وإنما ارخص لعائشة لانها إذ ذاك كانت غير بالغ».

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ٢٠٤.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) فتح الباري ١٠/ ٥٢٧ .

وبعضهم حمل هذا الحديث على أن المراد بقولها: «ألعبُ بالبنات» أي مع البنات أي صاحباتها من الآدميات وهذا بعيد جدا، وقد وردت روايات تصرح بأنها كانت تلعب باللُعب. وبعضهم حمل ذلك على أَلعاب ليست كالتماثيل والأصنام، وكل هذا تكلف في محاولة للجمع بين هذا الحديث والأحاديث التي جاءت تحرِّم التصاوير والتماثيل.

وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت:

قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سَهْواتها سِتْر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنَات لعائشة لُعَب، فقال: «ما هٰذا يا عائشة؟» قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً لها جناحان من رقاع، فقال: «ما هٰذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس. قال: «وما هٰذا الذي عليه؟» قالت جناحان. قال: «فرس له جناحان؟» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها اجنحة؟ قالت فضحك حتى رأيت نواجذه»[(١)] وهذا صريح في أن المراد باللُعب الدمى لا صاحباتها من الجواري الآدميات، وأن هذه الدمى كانت على شكل التماثيل للاحياء. وقد أورد ذلك الحافظ ابن حجر، ورجح أن يكون ذلك بعد خيبر، لان عائشة إذ ذاك لم تكن بالغة، اما بعد تبوك فقد بلغت رضي الله عنها.[(٢)]

ويستفاد من هذا الحديث جواز الزواج بالصغيرات قبل البلوغ، وإن كانت قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الاسلامي اليوم لا تجيز ذلك، فإنما هذا من باب رعاية مصالح الناس لما يحدث في كثير من الأحيان من ممارسات خاطئة.

وفي الحديث أن الزوجة الصغيرة بحاجة الى مزيد رعاية وتربية، مراعاة لظرفها واشباعاً لحاجاتها، حتى يكتمل نموها في كل الجوانب وتتكامل شخصيتها، فلا توضع في حياة أكبر منها، ولا في ظروف أصعب من قدراتها دونما رعاية لها وصبر عليها، وتلطف معها، فتضيق أمامها الحياة، وتنظر إليها بعين اليأس والضجر.

---

(١) سنن أبي داود ٥/٢٢٧ الأدب ـ اللعب بالبنات حديث رقم ٤٩٣٢. والنسائي في السنن الكبرى كذا في تحفة الاشراف ١٢/٣٥٨ رقم ١٧٧٤٢.

(٢) فتح الباري ١٠/٢٢٧.

وفيه أيضا الرفق بالصغار عموما، فقد كان النبي ﷺ يرسل صواحب عائشة اليها، إذا هن اختفين عند دخوله الى البيت، وفي هذا رفق بها ورفق بصاحباتها، واستيعاب لحاجاتهن والمرحلة التربوية التي هن فيها.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- جواز اتخاذ التماثيل لُعَباً للصغار وهذه رخصة لهم لأنها وسيلة تربوية وتعليمية، يستعان بها على تقريب العديد من المعاني إلى نفوس الأطفال.

٢- إن في الإسلام فسحة للعب للصغار وللتمتع بالحلال والترويح عن النفس بالمباح.

٣- ما كان عليه النبي ﷺ من رفق مع أزواجه وحرص على إدخال السرور الى نفوسهن وهكذا ينبغي أن يكون كل زوج وكل أب.

٤- ما كان عليه النبي ﷺ من رفق بالصغار واستيعاب لهم ولاهتماماتهم وهكذا يجب أن يكون الكبار ذكورا وإناثا مع الصغار.

٥- حاجة الطفل الى اللعب، ودور الألعاب في تربيته وإيصال المعاني إلى نفسه وفكره.

٦- أهمية الوسائل التعليمية، وضرورة استخدام المربين لها، وكذا الآباء والأمهات، لما لها من تأثير أكبر وأيسر من المعاني المجردة المباشرة.

٧- ضرورة اختيار الألعاب والوسائل التي تحمل المعاني الكريمة والتي تناسب مستوى نمو الطفل، والحذر من الوسائل التي تحمل معاني الشر والسوء، أو التي لا تناسب قدرات الطفل ومرحلة نموه.

٨- أهمية سؤال الطفل ومراقبته للتأكد من سلامة سلوكه وتربيته وأنه يستخدم ما يناسبه، ويستخدمه بشكل صحيح، وفي هذا المقام لابد من سؤال الطفل عن مدرسته ومعلمه، وماذا أخذ في المدرسة ومتابعة دروسه وأصدقائه، كما لابد من الحذر الشديد من أصدقاء السوء ومراقبة علاقاته، ومما ينبغي التوكيد عليه هنا ضرورة مراقبة برامج التلفزيون والفيديو والأشرطة والأذاعة التي يتابعها الطفل، وحسن اختياره لهذه البرامج، وحسن توجيهه معها خاصة وأن العديد منها لا يخلو من معاني لا تناسب عقيدتنا وثقافتنا.

فقد سأل النبي ﷺ عائشة عن ألعابها، وناقشها فيها، كما تقدم.

الحديث الثالث:

لا يجوز الكذب على الأطفال

عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوما ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله: «**ما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها: «**أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج هذا الحدث أبو داود في سننه والامام أحمد في المسند، من حديث عبدالله بن عامر، وفيه راو مجهول، وهو الذي رواه عن عبدالله بن عامر، لكنه تابعي، ومن موالي عبدالله بن عامر، فيستأنس بذلك.

ثانياً: مفردات الحديث:

دعتني أمي: نادتني.

تعال أعطك: تعال: اسم فعل بمعنى أقبل وأنا أعطيك.

كذبة: إما على وزن فَعْلَة للمرة أو على وزن فِعْلَة للهيئة. أي كتبت عليك كذبة واحدة، أو كتب عليك من نوع الكذب.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- تواضع النبي ﷺ مع أصحابه:

في هذا الحديث نرى خُلُقاً من أخلاق النبي ـ ﷺ ـ وهو التواضع وزيارة أصحابه، فلم يكن عليه الصلاة والسلام متكبرا ولا محجوبا عن أصحابه، وإنما كان يخالطهم ويعايشهم ويزورهم ويزورونه، فكان بهذه الصفة قدوة لأصحابه واسوة، وبهذه الصفة عرفه أصحابه حق المعرفة من خلال معاشيته لهم عليه الصلاة والسلام.

٢-العلاقات الإجتماعية في عهد النبوة:

وفي الحديث إشارة إلى بعض أشكال العلاقات الإجتماعية في العهد النبوي، فالمرأة قد تبدو للنبي عليه الصلاة والسلام وتحادثه ويحادثها، إذا زار بيتاً من بيوت أصحابه، مع ملاحظة ما قرر الإسلام من حشمة في اللباس، وعفة في الكلمات والحركات، وعليه فلو وقع شيء من ذلك يسير في مجتمعنا الحاضر، مع الستر والعفة فلا شيء في ذلك، لكن يطلب ألا تصبح هذه الحالة هي الأصل، وإنما في أضيق نطاق وللضرورة والحاجة، على أن تُؤمَن الإثارة والفتنة، فلا شيء في ذلك، وعلى هذا الأساس نفهم ما ورد من صور الإختلاط في زمن النبي ﷺ وعصر الصحابة. وما يزال شيء من هذا موجود في الريف والبادية، مع ملاحظة أحكام الإسلام في ذلك من عدم إتْباع النظرة النظرة، وعدم الخلوة، وعدم المصافحة واللمس، وعدم الفحش أو التخنث في القول.

أما صورة الإختلاط التي تشيع في الغرب بلا ضوابط، وما تسرب منها الى المجتمعات الإسلامية، فهذا ليس من الإسلام في شيء، وعبثا يحاول بعضهم أن يستدل لهذا الفجور، ببعض ما ورد في زمن النبوة.

٣- التعزيز في التربية:

وفي الحديث نقف على معنى تربوي هام، وهو التعزيز، فالصحابية تدعو ولدها ليأت وترغبه بالمجيء وتلبية ندائها بأن تكافئه وتثيبه بشيء تعطيه إياه فتعزز في نفسه معنى الطاعة، والنبي ﷺ يُقرّها على ذلك، لكنه يسأل ما إذا كانت ستعطيه فعلا أو أنها تحتال عليه بذلك ليأت وهي لا تريد أن تعطيه، فالسؤال يقر مبدأ الوعد بالثواب ويتحقق من مدى صحته، والطفل يفرح بالأعطية ويستجيب، ومن هنا فإن الوالدين بإمكانهما أن يوظفا ذلك لتربية الطفل وحسن توجيهه؛ مع ملاحظة ألا يصل الطفل إلى شيء من الإقتران بين أي استجابة والعطاء، فإن هذا يقلب الأمر الى عكسه، ولكن مرة ومرة.

ولا بد من التنبيه هنا إلى عدم المبالغة في الثواب أو التعزيز فلا نكافىء الطفل بشيء كبير نفيس على عمل بسيط، ويدخل في معنى التعزيز الكلمة ولمسة الحنان، وإظهار السرور والرضا من فعله.

٤-حرص النبي ﷺ على تعليم المسلمين:

في سؤال النبي ﷺ للصحابية عما تريد أن تعطي ولدها، بيان لما كان عليه النبي ﷺ من حرص على تربية أمته ونصحها، وحرص على بيان الحق، وتبليغ رسالة الله، فهو هنا يسمع وعدا من أم لابنها، ولّما كانت الأمهات قد تضطر إلى وعد أطفالها كذبا لكثرة مشاكل الصّغار، فلما كان هذا الامر ممكنا نجد النبي ﷺ يسأل.

وفي هذا أيضا أن العالِمَ والمُفتي والناصح والمربي، ينبغي أن يفهم القضية أولاً وأن يتثبت قبل أن يبادر الى الحكم أو الفتوى أو النصح.

٥- ذم الكذب وإن صَغُر:

ثم إن النبي ﷺ، بعد أن استوثق من حقيقة وعد هذه المرأة لابنها، وأنها صادقة فيما وعدته، وأنها تريد أن تعطيه تمرا، يستثمر النبي ﷺ هذه المناسبة ليبين حكماً من أحكام هذا الدين، وهو أن الكذب يشمل مثل هذه الحادثة، وأن الصغير منه لا يغفر، وأن الظروف إذا ألجأت الى شيىء منه فإنه لا يجوز، إلا وفق الضوابط الشرعية المقررة، مما سنبينه بعد قليل.

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله، واعيا يقظا يستثمر كل مناسبة ليدخل منها إلى دعوته وليبين للناس حكم الله، وفي قصة نبي الله يوسف الصديق عليه السلام مع صاحبيه في السجن مثال يدل على هذه المسألة، فهما يستفتيانه فيما رأى كل منهما في منامه وهو يبادر الى بيان دعوته، ويدعوهم الى الإيمان بالله، والإحتكام إلى أمره، وأخيراً يجيبهما على سؤاليهما[١].

(١) انظر الآيات ٣٦-٤٢ من سورة يوسف.

والكذب في اللغة مخالفة الواقع، بغض النظر عن المقاصد، أما في الشرع فهو قاصر على مخالفة الواقع عن قصد؛ أما من يخالف عن غير قصد، فهذا يسمى خطأ، وإذا اطلق عليه اسم الكذب فهو على المعنى اللغوي، أما في الشرع فهو الخطأ.

وقد ورد استخدام كلمة الكذب من الصحابة لبعضهم بمعنى الخطأ، كقول أبي هريرة لكعب الأخبار في حديث الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة «كذب كعب» فهذا بمعنى أخطأ، لا بمعنى الاتهام بالكذب بالمعنى الشرعي الإصطلاحي.[١]

والاسلام كما يبين هذا الحديث يهتم بتربية الناشئة أيما اهتمام، ويجعل كل سلوك معهم في دائرة التربية والتوجيه، فالطفل يُقلِّد والديه وأهل أسرته ومجتمعه، فإذا نشأ في جو يستسيغ الكذب ولو القليل منه، فإنه سيتأثر بذلك وينشأ عليه؛ وإذا كان الطفل يستمع لتوجيه والديه ونصحهما، فإنه يتلقى منهما من خلال ما يراه من سلوكهما أكثر من ذلك، ومن هنا فإن التربية بالقدوة أكثر أهمية من غيرها، لأنها تنطبع في نفس المتربي سلوكا وممارسة بخلاف الكلمة التي تحتاج إلى مؤثرات أخرى حتى تتحول في النفس إلى سلوك.

وكثير من الآباء والأمهات يخطؤن خطأ جسيماً في تربية أولادهم وهم يكذبون أمامهم من حيث لا يشعرون، في الوقت الذي يعلمون الاولاد ويوجهونهم بألسنتهم بألا يكذبوا، فالأب الذي يقول لولده أن يجيب طارق البيت أو السائل عنه بالهاتف بأنه غير موجود أو الأم التي تقول لولدها مثل ذلك، فانهما يعلمان الكذب سلوكا عملياً، في حين يعلمونه الصدق كلاما نظريا، فيضطرب الطفل أولا، ولا يستجيب لتوجيههم ثانياً.

وهذا الحديث صريح في النهي عما قل من الكذب، وما عظم فمن باب أولى، وقد قامت الأدلة القاطعة على تحريم الكذب.

---

(١) انظر الاستذكار ٢/ ٣٠٩. ولسان العرب: ١/٧٠٥.

قال العظيم أبادي:

«وفي الحديث أن ما يتفوه به الناس للأطفال عند البكاء مثلا بكلمات هزلاً أو كذباً بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب، كذا في اللمعات».(١)

والكذب حالة من الضعف النفسي والعجز الإجتماعي، لا يستطيع صاحبها معها أن يقول الحق وهذه كحالة النفاق التي حملت المنافقين على النفاق لأنهم ضعفاء عاجزون، فيصنعون النفاق ليستروا به حالة ضعفهم. ولهذا شدد الإسلام في تحريم الكذب وأغلظ القول في الكاذبين، لأنه يريد للمسلم أن يعيش قويا صريحاً صادقا، يخبر عن إرادته، ويتحمل مسؤولية كلامه وقراره، ولما ربَّى الإسلام المجتمع على الصدق والقوة وحرية الإرادة والمسؤولية، أقام الإسلام بذلك دولة قوية، وحضارة راقية، وأمة قوّامة على الحق، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر مؤمنة بالله. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولما ضعف هذا المعنى في نفوس المسلمين، حُرمت الأمة من العالِم الناصح، والداعية الصادق والجندي المخلص، فشاع النفاق، وأُغلقت أبواب النُصح، وساد الجهلاء، وهبطنا في درك الشقاوة «إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم يا ظالم فقد تودع منها»(٢).

وقد أورد العلماء حالات استثنائية اضطرارية يجوز فيها الكذب، وهي حالات محددة غير قابلة للقياس والتفريع عليها وهذه الحالات هي(٣):

أ- إذا تعرض المسلم لتعذيب شديد من قبل أعداء الاسلام، وخاف على نفسه الهلاك، ولم يستطع الإحتمال، فإن يجوز له أن يكذب عليهم، إذا توقفت نجاته على ذلك.

ب- اذا أراد الأعداء معرفة أسرار المسلمين فيجوز للمسلم أن يكذب عليهم بما يخذل عن المسلمين وينفعهم بالتغرير بالأعداء.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٣/ ٣٣٥ رقم ٤٩٧٠.

(٢) مسند أحمد ٢/ ١٩٠.

(٣) انظر هٰذه الحالات مفصلة في شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٥٧.

جـ - في الإصلاح بين الناس، كأن تقول للخصم إن خصمك يحسن فيك الظن ويذكرك بخير، من باب تأليف القلوب وجمعها. ومن هذا ما يكون للإصلاح بين الزوجين لجمع شمل الأسرة وإصلاح ذات بينهما.

د- بين الرجل وزوجته، إذا اضطر الرجل الى ذلك، وظروفه لا تطيق تلبية رغبات الزوجة المادية أو المعنوية، وكانت الزوجة ممن لا تقدِّر الأمور قدرها، بحيث قد يكون مصير الأسرة مهددا.

وفي كل هذه الحالات، الأولى أن يستخدم الإنسان المعاريض والكناية والتورية وما شابه ذلك من أساليب والا يتعمد الكذب مخافة التعود عليه واستحسانه.

كقول الامام الشافعي لما فتن في القول بخلق القرآن فقال: عن القرآن والتوراة والانجيل والزبور، هذه الأربعة وأشار بأصابعه كلها مخلوقه، وهو يريد أصابعه، لا الكتب السماوية المذكورة.

والحديث هنا ينبهنا إلى هذا الأمر، الذي ربما يُظن أنه أمر يسير يُتجاوز عنه، يبين لنا مسؤولية الإنسان عن تصرفاته ما جل منها وما دق، وأنه لا مجال للغفلة، التي تجعل صاحبها يظن أنه ممن يحسن صنعا، على ما هو عليه من أخطاء ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وكذلك لا مجال للعبث فكل شيء مستطر ومقدر، فلينظر الانسان ماذا يسطر عليه وليستشعر أنه مسؤول عن كل قول وعن كل عمل وإن بدا بسيطا حقيرا، ومن هنا تبدو الفكرة التي ينشئها الإسلام في نفس المؤمن وهو يوجهه في مثل قوله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] فالميزان ميزان الله، لا حساب البشر وتقديرهم.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- يَحْسُن بمن يريد أن يتخذ موقفا أن يتبين ويستوثق أولاً.

٢- تحريم الكذب بكل صوره، إلا ما استثني منه.

٣- أهمية التربية بالقدوة والتربية العملية.

٤- العناية بتربية الأولاد.

٥- المسلم مسؤول عن كل تصرفاته ولو بدا له أنها بسيطه.

٦- حُسن القصد لا يغير الشرع ولا يبرر الخطأ.

٧- حرص النبي ﷺ على النصح لأمته وعدم السكوت على الخطأ.

٨- مبدأ الثواب ومبدأ التعزيز. من مبادىء التربية التي سبق اليها الإسلام.

الحديث الرابع:

البنات حجاب من النار

عن عائشة قالت: دخلتْ عليَّ امرأةٌ ومعها ابنتان لها تسأل. فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتُها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها. ثم قامت فخرجَت. فدخل النبي علينا فأخبرته، فقال:

«من ابتُـليَ من هذه البنات بشيء فأحسنَ إليهن كنَّ له ستراً من النار».

وفي لفظ: **«من ابتلى بشيء من البنات فصبر عليهن كنَّ له حجاباً من النار».**

وعنها قالت: جاءَت مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمْتُها ثلاث تمرات فأَعطتْ كل واحدة تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقَّتْ التمرة التي كانت تريد أن تأكلها. فأعجبني شأنها. فذكرتُ الذي صنعتْ لرسول الله فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أَو أَعتقها بها من النار».**

أولاً: تخريج الحديث:

حديث عائشة هذا بالرواية الأولى أخرجه الامام البخاري والإمام مسلم والإمام الترمذي من حديث عروة عن عائشة، مع اختلاف على الإسناد بعد عروة على إسقاط راو أو ذكره[(١)]، وهذا لفظ البخاري.

واللفظ الثاني أخرجه الترمذي، من حديث معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٨٣ -الزكاة- باب ١٠/رقم ١٤١٨، جـ١٠/٤٢٦ -كتاب الأدب- باب ١٨ رقم ٥٩٩٥. وصحيح مسلم جـ ٤/٢٠٢٧ -البر والصلة -باب ٤٦ رقم ٢٦٢٩ وجامع الترمذي جـ٤ ٣١٩ -كتاب البر والصلة - باب ١٣ رقم ١٩١٥.

(٢) جامع الترمذي -نفس الصفحات رقم ١٩١٣ وقال: حسن.

والرواية الثالثة أخرجها الامام مسلم ويبدو أنهما حادثتان لا حادثة واحدة والله أعلم.

وورد في هذا الباب أحاديث عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وغيرهما أورد بعضها الترمذي وأشار اليها ابن حجر في شرحه لهذا الحديث من كتاب الأدب[١].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

كان الناس يترددون على بيوت النبي ﷺ لحاجاتهم، وكان النبي متقللاً من الدنيا زاهدا بها، وكانت امهات المؤمنين على غاية السخاء والبذل، وفي الحديث أن الشفقة على البنات وحسن رعايتهن والاحسان اليهن يَحْجب من يفعله عن النار ويوجب له الجنة.

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- لم يتخذ رسول الله ﷺ حاجباً:

بيوت النبي ﷺ كانت مفتوحة للناس لا حُجَّاب عليها ولا حرس، وكان الناس يترددون عليها لقضاء مصالحهم وحاجاتهم سواء أكانت تفقهاً في الدين أو شكوى على أحد أو حاجة من حوائج الدنيا، يأتيه الرجال والنساء وكل من له حاجة.

وهذه القيادة المنفتحة علىالأمة الساهرة على حوائجها هي التي تنال الثقة والحب والطاعة والتقدير.

وكانت حياة النبي ﷺ بسيطة لا تَكَلُّفَ فيها ولا تَزَيُّد من متاع الدنيا، بل كان زاهدا في ذلك متقللاً، حتى إن أحب أزواجه اليه، عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها تأتيها سائلة فلا تجد في بيتها إلا حبة من تمر. حبة تمر! لله دركم يا آل بيت محمد ﷺ، لا تجد أم المؤمنين إلا حبة من تمر!

---

(١) جامع الترمذي -نفس الصفحات ، وفتح الباري ١٠/٤٢٦-٤٣١.

وإن تعجب من قلة المتاع، فعجب أشد من سخائها وإيثارها، فقد تصدقت بحبة التمر، كل راسمالها، وكل ما تملك!.

ولم يكن زهد النبي ﷺ عن قلة وفاقه، فلو أراد لأحال الله له الجبال ذهباً، لكنه كان يسأل ربه أن يجعل قوت آل محمد كفافاً، وأن يحيا مع المساكين وأن يُحشَر في زُمرة المساكين.

ولقد كانت أموال الغنائم والهدايا والصدقات في بيت المال توزع في الناس بأمره وينفق مثل الريح المرسلة، إنفاق من لا يخشى الفقر.

لكن اراد لله لرسوله أن يكون القدوة لأمته في كل شأن، وهذا أحد هذه الشؤون، حتى يَقْتدى به القادة والزعماء والناس، وهكذا كان خلفاؤه من بعده رضي الله عنهم.

ولقد ورد في أخبار زهده عليه الصلاة والسلام وزهد خلفائه من بعده الشيء الكثير، يجده من شاء في أبواب الزهد والرقاق في كتب الحديث، وهناك كتب خاصة بالزهد فصلت في ذلك كثيراً[1].

٢- زهد أمهات المؤمنين:

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها معروفة بزهدها وسخائها فكانت تنفق كل ما تجد عندها وتنسى نفسها، فقد أُهديت إليها شاة وزعتها، وكانت صائمة فلما جاء وقت الإفطار قالت لها جاريتها هلا أبقيت لنا شيئاً نفطر عليه، فقالت عائشة هلا أخبرتني..[2].

(١) مثل كتاب الزهد لابن المبارك، وكتاب الزهد للإمام أحمد، ولابن أبي الدنيا وغير ذلك.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٧.

٣- حق السائل:

في هذا الحديث أن امرأة مسكينة جاءت الى بيت النبي تسأل. والإسلام يحرم المسألة ويعمل على القضاء على هذه الظاهرة، فقد حث النبي ﷺ على العمل وعمل على تهيئة العمل لمن لا يطلب عملاً ونهى عن المسألة، وكانت الصدقات في بيت المال تنفق على الفقراء وسائر مستحقي الزكاة في المصارف الثمانية المشهورة، ومع ذلك إذا كان هناك محتاج غير قادر على العمل وجاء يتسول فينبغي أن يُعطى ويجوز له ذلك حتى يجد كفايته، وواجب الدولة والمجتمع أن يعالجوا هذه الظاهرة، وإذا بدت هذه الظاهرة في أول أيام الإسلام قبل أن تنمو دولته وتنضج فقد اختفت هذه الظاهرة فيما بعد، بل كان عمال الخليفة يطوفون في الشوارع يعرضون على الناس الذهب والفضة فلا يجدون أحدا يأخذ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس كما قيل، وينبغي أن نعمل في أيامنا هذه على مواجهة هذه الظاهرة لا سيما أن هناك فئة تتخذ من التسول مهنة فهؤلاء ينبغي ألا يُعطَوا. وينبغي أيضاً أن نفطن إلى الفقراء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف بإيجاد منظمات وجمعيات ولجان في المدن والقرى والأحياء والمساجد للبحث عن أحوال الناس ومساعدتهم على الحياة.

بعض الناس إن لم يكن عندهم إلا القليل تجدهم لا يتصدقون خوفا عليه من النفاد، وخوفا من انقطاع الرزق، وحرصا على ذواتهم وحاجاتهم، أولا يتصدقون بالقليل مخافة أن يحتقر فعلهم، لكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحرص على الالتزام بوصية النبي ﷺ لها: «**لا يرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق**» رواه البزار(١).

وأخرج الامام أحمد من حديث عائشة باسناد حسن «**يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان**»(٢).

---

(١) كشف الاستار عن زوائد البذار ١/ ٤٤٤ حديث رقم ٩٣٨. والظلف: للبقر والغنم كالحافر للفرس والخف للبعير.

(٢) مسند الامام أحمد ٦/ ٧٩.

٤- عاطفة الأمومة:

وصنيع هذه الأم مع ابنتيها الذي تتجلى فيه عاطفة الأمومة فتقدم ابنتيها على نفسها في الروايتين سواء التمرة و التمرات الثلاث، هذا الصنيع الذي أعجب أم المؤمنين عائشة وأخبرت به النبي ﷺ، فكان في هذا المعنى هذا الحديث النبوي الكريم الذي يبين أجر وفضل من أشفق على النبات وقام على حاجاتهن وأنّ أجره الجنة والحفظ من النار.

وإنما جعل الله هذا الأجر -على لسان رسوله- لهذه الأم لما هي عليه من الشفقة والرحمة، والراحمون يرحمهم الله، إن لله مائة رحمة،قَسَمَ منها رحمة بين جميع الخلائق فيها يتراحمون، وأَخَّر تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة.

والتعبير عن البنات بالابتلاء هل يتعلق بوجودهن أو بما يترتب على ذلك من رعايتهن والقيام بحقوقهن؟

٥- فضل البنات:

إن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءَمون من وجود البنات وقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل:٥٨] فإذا كان المراد بالحديث وجود النساء، يكون التعبير على ما كان عليه الناس في الجاهلية من عد ذلك بلاءً، أو يكون المراد أن ذلك ابتلاء بتكليف العبد بالقيام بواجبهن بهذا المعنى ابتلاء، وكل تكليف بهذا المعنى ابتلاء واختبار ليميز الله الخبيث من الطيب[١].

ورد في هذا الحديث ذكر البنات كاسم جنس دون التعرض للعدد، وقد ورد في أحاديث أخرى ذكر ثلاثة من البنات، وذكر اثنيتن، وذكر واحدة، وكل الروايات يفسر بعضها بعضها، وما دام الأجر ثبت لمن عنده ثلاثة واثنتين وواحدة، فقد رجع الحكم الى الجنس ولا تعلق له بالعدد إلا من باب فضل من قام على مثل هذا العدد، فإنه أولى بهذا الأجر، ويلتحق به من نقص عن ذلك.

(١) انظر فتح الباري ٤٢٩/١٠.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «فأحسن اليهن» هل المراد بالإحسان هنا الحقوق الواجبة، أو ما زاد على الواجب؟ إن الروايات الأخرى لم تذكر لفظ الإحسان، مما يدل على أن من قام بالواجب واقتصر عليه ينال هذا الأجر، وأن من أحسن فزاد على مقدار الواجب فهذا فضل يوجب زيادة في الأجر أو تحقق الأجر كاملاً.

وقد أجمل النبي ﷺ حقوقهن في الحديث بالإحسان إليهن: وقد وردت هذه الحقوق مفصلة في أحاديث أخرى أوردها ابن حجر في الفتح[1]: ففي حديث أنس عند مسلم: «من عال جاريتين».

وفي حديث أم سلمة عند أحمد «من أنفق على ابنتين أو اختين أو ذاتي قرابة يحتسب عليهما».

وفي حديثنا هذا عند الترمذي «فصبر عليهن» ومثله في الأدب المفرد من حديث عقبة بن عامر، وزاد عند ابن ماجه «وأطعمهن وسقاهن وكساهن» وفي حديث ابن عباس عند الطبراني «فأنفق عليهن وزوجهن» وفي حديث جابر عند أحمد وفي الأدب المفرد «يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن».

ومن حديث أُبيّ عند الترمذي وفي الأدب المفرد «فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن». ومثله من حديث أبي هريرة في المعجم الأوسط.

فخلاصة هذه الحقوق التي اجملت في حديثنا هذا بالأحسان: الإنفاق، والرعاية والتربية والصبر عليهن واتقاء الله فيهن، واستمرار ذلك كله حتى يجعل الله لهن سبيلا بالزواج أو غيره.

والأجر الذي ذكره النبي ﷺ لمن يقوم على أمر البنات بالتربية والرعاية مختلف في الروايات؛ فبعضها يبين أن هذا الفعل يحجب أو يستر صاحبه من النار،

(١) انظر فتح الباري ٤٢٨/١٠.

والرواية الأخرى تذكر دخوله الجنة واعتاقه من النار. ولعله لا تعارض بين الروايتين، لأن الذي يستر من النار ويحجب عنها يدخل الجنه بخلاصه من النار، إذ ليس إلا الجنة أو النار في نهاية المطاف.

٥- النصوص الشرعية وحدة واحدة:

هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي ترتب ثواباً عظيما أو عذابا شديدا، أو دخول الجنة أو دخول النار على عمل من الأعمال، هذه لا تؤخذ على اطلاقها وإنما تقيدها نصوص أخرى، فلا بد أولاً من الإيمان، إذ لا ينفع مع الشرك عمل، ويؤتى بأعمال الكافرين يوم القيامة فتصير هباءً منثورا ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ثم لا بد من استكمال شرائط الإيمان واستكمال شرائط قبول الأعمال وهي اخلاص النية لله وأن يكون العمل مشروعا موافقا لما أتى به النبي ﷺ.

وأخيراً لا بد من توفر شرط آخر وهو ألا يأتي صاحب هذا العمل بعمل من الأعمال التي تنقض الإيمان أو تنتقض العمل كالرياء.

رابعاً: من أحكام الحديث:

١- جواز السؤال للحاجة.

٢- ما كان عليه النبي ﷺ وأزواجه من الزهادة في الدنيا والتقلل منها.

٣- ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع وأنه لم يكن ليحتجب عن الناس، وما كان عليه الناس من تردد على بيوت النبي لطلب حاجاتهم لما يعرفونه فيه من الشفقة والرحمة بهم والجود والسخاء.

٤- سخاء عائشة رضي الله عنها وإيثارها وشدة حرصها على التصدق ولو بالقليل.

٥- ما أودع الله في قلوب الأمهات من عاطفة الأمومة واشفاقهن على الصغار ورحمتهن بهم.

٧- جواز التحدث بالعمل الصالح عند أمن الرياء، ولا سيما إذا كان في ذلك مصلحة.

٨- الحياة دار ابتلاء، ولا بد أن يُبتلى الناس، كل بنوع من البلاء، وشعور المسلم هذا يهون عليه الشدائد ويعين على مواجهتها.

٩- رحمة الإسلام بالضعفاء ورعايته لهم وتعهده إياهم.

١٠ - فضيلة من يربي ويتعهد البنات وأن الله يحجبه بهن عن النار عنه.

١١- عظم أجر من يتعهد البنات بالتربية والإنفاق وأن له بذلك الجنة.

١٢- رحمة الله بعبادة إذ جعل الجنة أجرا لمن رعى بنتاً ورباها.

١٣- الأمور بمعانيها لا بمادتها ولا مظاهرها، فقد دخلت امرأة الجنة بحبة تمر أطعمتها لابنتها.

الحديث الخامس:

الخالة بمنزلة الأم

عن البراء بن عازب في قصة عمرة القضاء أنهم **أتوا عليا فقالوا: قل لصاحبك يخرج فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله، فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي فقال لفاطمة: دونك بنت عمك فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي**: هي ابنة عمي. قال جعفر: **هي ابنت عمي، وخالتها تحتي، وقال زيد: هي بنت** أخي. **فقضى بها ﷺ لخالتها**. وقال: **الخالة بمنزلة الأم** وقال لعلي: **أنت مني وأنا منك** وقال لجعفر: **أشبهت خَلْقي وخُلُقي**. وقال لزيد: **أنت أخونا ومولانا**».

أولاً: تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري مطولا وابو داود والترمذي والدارمي[1].

ثانياً: مفردات الحديث:

عمرة القضاء: هي العمرة التي اعتمرها النبي ﷺ وأصحابه في السنة الثانية لصلح الحديبية، حيث رجعوا دون أن يعتمروا، على أن يعتمروا في العام القادم، كما نَصَّت على ذلك شروط الصلح.

(١) رواه البخاري في صحيحه مطولا ١٥٥١/٤ كتاب المغازي/ باب عمرة القضاء ح٤٠٠٥ كتا٢/ ٥٩٥٩ وكتاب الصلح/ باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان ح٢٥٥٢. وأبو داوود في سننه ٢/ ٧٨٠ كتاب الطلاق/ باب من أحق بالولد ح٢٢٨٠ والترمذي في سننه ٤/ ٣١٣ كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخالة ح١٩٠٤ ورواه الدارمي في سننه ٢/ ٤٧٥ كتاب الفرائض/ باب ميراث ذوى الأرحام ح٣٠٥٩ تحقيق فؤاد زمرلي وخالد العلمي ط دار الريان للتراث ـ القاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

وسميت بعمرة القضاء وعمرة القضية وهي من المقاضاة وليست من القضاء فلم يأمر النبي ﷺ أصحابه بقضائها وإنما كانت مقاضاة لقريش التي منعتهم من العمرة في عام الحديبية.[1]

مضى الأجل: كان من شروط الصلح أن يسمح للمسلمين بالعمرة والإقامة في مكة ثلاثة أيام، فلما أتم المسلمون الأيام الثلاثة، أرسلت قريش تطلب من الرسول ﷺ أن يخرج من مكة لانقضاء الوقت المتفق عليه.

ابنة حمزة: هي عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء، استشهد في أحد السنة الثالثة للهجرة، وقيل في اسمها غير ذلك.

فاطمة بنت الرسول ﷺ، زوج علي بن أبي طالب، وابنة حمزة تكون ابنة عم أبيها ﷺ، ويطلق على عم الأب، عم فهي بهذا ابنة عمها.

وقال زيد هي ابنة أخي:

وإنما قال زيد إنها ابنة أخي لأن حمزة أخوه، آخى بينهما النبي ﷺ[2].

«علي وزيد وجعفر»: على بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

وخالتها تحتي: أي خالتها زوجتي وهي أسماء بنت عميس، والمراد تحت قوامتي.

«أنت مني وأنا منك»: لمكانة على عند النبي ﷺ حتى كأن منه، لسابقته في الإسلام، ولعلاقته مع النبي ﷺ حيث نشأ في بيته، ولمصاهرته للنبي ﷺ حيث تزوج ابنته فاطمة.

«أشبهت خَلْقي وخُلُقي»: لِمَا كان عليه جعفر رضي الله عنه من شبه للنبي ﷺ في خِلْقته وشكله، وفي أخلاقه وصفاته، وهذه منقبة لجعفر لم ترد في غيره.

---

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ٣/٣٧٨.

(٢) نيل الأوطار ٦/٣٦٨.

«أنت أخونا ومولانا»: المراد أخوة الأسلام، ورابطة الولاء بينه وبين النبي ﷺ حيث كان عبداً رقيقا أهدته خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ فأعتقه، ورابطة الولاء هي هذه الرابطة التي تنشأ بين العبد وبين سيده إذا أعتقه، ويترتب عليها حقوق كالتوراث بينهما عند عدم وجود وارث ومعنى كلمة الولاء، التأييد والمناصرة.

ثالثاً: المعنى الاجمالي للحديث:

لما انقضت أيام عمرة القضاء الثلاثة المتفق عليها في صلح الحديبية بين النبي ﷺ وقريش، وكانت قريش قد أخلت مكة للمسلمين، أرسلت قريش للنبي ﷺ من يخبره بالخروج من مكة بعد انقضاء المدة.

فلما خرج النبي ﷺ والمسلمون، تبعتهم ابنة حمزة اليتيمة تنادي عمها النبي ﷺ، فأختلف علي بن أبي طالب وابن عمه جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة فيمن يأخذها فيكفلها ويربيها عنده، فاشتكوا الى النبي ﷺ، فحكم بها أن تكون عند خالتها، أسماء بنت عميس لأن الخالة بمكانة الأم فهي أكثر حنانا وألزم بحضانة ابنة اختها، ثم أثنى النبي ﷺ، على كل واحد من الثلاثة بما يبين مكانته من النبي ﷺ، ويطيّب نفوسهم جميعا، بعد أن حكم بالطفلة لخالتها.

رابعاً: في ظلال الحديث:

١-صلح الحديبية:

في هذا الحديث بيان لما كان عليه صلح الحديبة من خير على الإسلام والمسلمين، فهاهم يدخلون مكة ويعتمرون، وفي هذا مغزى سياسي عظيم، إذ تعترف قريش عمليا، بعد اعترافها النظري بالصلح، بحق المسلمين في مكة والكعبة، وهذا له كبير الأثر على نفوس القبائل العربية وهي ترى قريشا أكبر القبائل التي حاربت الإسلام طويلا تأذن له بالدخول عليها في عقر دارها، وتعترف بحقه السياسي في الوجود، فضلا عما في ذلك

من تحقيق رغبة جامحة للمسلمين في عبادة الله عز وجل وعمارة بيته العتيق، بعد أن حُرِمُوا من ذلك لسنين خلت.

٢- الوفاء بالعهود:

وفي هذا الحديث بيان لما كان عليه النبي ﷺ ومن معه من المسلمين من التزام بالعهود والمواثيق، وعدم نقضها، أو التلكؤ في تطبيقها حيث خرج من مكة عند انقضاء الأجل، وهذه الصورة الصادقة للمسلم الذي يحفل قرآنه بالعديد من الايات التي تعظم من شان العهد ودقة الالتزام به.

كما تحفل سنة نبيه القولية والفعلية بالعديد من النصوص التي تحث على ذلك وتحذر من النقض في العهود والمواثيق، بل تبلغ درجة عالية مثالية عندما تجعل كلمة أي مسلم عهدا واجب الالتزام به من جماعة المسلمين ودولتهم «ويسعى بذمتهم أدناهم...»(١).

٣-التنافس في فعل الخير:

وفي الحديث نموذج لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حب للخير، وتنافس فيه، وتسابق إليه، إذ يتنافس علي وجعفر وزيد أيهم يكفل ابنة حمزة، ويأتي كل واحد منهم بالدليل على أحقيته بكفالتها.

وهذه ثمرات من ثمار التربية النبوية في الحث على كفالة اليتيم في مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بأصبعية السبابة والتي تليها**»(٢).

---

(١) سنن ابي داود جـ٣/ ١٨٣ كتاب الجهاد باب ١٥٩ ح رقم ٢٧٥١.
وسنن النسائي، جـ٨/ ٢٤ كتاب القسامة باب ١٤.
وسنن ابن ماجه جـ٢/ ٨٩٥ كتاب الديات باب ٣١ ح رقم ٢٦٨٣.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/٤٣٦ كتاب الادب، باب ٢٤ ح رقم ٦٠٠٥، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٧ كتاب الزهد الرقائق/ باب الاحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ح ٤٢ =

وهذه قيمة اجتماعية يحققها الإسلام في المجتمع المسلم، فلا يضيع يتيم، وفي هذا حث على الجهاد والتضحية والاستشهاد عندما يعلم الجميع أن المجتمع من بعدهم يرعى أبناءهم، ومن هنا كان «ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا»(١). إنه المجتمع المتماسك المتكافل الذي ينشئه الاسلام العظيم.

٤-الخالة أولى بالحضانة:

وفي الحديث بيان لمكانة الخالة، وأنها ذات أولوية في حضانة أولاد أختها، وذلك لمكانتها من أمهم، فتكون أكثر رحمة بهم وإشفاقا عليهم وحدبا بهم، ولئن كان الأولاد ينسبون لأبائهم وأقارب أبائهم، إلا أن حالة الحضانة والتنشئة تختلف، حيث تحتاج الى زيادة صبر واحتمال، والخالة بما لديها من عاطفة نحو أختها وأبناء أختها تكون أقدر على ذلك من غيرها ممن لا يتصفون بصلة القرابة مع الآم مثلها.(٢)

٥-تطييب النفوس:

وفي الحديث أدب نبوي عظيم وأسلوب في تربية النفوس وصيانتها رفيع، حيث وصف كل واحد من الثلاثة المتخاصمين على كفالة ابنة حمزة، بوصف يرضيه بما بين لكل منهم من مكانة له عند النبي ﷺ، وعلاقة تربطه بالنبي الحبيب عليه أزكى الصلاة وأطيب السلام.

= وأبو داود في السنن ٣٥٦/٥ كتاب الأدب/ باب في (من ضم اليتيم) ح ٥١٥٠ والترمذي في السنن ٣٢١/٤كتاب البر/ باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته ح ١٩١٨ ومالك في الموطأ كتاب الشعر/ باب السنة في الشعر ص٧٩٢ ج٥ ط دار الفكر ١٩٨٧م.

(١) صحيح البخاري مع الفتح جـ٤٩/٦ باب ٣٨ ح رقم ٢٨٤٣.
١٥٠٦/٣ كتاب الامارة باب فضل اعانة الغازي في سبيل الله ح١٣٥/ ١٣٦.
وأبو داود في السنن ح٢٥٠٩ كتاب الجهاد/ باب ما يجزىء من الغزو ٢٥/٣، والنسائي من السنن ٤٦/٦ كتاب الجهاد/ باب فضل من جهز غازيا ح ٣١٨٠.

(٢) انظر في حكم حضانة الخالة إذا تزوجت ما أورده ابن القيم من اقوال العلماء في زاد المعاد ٣٧٥/٣.

وإن رعاية النفس الإنسانية، والحرص على تحقيق رضاها عند الاختلاف بخاصة وفي كل الأحوال بعامة من أهم ما تحتاجه النفوس، فكم من الناس ينتقل من موقف إلى موقف ومن حالة الى أخرى بكلمة طيبة تطيب بها النفس أو بكلمة خبيثة تثير شجون النفس وآلامها.

ومراعاة النفس الإنسانية وصيانتها يحفظها من أن تتسرب اليها الظنون، أو انه تقبع فيها الأحقاد والتباغض والتحاسد، فتسود الكراهية في المجتمع وتتمزق روابطه، لا سيما وان النفس الإنسانية شفافة حساسة كالزجاجة كسرها لا يجبر.

ولئن كان النبي ﷺ يقدم مع حكمه للخالة بكفالة بنت حمزة ـ هذا الكلام الذي تطيب به نفوس المختلفين إلا أنه عليه الصلاة والسلام لا يقول إلا حقا، فلا يرضيهم بمعسول الكلام، إنما يرضيهم ويطيّب نفوسهم، وفي نفس الوقت لا يقول إلا الحق عليه الصلاة والسلام.

وفي قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أنت مني وانا منك» دليل على قيمة السابقة للإسلام وقيمة القرابة مع الإيمان وقيمة المصاهرة بين المؤمنين، فعلى كرم الله وجهه بهذه الأمور صار من النبي ﷺ وصار النبي ﷺ منه.

وهذا يدل على عظم شأن القرابة والمصاهرة بين المؤمنين وأن لها حقوقاً عظيمة.

فينبغي أن تؤدى وترعى، ومن هنا كانت صلة الأرحام، وكانت أحكام المصاهرة.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام لجعفر «أشبهت خلقي وخلقي»، دليل على قيمة وفضيلة التشبه بالنبي ﷺ في كل شيء، وإذا كان الشبه في الصورة والخِلْقة ليست بيد أحد من البشر، إلا أنه يبقى منقبة وهبه يهبها الله لمن يشاء من عبادة، ويبقى المجال الكسبي في التشبه بخُلُق النبي ﷺ وصفاته وأحواله، فإنها منقبة عظيمة، كيف لا، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وهذه منقبة لم يرد التصريح بوصف

أحد بها غير جعفر، وقد ورد ما يفهم من ذلك في حق فاطمة الزهراء عليها السلام.[(١)]

وفي قوله عليه الصلاة والسلام لزيد بن حارث **«أنت أخونا ومولانا»** دليل على قيمة ومكانة رابطة العقيدة، وأنها هي الرابطة، ومن هنا يقول النبي ﷺ لعبده السابق أنت أخونا، يوم أن جمعت بينهما رابطة الإيمان، وفي هذا المعنى قول النبي ﷺ لسلمان الفارسي «سلمان منا آل البيت»[(٢)].

كما ويدل الحديث على أن رابطة الولاء التي تقوم بين العبد وسيده الذي يحرره، رابطة كريمة يترتب عليها الولاء والتأييد والمناصرة، وفي ذلك يبدو تقرير الإسلام للصحبة ودعوته للوفاء بحقوقها، كما ويدل ذلك على تكريم هؤلاء الذين كانوا عبيدا بإقامة هذه العلاقة التي هي تشابه علاقة القرابة بل تحل محلها إذا لم توجد، بينهم وبين سادتهم.

وفي هذا القول أيضا يبدو تواضع النبي ﷺ وهو يجعل لعبده السابق هذه العلاقة ويكون مصاحباً له، بل هو حِبُّه عليه الصلاة والسلام.

خامساً: من أحكام الحديث:

١- الخالة أولى من سائر الأقارب بالحضانة بعد الوالدين.[(٣)]

٢- الوفاء بالعهود من أَخلاق الإسلام التي صانها ودعى اليها.

٣- التنافس في فعل الخير خُلقُ المسلمين الصالحين.

٤- حُسنُ رعاية النبي ﷺ لأصحابه وحرصه على تطيب نفوسهم وخواطرهم.

٥- فضل آل البيت والقرابة من النبي ﷺ.

٦- فضيلة التشبه بالنبي ﷺ في هدية وخَلْقِه.

٧- أهمية رابطة العقيدة ومكانتها في الإسلام.

---

(١) انظر فتح الباري ـ لابن حجر ٧/ ٥٠٧.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك كتاب/ معرفة الصحابة باب/ ذكر سلمان الفارسي. وقال الذهبي: سنده ضعيف.

(٣) انظر مذاهب العلماء في ذلك في نيل الأوطار ٦/ ٣٦٨-٣٦٩.

عاشراً: في مخاطر الاختلاط

١ - في الخلوة والاختلاط.

٢ - فتنة النساء.

الحديث الأول:

في الخلوة والإختلاط

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**إيّاكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت».

قال الليث بن سعد: الحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج: ابن العم ونحوه.

أولاً: تخريج الحديث:

أخرج الحديث البخاري ومسلم والترمذي وأحمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه[1]، وله شواهد من حديث ابن عباس وجابر وغيرهما.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

في هٰذا الحديث يحذر النبي ﷺ من دخول الرجال غير المحارم على النساء أو دخول النساء على الرجال دون أن يكون معهم غيرهم، وذٰلك صيانة للنفوس من الفتنة أو الأعراض من الظِّنة والتُّهمة.

ولمّا كان أقارب الزوج قد يُتَساهل فيهم لما لهم من قرابة يبين النبي ﷺ أن الحمو هو الموت، أي أقارب الزوج في خلوتهم بالزوجة الموت.

(١) صحيح البخاري ٩/ ٣٣٠ -النكاح- باب ١١١ رقم ٥٢٣٢.
صحيح مسلم ٤/ ١٧١١ -السلام- باب ٨ - حديث رقم ٢١٧٢.
جامع الترمذي ٣/ ٤٦٥ -الرضاع- باب ١٦ -رقم ١١٧١.
مسند أحمد ٤/١٤٩، ١٥٣.

وقد ذكر العلماء تأويلات عديدة لمعنى جعل الحمو موتاً منها:

أن فيه هلاك الدين بالمعصية فكان كالموت الذي فيه هلاك النفس. أو أن فيه الموت إن تمت المعصية وثبت الحد. أو أنه للتحذير منه فينبغي أن نخافه كما نخاف الموت كقول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت[(١)].

ثالثاً: في ظلال الحديث:

١- العِفة والسِتر:

جاء الإسلام يدعو إلى العفة والطهر ويقيم الضوابط من أجل الستر، حتى يكون المجتمع عفيفاً طاهراً نظيفاً، وتكون الفضيلة شعاره ودثاره.

والإسلام لا يكتفي من ذٰلك بالتوجيهات والمواعظ وإنما شأنه في معالجته لكل الأمور أن يقْرِن بين التوجيه والتشريع، فالتوجيه يهيء النفوس ويُعبئها، والتشريع يضع الضوابط والحدود والإجراءات التي تكفل التنفيذ.

وفي هٰذا الحديث النبي ﷺ يمنع دخول أحد من الرجال -غير المحارم- على النساء أو النساء على الرجال، هٰذا تشريع يكفل تنفيذ ورعاية توجيهات الإسلام بالستر والعفة والطهر.

والإسلام سن هٰذا التشريع صيانة للأعراض وحفاظاً على الحرمات ورعاية لحقوق الناس، من أن يُنالَ منها شيء، وحماية لنظام الفضيلة في المجتمع والأخلاق العامة فيه التي تمثل سياج الطهر والفضيلة للأمة أفراداً وجماعات.

ولقد أولى الإسلام هٰذه المسألة عناية فائقة لِمَا يترتب على خدشها من فساد يهدد أخلاق الأفراد كما يهدد نظام المجتمع وبناءه، ولعل ما يجري في الغرب اليوم من مفاسد، وتقطيع للأواصر، وضياع النسل بما يهدد بالانقراض، وفشو الأمراض كالايدز

(١) فتح الباري ٩/ ٣٣١ - ٣٣٢، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٥٣ - ١٥٤.

وغيره، لعل هٰذه وغيرها بعض الآثار الناجمة عن الفاحشة وفوضى العلاقات بين الجنسين التي حذر الإسلام منها أشد التحذير.

ولقد أتى على المسلمين زمان طويل عاشوا في ظل هٰذه التوجيهات والتشريعات فكانت الفضيلة شعارهم والعفة والستر وعدم الاختلاط أساس أخلاقهم وعلاقاتهم.

أما اليوم فإننا نجد قوى الشر من يهودية عالمية وتغريب علماني وإلحاد مادي يبذلون الجهود المتواصلة لإشاعة التبرج والإختلاط والفاحشة في المسلمين.. ولٰكننا نجد كذٰلك أن طلائع الصحوة الإسلامية تتجاوز مخططاتهم وتسبقهم إلى أبناء المسلمين تشدهم إلى إسلامهم فيستجيبون.

٢- سد الذرائع:

وهٰذا الحديث يصلح دليلاً على تأصيل مبدأ سد الذرائع والأخذ بالأحوط والبعد عن الشبهات وإغلاق باب الشر مخافة الوقوع فيه. فتحريم الدخول على النساء إنما كان لسد الباب على الفتنة والمعصية والفاحشة.

٣- الوضوح سمة المنهج الإسلامي:

ونقف في هٰذا الحديث أمام سمة من سمات المنهج الإسلامي في التغيير والتربية، هي الوضوح في المعالجة من غير دوران حول المشكلة من بعيد.

فمع أن طبيعة علاقة الناس قد تقتضي الدخول على البيوت وليس فيها إلا النساء، إلا أن الإسلام وبوضوح وصراحة يعلن حرمة الدخول على النساء من قبل الرجال الأجانب، أو دخول النساء على الرجال غير المحارم، حتى لو كانوا من الأقارب.

يعلن الإسلام ذلك من غير تهيب ولا تردد ولا تحسب، ما دام في ذٰلك الخير والطهر والستر، وكفى.

٤- درء المفاسد أولى من جلب المصالح:

ونلاحظ في ظلال هٰذا الحديث أن إطار الفضيلة وسياج العفة مقدم على العلاقات الإجتماعية أو العائلية، فإذا تعارضت هٰذه مع تلك فإن الإسلام لا يتردد في ضبط العلاقات العائلية والإجتماعية وتحديدها لحساب الفضيلة والقيم والأخلاق. حيث نجد أن الأقارب يُمنعون من الخلوة مع النساء حتى ولو كانوا أقرب الناس إلى الزوج، أو أقرب الناس إلى الزوجة من غير المحارم، ومن هنا كان من قواعد الشريعة أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع، وهٰذا الحديث من أصول هٰذه القاعدة العظيمة وهو أحد تطبيقاتها العملية.

٥- حكم الإختلاط:

في هٰذين الحديث تعرّضٌ لموضوع الإختلاط. وهٰذا موضوع له خطورته ويكثر الحديث عنه في هٰذه الأيام.

وصورة الإختلاط المعروفة اليوم في المدارس والجامعات والمكاتب والحفلات والأفلام والمسلسلات لا تمت إلى الإسلام بصلة بشكل عام وهي من انحرافات الحضارة الغربية وإفرازتها.

لٰكن ورد في المجتمع المسلم وفي الشرع الإسلامي صور للإختلاط بين الجنسين هي التي نتحدث عنها فلا خلاف أن للمرأة أن تبيع وتشتري وفي هٰذا مخالطة للرجال، ولا خلاف أن للمرأة أن تذهب للمسجد وأن تحضر مجالس العلم، لٰكن في حشمة وستر وأدب وفي صفوف منفصلة وأماكن لا تحتك فيها بالرجال.

وللمرأة كذٰلك أن تخرج للحقل وتحتطب وتلقط الحب والنوى كما فعلت أسماء بنت أبي بكر في الحديث السابق وكذٰلك في الجهاد والحج والعمرة. وهي في هٰذه الحالات كلها وغيرها قد تكون قريبة من الرجال وقد تحدثهم ويحدثونها.

وقد نهى النبي ﷺ أن يدخل الرجل وحده على امرأة زوجها غائب لٰكنه أذن أن يدخل الرجلان أو الثلاثة، كما في حديث عبد الله بن عمرو ان النبي ﷺ قام على المنبر فقال: «لا يدخلنّ رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان»(١) والتشديد في النهي عن دخول الحمو على الزوجة، لأنه وحده ولأنه بحكم قرابته للزوج قد يكثر تردده ويرتفع التكليف ويتعرض للفتنة.

وفي كل هٰذه الصور التي جاءت بها النصوص، الأصل والقاعدة العامة الفصل بين الجنسين، وجواز اللقاء والإجتماع في البيوت أو خارجها من غير خلوة للضرورة، كل هٰذا مع الستر في اللّباس والعفة في القول والأدب لئلا يطمع من في قلبه مرض، ومن الأصول في ذٰلك الإحتياط مخافة الوقوع في الفتنة وهٰذه تختلف باختلاف الظروف والأمكنة والنفوس فمن خشي على نفسه الفتنة فقد وجب عليه الإبتعاد والإنفصال حتى في الحالات التي يجوز فيها الإجتماع واللقاء، وكل أعلم بنفْسه.

رابعاً: من أحكام هٰذا الحديث:

١- مكانة العفة والفضيلة والستر في الإسلام.

٢- التحذير من مخاطر الإختلاط والخلوة وبيان حرمتهما.

٣- صيانة حرمات الناس وأعراضهم بعامة وفي بيوتهم بخاصة.

٤- الحفاظ على أخلاق الأمة وصيانة المجتمع من شرور الخلوة والإختلاط ومفاسد الأخلاق.

٥- البعد عن الشبهات وسد الذرائع والإحتياط من الوقوع في المحرمات.

٦- الصراحة والحزم في مواجهة المشكلات والقضايا العامة والخاصة.

٧- درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

(١) صحيح مسلم حـ٤/ ١٧١١ كتاب السلام باب ٨ح رقم ١٩ ومسند أحمد ٢/ ١٧١، ١٨٦.

الحديث الثاني:

فتنة النساء

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»** أخرجه الشيخان والترمذي(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا لا يخلُوَن رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»** أخرجه الشيخان(٢).

وعن ابن عمر في قصة خطبة عمر بالجابية: **«ما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»** أخرجه الترمذي وصححه(٣).

أولاً: في ظلال الأحاديث:

هذه الأحاديث تبين طبيعة الجنسين، وما أودع الله فيهما من ميلٍ كلٍ منهما للآخر، ودور الإسلام في تنظيم هذا الميل وضبطه وتوظيفه، ليؤدي هدفا أسمى، من أجله وجد هذا الميل في النفس الإنسانية، وتبين هذه الأحاديث خطورة الفوضى الجنسية وأنها فتنة من أخطر الفتن.

---

(١) صحيح البخاري، حـ٩/ ١٣٧ -مع الفتح-، كتاب النكاح، باب ١٧ح رقم ٥٠٩٦.
وصحيح مسلم، حـ٤/ ٢٠٩٧ كتاب الذكر والدعاء، باب ٢٦ح رقم ٢٧٤٠.
وجامع الترمذي، حـ٥/ ١٠٣ كتاب الأدب، باب ٣١ ح رقم ٢٧٨٠.

(٢) صحيح البخاري -مع الفتح- حـ٩/ ٣٣٠كتاب النكاح باب ١١١ ح رقم ٥٢٣٣.
صحيح مسلم، حـ٢/ ٩٧٨ كتاب الحج، باب ٧٤ ح رقم ١٣٤١.

(٣) جامع الترمذي، جـ٣/ ٤٦٧ كتاب الرضاع باب ١٦ ضمن ح رقم ١١٧١.
جـ٤/ ٤٦٦وكتاب الفتن، باب ٧ ضمن ح رقم ٢١٦٥.

١ - المرأة وفتنة الرجال:

إن تسمية المرأة بالفتنة على الرجال، بل أضر فتنة عليهم، ليس المراد منها تحميل المرأة مسؤولية ذلك. وإنما جاء الكلام مع الرجال وتحذيرهم من فتنة النساء لهم، لأنهم المخاطبون في هذه المناسبة، فحال الخطاب هو الذي اقتضى ذلك، وإلا فالمعنى عام فيهما فكما أن المرأة أضر فتنة على الرجل. فإن الرجل أضر فتنة على المرأة كذلك.

ومن أساليب العرب في الكلام أن يَرِدَ الكلام على سبيل التذكير مع أن المراد الذكر والأنثى، وقد ورد مثل هذا كثيرا في القرآن كالنداء بـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، وغير ذلك كثير، وفي كل هذه النصوص المراد الذكور والاناث، وإن وردت بصيغة التذكير.

ولمّا كان الأصل في الرجال الخروج من البيت للسعي في طلب الرزق وغير ذلك من الأعمال. والأصل في المرأة أنها في بيتها حاضنة لأبنائها، راعية لأسرتها وبيتها، فكأنها عندما تخرج وتختلط بالرجال وقد تتبرج فتبدي زينتها ومحاسنها، فكأنها هي التي كانت سبباً في هذه الفتنة وهي التي أثارتها. فكانت الفتنة منتسبة إليها.

وربما كانت نسبة الفتنة إلى المرأة لأي من هذه المعاني، أو لها جميعاً، والله أعلم.

والإسلام من خلال الزواج يهدف إلى إيجاد الأسرة، التي تمثل لبنة المجتمع الأولى، التي بها تصان نفس الإنسان بجنسيه، حيث السكينة والإستقرار والتكامل والإنسجام بينهما. وحيث المناخ المناسب لنشأة الأطفال وترعرعهم وتربيتهم.

ولما كان الإنسان أهم المخلوقات وأظهرها شأنا، فقد قدَّر الله سبحانه أن يُبذل في تنشئته وتربيته ما لا يُبذل في أي كائن حي آخر، ولذلك كانت فترة حضانة الإنسان وطفولته أطول منها في كل الكائنات الحية، إذ لا يخفى أنَّ فردا من الناس يمكن إذا أُحسنت تربيته أن يقود خطى البشرية إلى الخير والسعادة والحضارة، ويمكن لفرد آخر شاذ لقيط لم تُحسَن تربيته أن يكون سبب دمار وبلاء وشقاء على البشرية.

ومن هنا تظهر أهمية الأسرة، وقيمة نظام الزواج الذي هو الأساس الذي تقوم بناءً عليه الأسرة.

٢- فطرية العلاقة بين الجنسين:

لقد أودع الله سبحانه في فطرة الإنسان ميلاً من قبل كل جنس للآخر.

وهذا الميل ما دام فطريا فإن الإسلام جاء ليغذي معاني الفطرة ويصونها، وينظمها ويضبطها، ويستثمرها ويوظفها لصالح الإنسان، لأن الخالق الحكيم ما أودع في فطرة الإنسان إلا ما فيه خيره وصلاحه.

وفي هذا المعنى الفطري عمارة الكون، وبناء المجتمع، وحفظ الجنس الإنساني، فضلا عن سعادة الجنسين، بما يوفره هذا الميل الفطري من سكن نفسي، وتكامل يعين على تكاليف الحياة وسعادتها.

والإسلام إنطلاقا من هذه النظرة الى الجنسين وضع الشرائع والنظم التي تكفل تحقيق الميل لأهدافه، ووضع الضوابط التي تحفظ هذا الميل من أن يخرج عن مساره فيؤدي إلى مخاطر تتهدد بقاء الجنس الإنساني واستقرار نظامه الإجتماعي وسكنه النفسي.

يُشبّه الاستاذ محمد قطب النشاط الجنسي عند الانسان بالماء النازل من السماء، فإذا أُقيمت السدود التي تستوعب هذا الماء وترتفع بمنسوبه أمكن الإفادة منه في توليد الطاقة وري المزروعات، فضلا عن ضبطه من أن يسيل هادرا فيتلف النبات ويجرف الأرض والعمران، وكذلك العلاقات الجنسية إذا ما ارتفع مستواها لتكون علاقات في مستوى راق يليق بالانسان المكرّم على سائر المخلوقات، فإنها عندئذ تكون علاقات نافعة تحقق سكن النفس وتحافظ على بناء المجتمع وتحفظ الجنس الإنساني، أما عندما تَسْفُلُ هذه العلاقات عن هذا المستوى الرفيع، فإنها تكون كالسيل العرم الذي يجرف كل ما يمر به ويتلف كل شيء، فضلا عن أنه لا يستفاد منه[1].

(١) محمد قطب في محاضرة مسجلة على شريط كاسيت في السعودية.

والمستوى الرفيع الراقي للعلاقات بين الجنسين هو الزواج، الذي جاءت به كل رسالات السماء، واتفقت عليه كل الأعراف الإنسانية منذ بدإ الخليقة الى يومنا هذا.

والإسلام يدعو إلى الزواج ويرغّب فيه، بل يعده نصف الدين، ويسهل أسبابه ويعين عليه من بيت المال ويؤمنه. ثم هو بعد ذلك يمنع كل علاقة سوى الزواج ويمنع كل سبب يوصل إلى علاقة غير الزواج،بل ويحزم في الأمر، فيجعل عقوبة الزنا من أشد العقوبات، ولهذا منع كل ما يؤدي إليه من الإختلاط واللمس والتبرج والنظر والخلوة . . .

وهذه الأحاديث ترد ضمن هذا الموقف الإسلامي من هذه المسألة الحساسة.

فالإسلام لم يحارب هذا الميل الفطري بين الجنسين ولم يعدّه من رجس الشيطان، كما ادعت الرهبانية المزعومة، بل احترم هذا الميل، ووظّفه لصالح الإنسان والمجتمع والحياة في الوقت الذي يُغذّي فيه هذا الميل ويشبعه، وهذا أحد مظاهر الواقعية والإيجابية في هذا الدين.

٣- فوضى العلاقات بين الجنسين:

والناظر للمجتمعات الغربية اليوم بل كل المجتمعات غير الإسلامية، يجد الفوضى الجنسية ويجد آثارها تستصرخ العقلاء، أن يدركوها قبل أن تؤدي إلى الدمار والهاوية.

فقد أدت فوضى العلاقات الجنسية إلى تمزيق الأسرة، عندما أصبح كل من الرجل والمرأة، يعيش علاقاته الجنسية الخاصة بعيدا عن الأسرة، فأصبحت الأسرة صورة بلا معنى ولا روابط ولا سكن.

وأدت فوضى الجنس الى تهديد المجتمعات بالإنقراض حيث تشهد الدول الغربية تناقصا مخيفا في أعداد السكان وحيث تتصاعد نسبة الكبار الى نسبة الصغار، وكل المجتمعات الغربية تسن من التشريعات وتضع من المغريات على الإنجاب لكن دون جدوى[1].

(١) والغرب الذي يعيش اسطورة التفوق والهيمنة يرى أن من صفة حفاظه على هيمنه وتقدمه أن يدعو =

وأدت فوضى الجنس إلى فقدان الروابط الأسرية والإنسانية بينهم مما جعل الكبار من الآباء والأجداد لا يجدون عند أبنائهم أو أحفادهم متسعا لهم فيلجأون إلى الملاجيء العامة لإيوائهم، والكبير في هذا السن أحوج ما يكون الى من يرعاه ويواسيه في وحشته وعزلته، لكن الأبناء لايملكون مثل هذه المشاعر، وكيف يملكونها وهم لم ينّشأوا عليها بل نشأوا في ظل المحاضن أو في بيوتهم تغلق عليهم، والأبوان يبحث كل منهما عن علاقاته الخاصة بعيدا عن جو البيت والأسرة، فلقد نشأ الأبناء حاقدين على الآباء والأمهات، فكيف يرعونهم ويخفضون جناح الذل لهم والحالة هذه.

وأدت فوضى الجنس الى انتشار الجريمة والغصب، وهي أعلى ما تكون في تلك المجتمعات التي تشيع فيها هذه الفوضى، والذين يرددون أن الإختلاط يخفف من حدة الجنس ويرتقي بالعلاقات بين الجنسين، ما ندري هل اطّلعوا على إحصائيات الجرائم الجنسية والغصب وما يتعلق بذلك في الأقطار التي تعيش هذه الفوضى أم أنهم يُقَلدون وكفى.

لقد أدى الإختلاط في تلك المجتمعات إلى سُعار جنسي وإثارة عارمة للشهوات لا يشبعها شيء حتى قادهم هذا السُعَار الى ممارسة اللواط ثم الى ممارسة الجنس مع المحارم كما في الدول الاسكندنافية... ولم يهدأ هذا السعار، بل يزداد آواره.

وفضلا عن هذه الإضرار النفسية والإجتماعية والإنسانية، فقد أدت فوضى الجنس الى عديد من الأمرض الجنسية، بعضها تغلَّب عليها الطب كالزهري والسفلس، وبعضها ما يزال الطب عاجزا أمامه، بل يعتبر وباءً فتاكا كالايدز ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

= الشعوب الاخرى الى تحديد النسل، حتى يفوّت عليها فرصة التفوق البشري عليه، حتى باتت المجتمعات الغربية تفرض على المجتمعات الأخرى برامج لتحديد النسل أو تنظيم الأسرة وتقدم لها القروض لهذا الغرض على كره من هذه الشعوب وعدم حاجة الى ذلك، وهذا أثر من آثار فوضى الجنس الذي يتجاوز العالم الغربي الى سائر العالم...

وهذا جزاء الخروج على الفطرة، والخروج على شريعة الله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

٤- الشيطان والجنس:

وهذه الأحاديث: إذ تبين أن كلا الجنسين محل فتنة للآخر. فإنها بالتالي تنبه الى خطر الخلوة بين الجنسين، وأن معاني هذه الفتنة تُستثار عند الخلوة، ويتحرك الميل الغريزي. والشيطان يجد ضالته عندئذ فيكون ثالث المختليين فيوسوس لهما ويستغل معاني الشهوة فيهما ويغريهما بالفاحشة وعند تحرك الشهوة تصعب السيطرة على النفس وتكون فريسة لعدوها التقليدي الشيطان الذي كلفت باتخاذه عدوا ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

وما أعظمها من خسارة، وما أسوأها من هزيمة، ويالها من لحظة ضعف ينقاد فيها الإنسان خلف عدوه، ويصبح فيها العدو قائدا وناصحا ومرشداً، ويا لتعاسة من يسلم أُموره لعدوه؛ وأي عدو؟! الشيطان...

والإسلام إذ يحرّم الخلوة ويحذّر منها، يحرّمها لأن خالق هذا الإنسان وفاطره يعلم طبيعته ونفسيته، يحرّم الإسلام الخلوة لما تؤول إليه، وهذا تحريم احترازي، قبل الشهوة. وقبل المعصية، إذ طبيعة هذه الشهوة أنها -دون غيرها من الشهوات- إذا، استثيرت تصعب السيطرة عليها، وخاصة مع الخلوة، حيث لا موانع، ولا رقيب ولا حسيب إلا الله، والنفس في حالة ضعفها وفي حالة ثورة شهوتها يضعف فيها سلطان الإيمان... فتزل وتنهار «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1].

(١) صحيح مسلم، حـ١/٧٦ كتاب الايمان، باب نقصان الإيمان ح رقم ٥٧.

فالإسلام يحرّم الإختلاط لنفس هذه الأسباب. للبعد عن الإثارة وأسبابها، ولكي لا يتحول النشاط الإجتماعي إلى مسرح للغزل والتزين وهدر الأوقات، كما نلاحظ في المجتمعات الحاضرة يوم أن انتشرت فيها أخلاق الغرب وعلاقاته[١]، وللحفاظ على مستوى رفيع راق من العلاقات الإنسانية، وللبعد عن كل أمراض فوضى الجنس النفسية والإجتماعية والأخلاقية والصحية..

والمسألة باختصار إما أن نحافظ على مجتمع نظيف عفيف طاهر، بعلاقات فطرية كريمة راقية تليق بمكانة الانسان، أو أن تشيع الفوضى والفاحشة والشهوات التي لا تبقى على شيء. وتُحدِثُ في الحياة الإنسانية والمجتمع الإنساني ما سبق وأن أشرنا إليه من أخطار.

٥- فتنة الإختلاط:

وأنا أعجب أشد العجب من الصيحات المستغربة التي تناقلها بعض الألسنة الداعية إلى الإختلاط والتي تحاول تبريره متناسية التجربة الإنسانية المُرَّة في هذا السبيل وأخطارها المدمرة.

إنها دعوة الى الفوضى ودعوة الى الفاحشة، ودعوة إلى الدمار الذي أصاب الآخرين، لكن بمحاولات تجميلية ساذجة، وبتجاهل ساذج لآثار هذه الدعوات..

٦- حكم الإختلاط في الإسلام:

والإختلاط في نظر الاسلام نوعان:

الأول: الإختلاط الشائع في حياة الناس اليوم، وفي الجامعات والمعاهد، والطرقات والأسواق، والوظائف والمصانع والمكاتب.

---

(١) انظر ما كتبه الأستاذ محمد قطب في كتاب الاسلام ومعركة التقاليد، وكيف أصبحت العلاقات في الجامعات وفي مكاتب العمل بسبب الاختلاط.

هذا النوع من الإختلاط لا ضوابط له ولا مصلحة فيه، وأصحابه يروجون له ولا يرون به بأسا، وهم مفتونون بالتقليد للغرب، إذ هذا اللون من الإختلاط لا يختلف عما عند الغرب في شيء.

ويوم أن بدأ هذا الإختلاط يظهر في العالم الإسلامي، كان دعاته يقدمون له مبررات اقتصادية أو باسم الضرورة والحاجة ومقتضيات العصر، وبعضهم يبلغ به الحد أن يقول: إن هذا شائع في المجتمعات الغربية الراقية، وقد يبلغ به الأمر أن يدعي أن هذا من أسباب تقدم القوم ورقيهم.

ومحاولات التبرير هذه لا تستند إلى أسباب أو مبررات موضوعية، تقوم على الدراسة المجردة أو الحاجات الحقيقية، إنما هي الأهواء، والتبعية للغرب، والهزيمة الحضارية، ليس إلا، وإلا فقد كان بعضهم يبرر الإختلاط في الجامعات، بأن الدولة لا تستطيع أن تقيم جامعة للطلاب وأخرى للطالبات لعدم توفر الأموال والطاقات البشرية، ولكننا اليوم نرى أن أقل دول العالم الاسلامي إمكانيات يوجد فيهل جامعتان أو عدد من الجامعات، ومع ذلك بقي الإختلاط فيها، وتهافت ذلكم التبرير.

وهذا النوع من الإختلاط، لا شك في حرمته، ولا يختلف في تحريمه مسلمان، لهما أدنى إلمام بالعلم الشرعي، وهذه الأحاديث وأمثالها من النصوص التي تدل على التحريم، وصورة المجتمع الإسلامي الواقعية منذ زمن النبي ﷺ وإلى الأيام الأخيرة القريبة، تمثل النظرة الإسلامية العملية لهذه المسألة.

الثاني: اختلاط مع الحشمة وبحضور المحارم، وبلا خلوة ولا ملامسة ولا تبذّل لا في اللباس، ولا الكلام، ولا الحركات، كالذي تضطر إليه المرأة اذا ذهبت للشراء، أو البيع، أو العمل، أو في نطاق ضيق في المناسبات الإجتماعية مع الأهل والأقارب، فهذا اللون يبيحه الإسلام إذا توافرت فيه الضوابط التالية:

١ -الحشمة والستر في اللباس.

٢- العفة والطهر في الكلام والنظرات، بالكلام الجاد البعيد عن الفحش أو الإثارة، وغض البصر، بعدم تركيز النظر ولا متابعة النظرة للنظرة.

٣- عدم الخلوة وعدم اللمس.

ومثل هذا النوع من الإختلاط، كان يقع في الأسواق في زمن النبوة وعصر الصحابة رضي الله عنهم، وفي المسجد حيث كانت النساء تصلى خلف صفوف الرجال، وكن يسألن النبي ﷺ في أمر دينهن ودنياهن بحضور بعض الصحابة، وكذا في مصلى العيد، وفي الجهاد، وفي الحج.

ومع أن الاسلام يبيح هذا القدْر من الإختلاط، إلا أنه يوجه باستمرار إلى البعد عن هذا ما أمكن، وأن الصورة الأمثل هي التقليل من ذلك بقدْر الإستطاعة، فقد كان النبي ﷺ يسمح للنساء بالصلاة في المسجد ويدعو الى ذلك، لكن كان يجعلهن خلف الرجال ويوجههن إلى أن خير صفوفهن آخرها، فيحث بذلك على البعد عن الرجال ما أمكن، ويجعل صفوف الأطفال بين صفوف الرجال وصفوف النساء.(١)

وان مما يثير العجَب أن تجد بعض الناس اليوم يحاولون أن يستندوا على هذه الممارسات لتبرير النوع الأول من الإختلاط المحرّم، وهو المراد إذا ما أطلقت كلمة الإختلاط. ولا شك أن هذا جهل أو تزوير لا يخفى على ذي لب، وإلا ماذا يصنع أمثال هؤلاء في هذه الأحاديث التي تصف هذا بالفتنة، وأن الشيطان مع المختلطين إذا اختلوا.

وكيف يستقيم في حس المسلم وفكره دعوة الإسلام الى غض البصر والستر والعفة في اللباس وعدم الملامسة ولا الخلوة، مع ما نراه اليوم من تبذّل في اللباس، وتزيّن قد لا يكون مثله للزوج. وخلوة لساعات طويلة في المكاتب أو المتنزهات أو

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، والحديث طويل ومما ذكره فيه: «وإن خير الصفوف صفوف الرجال المقدم وشرها المؤخر وخير صفوف النساء المؤخر وشرها المقدم» انظر المسند جـ٣/٣.

الشواطىء. .ثم يكون هذا من الإختلاط المباح ويقاس على النوع الثاني الذي ورد آن المجتمع الإسلامي يمارسه، فيطلق على النوعين اسم الإختلاط، ويباح كل هذا، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثانياً: من أحكام هذه الأحاديث:

١- التحذير من فتن النساء على الرجال والرجال على النساء.

٢- النهي عن الإختلاط المحرمّ بين الجنسين.

٣- حرمة اختلاء النساء بالرجال.

٤- حرص الشيطان على غواية الإنسان بالخلوة والإختلاط بين الجنسين.

٥- صيانة بناء المجتمع من فوضى الإختلاط والجنس التي تدمر المجتمعات.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) النهاية في غريب الحديث، ٥م، تحقيق طاهر الزواوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٣.

٣- الأصبحي، مالك بن أنس (١٧٩هـ/ ٧٩٥م) الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٢م، دار احياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥١م.

٤- البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) الجامع الصحيح -مع فتح الباري- تحقيق عبد العزيز بن باز، ١٣م، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

٥- البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ ١٠٦٥م) السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٦- دلائل النبوة، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ١٩٦٩.

٧- الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) جامع الترمذي، تحقيق أحمد شاكر ورفاقه، ٥م، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٨- الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ/ ١٤١٣م) التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٩- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) المستدرك على الصحيحين ٤م، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

١٠- الحنفي، علي بن أبي العز (٧٩٢هـ) الإحسان بترتيب صحيح ابن حيان، ٧م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١١- الخطابي، حمد بن محمد (٣٨٨هـ) معالم السنن بحاشية مختصر سنن أبي داود للمنذري، تحقيق أحمد شاكر ٨م، مطبعة أنصار السنة، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٢- الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن (٢٥٥هـ/٨٦٨م) سنن الدارمي، ٢م، دار إحياء السنة النبوية.

وطبعة أخرى، تحقيق فواز زمرلي، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧.

١٣- السباعي، د. مصطفى (١٩٦٤م) المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨٤.

١٤- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ/٨٨٨م) سنن أبي داود ٥م، تحقيق الدعاس، ط١، دار الحديث، حمص، ١٩٧٤م.

١٥- ابن سعد، محمد بن سعد (٢٣٠هـ/٨٤٤م) الطبقات الكبرى، ٨م، دار التحرير، القاهرة.

١٦- الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ٨م، البابي الحلبي، القاهرة.

١٧- الشيباني، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ/٨٥٥م) مسند الإمام أحمد، ٦م، ط١، المطبعة المينية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

١٨- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (٢١١هـ/٨٢٦م) المصنف ١٠م، ط١، المجلس العلمي، الهند، ١٩٧٠.

١٩- الصنعاني، محمد بن اسماعيل الأمير (١١٨٢هـ/١٧٦٨م) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٤م، دار الفرقان، عمان.

٢٠- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ/٩٧٠م) المعجم الكبير، تحقيق السلفي، ٢٥م، دار ابن تيمية، القاهرة.

٢١- الطحاوي، أحمد بن محمد، (٣٢١هـ) شرح معاني الآثار، ٤م، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.

٢٢- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الغزالي، دمشق.

٢٣- ابن عبد البر، يوسف النمري (٤٦٣هـ) جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب الحديثه القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٤- الإستذكار، تحقيق النجفي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

٢٥- العجلوني، إسماعيل بن محمد (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنه الناس، ٢م، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

٢٦- العسقلاني، أحمد بن حجر (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، ١٣م، الدار السلفية، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

٢٧- الإصابة في تمييز الصحابة، ٨م، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢٨- العظيم أبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٤م، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٩- الغزالي، أبو حامد بن محمد (٥٥٥هـ/ ١١١١م) إحياء علوم الدين، ٤م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٣٠- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ٦م، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣١- أبو فارس، د محمد، (معاصر) الإبتلاء والمحن في الدعوات، دار الفرقان عمان ١٩٨٦م.

٣٢- فالتر هنتس (مستشرق) المكاييل والأوزان الإسلامية، ط٢، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

٣٣- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ/ ١٤١٤م) القاموس المحيط، ٤م، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٨م.

٣٤- القاسمي، محمد جمال الدين (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) قواعد التحديث، ط٢، البابي الحلبي القاهرة.

٣٥- ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن، (٦٨٩هـ) مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٧٨هـ.

٣٦- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد (٦٢٠هـ) المغني، ٩م، مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١.

٣٧- القرضاوي، د. يوسف (معاصر) العبادة في الإسلام.

٣٨- القزويني، محمد بن يزيد بن ماجه (٢٧٥هـ/٨٨٨م) سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٢م، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣٩- قطب، سيد (١٩٦٦م) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته دار الشروق، القاهرة.

٤٠- قطب، محمد (معاصر) منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة.

٤١- الإنسان بين المادية والإسلام ط٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٨ جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، القاهرة.

٤٢- كتاب الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٤٣- معركة التقاليد، دار الشروق القاهرة.

٤٤- طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع أحمد فائز، دار العربية، بيروت، ١٩٧١.

٤٥- في ظلال القرآن، دار العربية، بيروت.

٤٦- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) عدة الصابرين، مكتبة المثنى، القاهرة.

٤٧- اعلام الموقعين عن رب العالمين، ٢م، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة ١٩٦٨.

٤٨- تهذيب السنن، بحاشية مختصر سنن أبي داود، تحقيق أحمد شاكر، ٨م، مطبعة أنصار السنة القاهرة، ١٩٤٨م.

٤٩- مدارج السالكين، تحقيق الفقي، ٣م، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٢م.

٥٠- تحفة المودود بأحكام المولود، المكتبة القيمة، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

٥١- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١ ٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.

٥٢- اللكنوي، أبو الحسنات محمد بن عبد الحي (١٣٠٤هـ) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق أبو غدة، ط٣، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ١٩٨٧.

٥٣- ابن مبارك، عبد الله (١٨١هـ) كتاب الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٦هـ.

٥٤- المبارك فوري، محمد عبد الرحمن (١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ٥م، ط٣ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.

٥٥- المزي، يوسف بن الزكي (٧٤٢هـ) تحفة الإشراف بمعرفة الأطراف ط١، ١٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١هـ/ ١٣١١) لسان العرب، ٢٠م، الدار المصرية، مصورة عن بولاق، القاهرة، ١٨٩١.

٥٧- الندوي، أبو الحسن علي (معاصر)ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط٤، الاتحاد الأسلامي العالمي، ١٩٨١م.

٥٨- النسائي، أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ/٩١٥م) سنن النسائي، ٨م، ط١، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٠م.

٥٩- طبعة أخرى، ٩م، ط٢ مكتب المطبوعات الإسلامية بيروت، ١٩٨٨م. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

السنن الكبرى، تحقيق البغدادي، ٧م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م.

٦٠- النووي، يحيى بن شرف (٦٧٦هـ/١٢٧٨م) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٨م، المطبعة المصرية، القاهرة.

٦١- المجموع شرح المهذب، ٢٠م، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٦٢- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ/٨٧٤م) الجامع الصحيح، ٥م، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥.

٦٣- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ٣م، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.

٦٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ط٢، ١٠م، دار الكتاب، بيروت.

٦٥- ابن هشام، عبد الملك (٢٣١هـ/٨٢٨م) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، ٤م، دار الكنوز الأدبية، القاهرة.

٦٦- اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (٥٤٤هـ/١١٤٩م) مشارق الأنوار على صحيح الآثار، ٢م، دار التراث، القاهرة.

٦٧- أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (١٨٢هـ/٧٩٨م) كتاب الخراج المطبعة السلفية، القاهرة.

الفهرس

المقدمة

الباب الأول: في الايمان

الحديث الأول: ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان........... ٧

الحديث الثاني: معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام........... ١٦

الحديث الثالث: الاستشفاء بالرقية........... ٢٤

الباب الثاني: في الصبر على البلاء

الحديث الأول: فقد الصفي........... ٣٣

الحديث الثاني: فقد الولد........... ٤٢

الحديث الثالث: اللهم اجرني في مصيبتي........... ٥٤

الحديث الرابع: تضحية الأم بولدها........... ٦١

الباب الثالث: في الطهارة

الحديث الأول: غسل اليدين بعد النوم........... ٧١

الحديث الثاني: إخوان رسول الله ﷺ الغر المحجلون........... ٧٨

الحديث الثالث: التطهر من بول الأطفال........... ٨٤

الباب الرابع: في الصلاة

الحديث الأول: صلاة النساء في المسجد........... ٩٥

الحديث الثاني: المرأة تشهد صلاة العيد........... ١٠٥

الحديث الثالث: الزوجان يقيمان الليل ١١١

الباب الخامس: في فضل الصدقة

الحديث الأول: فضل الصدقة ١٢١

الحديث الثاني: فضل صدقة المرأة على زوجها ١٢٧

الباب السادس: في لباس المرأة وزينتها

الحديث الأول: صنفان من أهل النار ١٤١

الحديث الثاني: جر الثوب خيلاء وذيول النساء ١٤٨

الحديث الثالث: المغيّرات خلق الله ١٥٧

الحديث الرابع: تحريم التشبه بين الرجال والنساء ١٦٧

الباب السابع: من فُضلَيات النساء

الحديث الأول: فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١٧٥

الحديث الثاني: فضل نساء قريش ١٨٦

الباب الثامن: في العلاقة بين الزوجين

الحديث الأول: لا يخطب احدكم على خطبة اخيه ١٩٧

الحديث الثاني: طاعة المرأة لزوجها ٢٠٢

الحديث الثالث: المرأة في عون زوجها ٢١١

الحديث الرابع: من بات زوجها غضبان عليها ٢١٩

الحديث الخامس: أسرار البيوت ٢٢٦

الحديث السادس: التغليظ في الغيبة ٢٢٩

الحديث السابع: الحداد على الزوج والقريب ٢٣٥

الباب التاسع: في الطفولة

الحديث الأول: أَحبُّ الأسماءِ إلى الله........ ٢٤٧

الحديث الثاني: ألعاب الأطفال ورفق النبي ﷺ........ ٢٥٢

الحديث الثالث: لا يجوز الكذب على الأطفال........ ٢٥٩

الحديث الرابع: البنات حجاب من النار ٢٦٦

الحديث الخامس: الخالة بمنزلة الأم........ ٢٧٤

الباب العاشر: في مخاطر الإختلاط

الحديث الأول: في الخلوة والإختلاط........ ٢٨٣

الحديث الثاني: فتنة النساء........ ٢٨٨

المراجع........ ٢٩٩

فهرس الموضوعات........ ٣٠٥

الهدي النبوي للمرأة المسلمة

هذا الكتاب

هذا الكتاب الأول من سلسلة دراسات في ظلال السنة النبوية، كتاب منهجي اختارت أحاديثه لجنة من العلماء الدعاة وكلّف د. محمد عويضة بشرحها ليكون منهاجاً للأخوات المؤمنات الداعيات، يدرس فيه عدداً من أحاديث الرسول الكريم ﷺ مع شرح عصري يتضمن الحاجات التي تتطلع إليها المرأة المسلمة، ومعالجة المشكلات التي تتعرض لها في البيت والمجتمع، بنتاً وزوجاً وأماً.

وقد وضع الكاتب نصب عينيه هدف الهداية والدعوة، ودور الريادة للمرأة المسلمة المعاصرة، لتكون هي القائدة لأخواتها النساء، الممثلة لهن والناطقة باسمهن.

الناشر

٢٣١
١

٦٥٨٤٢
٢٥

دار الفرقان للنشر والتوزيع

الإدارة والمكتبة :

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

هاتف: ٤٦٤٠٩٣٧ - ٤٦٤٥٩٣٧ - فاكس ٤٦٢٨٣٦٢

ص.ب ٩٢١٥٣٦ - عمان - الأردن

اربد - مقابل جامعة اليرموك - تلفاكس ٧٢٧٦٥٠٦